رسائل علمية 1

الدَّوْلَةُ الكَثِيرِيَّةُ فِي حَضْرَمَوْتَ

في عهد السلطان بدر بن عبد الله بو طويرق الكثيري

(٩٠٢-٩٧٧هـ/ ١٤٩٦-١٥٦٩م)



تأليف

يسلم صالح سالم بن دهلوس

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

الدَّوْلَةُ الكَثِيرِيَّةُ فِي حَضْرَمَوْت

في عهد السلطان بدر بن عبد الله بو طويرق الكثيري

(٩٠٢-٩٧٧هـ/ ١٤٩٦-١٥٦٩م)

تأليف

يسلم صالح سالم بن دهلوس

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ⓒ مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

رقم الإيداع بالهيئة العامة للكتاب م/ حضرموت (٢٥٠) ٢٠١٧م

عنوان الكتاب: الدولة الكثيرية في حضرموت - في عهد السلطان
بدر بن عبد الله بو طويرق الكثيري
(٩٠٢-٩٧٧هـ/ ١٤٩٦-١٥٦٩م)

تأليف: يسلم صالح سالم بن دهلوس

حجم الكتاب : ١٧ × ٢٤ سم

الإخراج الفني : حسن أحمد بلجعد .

الطبعة الثانية

١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

حقوق الطبع محفوظة

دار الوفاق الحديثة للنشر والتوزيع - مصر

هاتف وواتس آب: 00201008170225

بريدً إلكتروني: daralwefaqnet@gmail.com

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225



﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾

صدق الله عظيم

سورة الإسراء الآية: (٨٥)

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الإهداء

إلى من علمني معنى الحياة

إلى روح والدي طيب الله ثراه

إلى أمي رمز الخير والحب والعطاء الذي لا ينضب

إلى أسرتي الفاضلة بجميع أفرادها

وفاء وعرفاناً

أهدي لكم هذه الرسالة

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

شكر وتقدير

أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، على تحملهم طباعة هذا الكتاب ومساهمتهم في إخراجها إلى حيّز الوجود إثراءً للمكتبة الحضرمية بشكل خاص واليمنية والعربية بشكل عام.

ولا يسعني في الأخير إلا أن أحمدَ الله حمداً كثيراً على منِّهِ وكرمِهِ وتوفيقِهِ لي في إنجازِ طباعة هذا الكتاب وهو في الأصل رسالة ماجستير تم مناقشتها ٢٠٠٥م كما أتقدَّمَ بخالصِ الشكرِ وفائقِ الاحترامِ للمربي الناجح والمؤرخ العالم الأستاذ الدكتور الفاضل: سيد مصطفى سالم، المشرف على رسالة الماجستير والذي غمرني بعطفهِ، وكرمِ أخلاقهِ، وسعة صدرهِ، ونفعني بعلمهِ وخبراتهِ وتجاربهِ، ولم يبخل عليّ بوقتهِ، ولا بجهده، رغم انشغالاتهِ الكثيرة، فقد شجَّعني كثيراً، وذلّلَ أمامي الصِّعابَ بتوجيهاتهِ السديدةِ، ونصائحهِ المخلصةِ خلالَ مراحل هذا البحث كلها.

فجزاه الله عني وعن زملائي خير الجزاء، وأسأل الله العلي القدير أن يطيل في عمره، ويمُنَّ عليهِ بالصحةِ والعافية، وأن يجعلَ كل جهدٍ بذلهُ معي في ميزانِ حسناتهِ، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

كما أتوجه بالشكر والتقدير والعرفان لكلٍ من الأستاذ الدكتور عميد كلية الآداب: جامعة صنعاء، والأستاذ الدكتور نائب العميد لشؤون الدراسات العليا، والأستاذ الدكتور رئيس قسم التاريخ على تسهيل الإجراءات أمام طلبة الدراسات العليا وتقديم

أوجه المساعدة لهم، ولا أنسى أن أتقدم بالشكر الجزيل للأساتذة الدكاترة في قسم التاريخ لما قدموه لي من معلومات مفيدة، كما أتوجه بالشكر الجزيل لزملائي في الدراسات العليا – تخصص تاريخ – ولا يفوتني بهذه المناسبة أن أتقدم بالشكر والتقدير لمكتب التربية والتعليم بحضرموت والزملاء الأساتذة الذين أعانوني لإتمام دراستي الجامعية العليا، وكل من أعانني وقدَّم لي يدَ المساعدة والعون في استكمال هذه الرسالة وهم كثيرون، ومن بينهم الدكتور جمال رمضان حديجان والأستاذ أحمد عبد الحميد باشاذي الذي ساهم في التدقيق اللغوي والإخوة العاملون في إدارات المكتبات، ودور الكتب، والمراكز اليمنية للأبحاث، وبعض المكتبات السعودية.

ولا بد من كلمة وفاء وعرفان لأسرتي الفاضلة بجميع أفرادها لما تحملوه من أجلي، وما بذلوه من التشجيع الدائم، والمساندة المستمرة، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

ويشرفني أن أتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى أساتذتي الدكاترة أعضاء لجنة المناقشة والحكم على الرسالة، على تفضلهم بقراءة رسالتي هذه وتسجيل ملاحظاتهم عليها ومناقشتها والتي كانت ذات فائدة قيمة، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

والله تعالى ولي التوفيق.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

تقديم

قد يصعب على المرء أن يكتب تقديمًا لرسالة قد أعدت منذ سنوات عدة، وعاشر طويلًا صاحبها صفحاتها بل وكلماتها، لفظاً بعد آخر، أي إنه عايشها وهي تعد مرحلة بعد أخرى. وقد يزداد الأمر صعوبة إذا كان صاحبها من أهل المنطقة نفسها التي تناولت تاريخها، فنجد أنه عاش تاريخها وتراثها، واختلطت أنفاسه بترابها وهوائها وجبالها وبحرها. ويزداد الأمر صعوبة إذا عرفنا أن تلك الرسالة قد حصلت على التقدير الأعلى للرسائل وهو تقدير (ممتاز)، وكانت لجنه المناقشة تضم اثنين من المنطقة مما صعب الأمر على صاحب الرسالة؛ إذ كان منهما الدكتور: صالح بن علي باصرة وزير التعليم العالي حاليًا، وابن حضرموت.

وإزاء هذا فقد وجدت نفسي أستجيب للباحث نفسه – وهو الباحث يسلم بن دهلوس – عندما توجه إلي لأكتب هذا التقديم، بعد أن أتيحت أمامه فرصة النشر.

فقد وجدت لزامًا أن أستجيب، لا تقديراً للطالب وما بذله من جهد لإعداد تلك الرسالة فحسب، بل تقديرًا أيضًا للرسالة نفسها التي تناولت جزءًا مهمًا من تاريخ حضرموت الحديث، إذ برز عند فجر القرن السادس عشر الميلادي العاشر الهجري زعيم سياسي قوي – هو بدر بوطويرق – استطاع أن يخضع كيانات وقبائل ومشايخ أقاليم حضرموت، ويشكل منها كيانًا سياسيًا واضحًا له معالمه الخاصة من الناحية السياسية والإدارية والمالية والقضائية. ونشطت الحياة التجارية والاجتماعية في عهده، رغم كثرة الحروب التي قادها بنفسه، أو بالاستعانة ببعض قادته ورجاله الذين كان يختارهم بعناية ممن يؤمنون معه بفكرة توحيد تلك المناطق تحت سيطرته.

ولم تكن الحروب فقط هي همه الوحيد طوال فترة حكمه الطويلة، بل حاول أن ينظم شئون الداخل أيضًا، فصك عملة خاصة بحضرموت هي الريال وتقسيماته، وكان هذا الريال يساوي ثمانين بقشة. وأنشأ مدرسة علمية في الشحر لتخريج القضاة الذين أسرع بتوزيعهم في الأقاليم المختلفة، فانتظم العدل في عهده على أسس شرعية، وعين العمال (الإداريين) لحكم الأقاليم، سواءً كانوا من رجاله المقربين، أو من أهالي الأقاليم نفسها مقابل نسبة معينة من إيرادات الأقاليم.

وقد عاصر بدر بوطويرق اشتداد الهجمات البرتغالية على موانئ المحيط الهندي عامة، وعلى سواحل جنوب الجزيرة العربية بوجه خاص، وفي نفس الوقت نفسه اهتمت الإمبراطورية العثمانية بمواجهة الخطر البرتغالي وحماية سواحل تلك الجزيرة، فربط هذا السياسي المحنك نفسه بتلك الإمبراطورية لوحدة الهدف وهو مواجهة ذلك الخطر. وقد أقام العثمانيون بحضرموت بعض الضباط و الجنود الأتراك للمساهمة في تدريب الجيش الحضرمي على الأسلحة النارية الحديثة، كما استعان هو ببعض الأسرى البرتغاليين في صناعة الأسلحة وبناء السفن وغير ذلك.

وبالإضافة إلى هذا كله فقد زين الباحث رسالته ببعض الصور والخرائط القديمة، كذلك شرح في قائمة خاصة بعض التعريفات والمصطلحات المحلية التي وردت في الرسالة والتي ما زالت مستعملة هناك.

وأخيرا.. فإنني أهنئ الطالب ورسالته بخطوة نشر الرسالة، وأهنئ القارئ اليمني والعربي الذي سيضيف إلى معلوماته معلومات جديدة عن هذا المكان وفي ذلك الزمان، والله الموفق.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين.

أما بعد:

شهدتْ حضرموت خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي أحداثاً تاريخيةً مهمة، ومن أبرزِ هذه الأحداث تولي السلطان بدر بن عبد الله بو طويرق الكثيري مقاليدَ السلطنة الكثيرية في الفترة الممتدة ما بين عامَي ٩٢٦-٩٧٦هـ/ ١٥١٩-١٥٦٨م.

وخلال هذه الفترةِ برزَ التنافسُ البرتغالي العثماني على هذه المنطقة العربية، ولهذا تعرضت موانئُ حضرموت والسواحل العربية الجنوبية الأخرى للهجماتِ البرتغالية المتكررة وأعمال القرصنة والتجسس، وكان هذا النشاط الاستعماري البرتغالي من أهم الأسباب التي دفعت السلطان بدر إلى تمتين علاقته بالعثمانيين واستثمار هذه العلاقة فيما يخدم تعزيز قدراته العسكرية لمواجهة هذا الخطر البرتغالي، وغيره من الأخطار الداخلية والخارجية.

وقد حَظيَ تاريخ اليمن الحديث بالاهتمام المتزايد من قبل الدارسين، ولاسيما الفترة التي نحن بصددها، غير أن الجزء الشرقي من اليمن (حضرموت) لم يحظَ بقدرٍ كافٍ من دراساتهم، كما أن هذا القدر القليل من الدراسات التي تناولت تاريخ حضرموت اتسمت بأنها دراسات عامة لمراحل تاريخ حضرموت المختلفة، وقد ركزت بعض هذه الدراسات على الغزو البرتغالي للشحر، والمقاومةِ الشعبية التي هبَّت لمواجهته، ولم تغطِّ بشكلٍ أوسعَ عهد السلطان بدر بوطويرق، سلطان الدولة الكثيرية في تلك الفترة.

هذه الأهمية الكبيرة لهذه الفترة التاريخية من تاريخ حضرموت، والتي لم تَنَلْ حظَّها من الدراسات العلميةِ الجادة هي التي دفعتني إلى اختيار موضوع رسالتي الذي يتناول هذه الفترة، وعند عرض هذا الموضوع على أستاذي المشرف الأستاذ الفاضل الدكتور سيد مصطفى سالم وجدتُ عندهُ تقبلاً لهذا الموضوع، وشعوراً بأهمية دراسة هذه الفترة التاريخية، كما وجدتُ عندَهُ كلَّ تشجيعٍ وتوجيه.

وقد واجهتني بعض الصعوباتِ خلال فترةِ إعدادِ هذا الكتاب، منها ما يتعلقُ بموضوع الكتاب الذي يتناول فترةً زمنية تمتدُ لأكثر من نصف قرن، تتشابهُ فيها الأحداث، وتتداخلُ فيها الموضوعات، ويغلب عليها الطابع العسكري، حيث تتوالى الحملات، وتتباين الأهداف، وتتناقض المواقف، مما يجعل الباحث يواجه صعوبات حقيقية في ربط الموضوعات، وتفسير المواقف والأحداث.

كما اعترضتني بعض الصعوبات المتعلقةِ بالمصادر والمراجعِ التي أخذتُ عنها المادةَ العلميةَ لهذا الكتاب، فهي مع ندرتها تتصف أيضاً بالتطابقِ في المادةِ العلميةِ، والتشابهِ في أسلوبِ عَرْضِها، حيثُ يغلبُ عليها أسلوبُ الحوليات.

وقد أشارت بعض المراجع الحديثة إلى فقدان بعض المخطوطات التاريخية المهمة التي تناولت هذه الفترة، ومن هذه المخطوطات المفقودة كتاب (العقد الثمين الفاخر، من أوائل القرن العاشر) للمؤرخ عبد الله بن أحمد با سنجلة[1]، وكتاب (بهجة السمر في أخبار بندر سعاد المشتهر) للربان سالم بن عوض با سباع، وكتاب (الفرج بعد الشدة في

(١) ظهر الاسم في بعض الكتب با سنجلة، والبعض الآخر با سخلة، واعتمد الباحث اسم با سنجلة مستنداً على ما أورده المؤرخ علوي بن طاهر الحداد في كتابه: (الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها)، ص: ٦-٧.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

أنساب كندة) للمؤرخ أحمد عوض الجرو، وكتاب (زاد الأسفار في أخبار الشحر وعدن وملابار) للمؤرخ سعيد بن علي بن سعد بامعيبد، ولا شك أن فقدان مثل هذه المراجع الأصلية يشكل إحدى الصعاب أمام الباحثين.

وأمام هذه الصعوبات وجدتُ نفسي مطالباً بأن أبذلَ مجهوداً مضاعفاً في جمع النتف المتفرقة في بطونِ المراجعِ ذات الموضوعات المتنوعة، وضمِّ بعضِها إلى بعض حتى أتمكنَ من كتابة هذا الموضوع، وإخراجهِ بالشكل المطلوب، لعلهُ يساهمُ - ولو بقدرٍ قليلٍ - في إثراء المكتبة اليمنية والعربية، ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أعترف بالتقصير، وأسألُ الله العون والسداد.

وقد أسميتُ هذا الكتاب (الدولة الكثيرية في حضرموت في عهدِ السلطان بدر بن عبدالله بو طويرق الكثيري ٩٠٢-٩٧٧هـ/ ١٤٩٦-١٥٦٩م).

ولكي يسهل تناول موضوع الكتاب بشكل أفضل اتَّبَعتُ المنهج الموضوعي مع مراعاة الترتيب الزمني لسير الأحداث، وقسَّمتُ موضوع الكتاب العام إلى موضوعاتٍ رئيسة، كل موضوعٍ منها يتعلق بجانب خاص من جوانب الكتاب، الذي تحتوي على مقدمة، تتلوها سبعةُ فصولٍ وخاتمة، وألحقتُ بها بعض الملاحق والخرائط التوضيحية، ووضعتُ قائمةً للمصادر والمراجع التي استعنت بها، ثم وضعت فهرس الموضوعات.

وتناولت في الفصل الأول الأوضاع السياسية في حضرموت خلال هذه الفترة، وقد بدأت بالعودة قليلاً إلى الوراء حيث تحدثتُ عن الأوضاع السياسية في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي للتعرف على نشأة بعض الكيانات المستقلة والرئاسات القبلية خصوصاً في غرب وادي حضرموت ووسطه، وخلال ذلك تناولت الأحداث

التاريخية المهمة، لما لذلك من أهمية في تسليط الضوء على ظروف نشأة الدولة الكثيرية، ثم ذكرت بعضاً من السلاطين الذين تعاقبوا على حكم السلطنة الكثيرية قبل السلطان بدر بو طويرق.

أما في الفصل الثاني فقد تناولتُ الأسلوبَ الذي وصلَ بهِ السلطان بدر إلى الحكم، حيثُ تنازلَ لهُ أخوهُ الأكبر عن هذا المنصب بمحض إرادته، ثم تابعتُ خطوات السلطان بدر العملية، ومن أهمها إسقاط الكيانات السياسية المنافسة، وإخضاع الرئاسات القبلية لحكمه، وانتهاج سياسة توسعية تهدف إلى ضم معظم مناطق وقرى ووديان حضرموت إلى حكم الدولة الكثيرية.

وفي الفصل الثالث تناولت أعمال السلطان بدر العسكرية والمدنية، حيثُ بذلَ جهوداً جبارة تهدفُ إلى تكوين الجيش النظامي، وبناء الأسطول البحري، لما لذلك من أهميةٍ في حمايةِ البلاد، وتثبيتِ الحكم، كما تناولتُ بعض إجراءاتهِ التي تهدفُ إلى إصلاح الجهاز الإداري للدولة، وما اتسمتْ بهِ هذه الإجراءات من جوانب السلبِ والإيجاب، كما تناولتُ أعمالَهُ التي هدفتْ إلى تنظيم الحياة الاقتصادية، وتفعيلِ النشاطِ الإنتاجي والتجاري الداخلي والخارجي، والعنايةِ بالتعليم، حيثُ ضربَ العملةَ بفئاتها المختلفة، وبنى المدرسة السلطانية بالشحر وعهد بالإشراف عليها وإدارتها والتعليم فيها لعدد من كبار العلماء والفقهاء.

وفي الفصل الرابع تناولتُ الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في حضرموت خلال هذه الفترة التي نحن بصدد دراستها.

ففي الجانب الاقتصادي تناولتُ مختلف أوجه النشاط في مجال الرعي والزراعة

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

والحرف اليدوية، والنشاط التجاري الداخلي والخارجي، وتعرضتُ لبروز الشحر وغيرها من مدن حضرموت مثل شبام وتريم وهينن، كمراكز تجارية تعجُّ بالنشاط التجاري، كما تناولتُ دور الحضارمة الريادي في التجارة الخارجية مع الدول المختلفة.

وفي الجانب الاجتماعي تناولت الأوضاع الاجتماعية في تلك الفترة، وخاصة التكوينات الاجتماعية والقبلية المنتشرة في حضرموت الوادي والساحل، مع الإشارة إلى أدوار بعض الزعامات القبلية والدينية.

أما في الفصل الخامس فقد تابعت علاقة السلطان بدر بالعثمانيين، مشيراً في البداية إلى علاقة الدولة الكثيرية بالمماليك في مصر، كونها الخلفية التاريخية، والتمهيد الطبيعي الذي تلاحقتْ بعدهُ الخطوات التي عززت هذه العلاقة إلى أن أعلنَ السلطان بدر ولاءه وطاعته للسلطان العثماني، وأعلن السلطان العثماني اعترافه بالسلطان بدر والياً على حضرموت.

كما تحدثتُ عن العلاقة بين الدولة الكثيرية والدولة الطاهرية في عدن، والتي لم يكن السلطان بدر متحمساً لتطويرها، وتطرقتُ في أثناء ذلك إلى المساعدات الرسمية والشعبية التي تقدمها حضرموت للدولة الطاهرية كلّما احتاجت إلى ذلك لمواجهة هجمات الطامعين.

كما تناولتُ علاقة السلطان بدر بكلٍّ من الإمام شرف الدين يحيى والشريف ناصر أمير الجوف، وما قام به الشريف ناصر من المهام العسكرية والإدارية في دولة السلطان بدر، كما أشرت إلى تنامي هذه العلاقة واتخاذها بعداً اجتماعياً، ثم انهيارها في نهاية المطاف.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وفي الفصل السادس تناولتُ النشاط البرتغالي الاستعماري في سواحل حضرموت والسواحل العربية الجنوبية، حيث أشرتُ في البداية إلى اهتمام البرتغاليين بالشرق، وأهدافهم الاستعمارية التي يسعَونَ إلى تحقيقها في الشرق، كما ذكرتُ سيطرتهم على سقطرى، ومحاولاتهم المتكررة للسيطرة على عدن وجدَّة وغيرها من الموانئ المهمة في البحار العربية، كما تحدثتُ بشيءٍ من التفصيلِ عن الغزوِ البرتغالي للشحر والمقاومةِ الوطنيةِ التي هبَّتْ لمواجهة هذا الغزو، كما تناولتُ موقف السلطان بدر من النشاط البرتغالي وسياسته الواقعية المتوازنة إزاءَ هذا النشاط، وفي أثناء ذلك تحدثتُ عن التنافس البرتغالي العثماني للسيطرة على السواحل العربية الجنوبية والمنافذ الرئيسة للبحار العربية.

وفي الفصل السابع تناولتُ نهاية حكم السلطان بدر، حيث بدأ الضعف يدبُّ إلى جسمِ الدولة الكثيرية، بسبب الصراع الداخلي في الأسرة الحاكمةِ الذي تطورَ واتسعَ ليشملَ قبيلة آل كثير كلَّها، حيث انقسمتْ إلى حزبين كبيرين يلتفُّ كلٌّ منهما حول قطب من قطبي الصراع في الأسرة الحاكمة، كما تحدثتُ عن الحملاتِ المتتاليةِ التي تهدف إلى القضاءِ على التمردِ والعصيانِ أو تهدفُ إلى بسطِ نفوذ الدولة، ووضَّحتُ تأثيرَ هذه العواملِ في إنهاكِ جسمِ الدولة، وبيَّنتُ أن الهدوءَ النسبي الذي شهدتهُ الحياة السياسية والعسكرية بعد اعتزال السلطان محمد الحياة السياسية في نهاية عهد السلطان بدر لم يكن إلا الهدوء الذي يسبق العاصفة، حيث كانت المفاجأة الكبرى يوم قام الابن الأكبر للسلطان بدر باعتقالِ أبيه، وإعلان نفسه سلطاناً للدولة الكثيرية سنة ٩٧٦هـ/ ١٥٦٨م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وأما في الخاتمة فقد تحدثتُ حولَ الاستخلاصاتِ والملاحظاتِ والنتائجِ التي خرجتُ بها من هذا الكتاب، حيثُ سجَّلتُ ملاحظاتي حولَ البداية الخادعة التي بدأ بها عهد السلطان بدر، والتي كانت تُبشِّرُ بعلاقةٍ حميمةٍ بين السلطان بدر وأخيه، غير أنَ الأمورَ سارتْ على غير ما كان متوقعاً، ثم سجلت جملة من الملاحظات حول سياساته في مجال الإدارة والحياة المدنية، والسياسة التوسعية، والسياسة الخارجية، والصراع الداخلي الذي أفضَى في الأخير إلى نهايةٍ مؤسفةٍ وأليمةٍ للسلطان بدر.

ثم ألحقتُ بهذا الكتاب بعض الملاحق والخرائط التوضيحية، وقائمةً بالمصادر والمراجع المختلفة التي استندتُ إليها في البحث، وأنهيتُها بفهرسٍ لموضوعات الكتاب.

أما بالنسبة للمصادر والمراجع التي استندتُ إليها في كتابة هذا الكتاب فقد كانت نادرة، غير أنني حاولتُ الحصولَ على ما يتصلُ بموضوعِ هذا الكتاب من المخطوطات والمخطوطاتِ التي حُقِّقَتْ، والمراجع المطبوعة والرسائل العلمية، والدوريات المختلفة، والندوات العلمية، وبعض المراجع الأجنبية، وأبرز هذه المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها كثيراً، منها: مخطوطة (مواهب الرب الرؤوف في مناقب الشيخ معروف) للمؤلف محمد بن عبد الرحمن باجمال (ت ١٠١٦هـ/ ١٦٠٧م)، وتناولت هذه المخطوطة جوانب مهمة من حياة الشيخ معروف، وخاصة فيما يتعلق بموقف السلطان بدر بوطويرق منه، كما أشارت إلى بعض الموضوعات الخاصة بالأوقاف في هذه الفترة. ومخطوطة: (بلوغ الظفر والمغانم في مناقب سيدي أبو بكر بن سالم)، للمؤلف با جمال أيضاً، الذي خصص هذه المخطوطة لإبراز المكانة الروحية التي تميز بها الشيخ أبو بكر بن سالم بن الشيخ أبو بكر، وقد أفادت هذه المخطوطة البحث من حيث

الدور الاجتماعي للمناصب في أوساط المجتمع الحضرمي، بالإضافة إلى مخطوطة (هذه شجرة في أنساب قبائل العرب القاطنين في الجهة الحضرمية) للمؤلف أحمد بن حسن العطاس (١٢٥٧-١٣٣٤هـ/ ١٨٤٠-١٩٠٧م)، والذي تناول معظم قبائل حضرموت القاطنة وسط وغرب وادي حضرموت، ومخطوطة (إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت) للمؤلف عبدالرحمن بن عبيد اللاه السقاف (١٣٠٠-١٣٧٥هـ/ ١٨٨٢-١٩٥٦م) الذي ذكر معظم مدن وقرى ووديان حضرموت، مع الإشارةِ إلى بعضِ القبائلِ في حضرموت، بالإضافة إلى مخطوطة: (خلاصة الخبر عن بعض أعيان القرنين العاشر والحادي عشر، منتخب من السنا الباهر وعقد الجواهرو الدرر) للمؤلف عمر بن علوي بن أبي بكر الكاف، (١٣٢٥-١٤١٢هـ/ ١٩٠٧-٩٢١٩م)، وهذا الكتاب يعد استكمالاً لكتاب (النور السافر) فقد اهتم بتراجم أعيان القرنين العاشر والحادي عشر، بالإضافة إلى وثيقة مكاتبة بين المتوكل على الله يحيى شرف الدين والسلطانين محمد وبدر ابني عبدالله بن جعفر الكثيري، بتاريخ سنة ٩٣١هـ/ ١٥٢٥م، بالإضافة للاستعانة ببعض المخطوطات التي تم تحقيقها مؤخراً، ومن أهمها:

كتاب (تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر) الذي كتبه المؤرخ محمد بن عمر بافقيه (٩٧٠-١٠٤٨هـ/ ١٥٦٢-١٦٤١م) وحققه عبد الله بن محمد الحبشي، وقد تحدَّثَ هذا الكتاب عن المعلومات والأحداث التي وقعت في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، وقد اعتمد مؤلفه على ما جاء في بعض الكتب التي عاصرت تلك الفترة التي يتناولها هذا البحث.

ومن هذه الكتب (العقد الثمين الفاخر من أوائل القرن العاشر) للمؤرخ عبدالله بن

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

أحمد با سنجلة المتوفى سنة ٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م، وكتاب آخر هو (مسودة مذكرات تاريخية) للفقيه المؤرخ عبد الله بن عمر بامخرمة المتوفى سنة ٩٧٢هـ/ ١٥٦٤م، وكتاب (النور السافر في أخبار القرن العاشر) للمؤرخ العلامة عبد القادر بن شيخ العيدروس المتوفي سنة (١٠٤٨هـ ١٦٤٨م)، وقد تناول المؤلف في كتابه هذا أحداثاً مهمة في هذه الفترة تتعلقُ بأخبارِ الشحرِ وحضرموتَ وعدن وغيرها، وقد احتوى هذا الكتاب على معلوماتٍ أفاد منها هذا البحث كثيراً.

ومن الكتب التي استقيت منها المادة العلمية هذا الكتاب هو كتاب (تأريخ حضرموت) المعروف بتأريخ شنبل لمؤلفه المؤرخ أحمد بن عبدالله شنبل (٩٢٠هـ/ ١٥١٤م)، الذي حققه عبد الله بن محمد الحبشي، وقد سارَ هذا الكتاب في عرضِ مادتهِ العلميةِ على أسلوبِ الحوليات، وقد تناولَ فترةً زمنيةً تمتدُ من القرنِ السادسِ الهجري حتى القرنِ التاسعِ الهجري، ويحتوي هذا الكتاب على معلوماتٍ وأحداثٍ مهمة أفادت هذا البحث كثيراً خصوصاً ما يتعلق منها بالقرن التاسع الهجري.

وأما الكتاب الثالث فهو كتاب سالم بن محمد بن حميد (١٢١٧-١٣١٦هـ/ ١٨٠٢-١٨٩٩م) في تاريخ حضرموت المسمى (العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة) الذي حققهُ عبد الله بن محمد الحبشي، وهذا الكتاب غطَّى جزءاً كبيراً من أحداث القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، وقد استقيت منه كثيراً من المعلومات القيمة والمفيدة. بالإضافةِ إلى كتاب محمد بن هاشم: (تاريخ الدولة الكثيرية) والذي غطَّى جزءاً كبيراً من الأحداثِ المتعلقةِ بالدولةِ الكثيرية بشكل موجز منذُ زمن ظهورها إلى سبعينيات القرن الثالث عاشر الهجري / التاسع عشر الميلادي.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وإلى جانبِ هذه المصادر والمراجعِ الرئيسةِ التي اعتمدتُ عليها هناكَ أيضاً مجموعة من المراجعِ المختلفةِ من الكتبِ المطبوعة، والدورياتِ والأبحاثِ والدراساتِ التي قُدِّمَتْ للمؤتمراتِ والندواتِ العلمية، وقد وضَّحتُ ذلك في قائمةِ المصادرِ والمراجعِ، وقد أفادتني هذه المراجع كثيراً بما وجدتُ فيها من المعلوماتِ أو الآراءِ المختلفةِ حول موضوعِ الكتاب، وقد عثرتُ على كثيرٍ من هذه المراجعِ في المكتبات اليمنية العامة والمكتبات الجامعية، وكذا المكتبات السعودية، ومنها: دارة الملك عبد العزيز، ومركز الملك فيصل، والمكتبة الوطنية، ومكتبة الملك عبد العزيز، ومكتبة الملك فهد وغيرها.

ولا أدَّعي بعد هذا كله أنني قد بلغتُ الكمال المنشود، ووفَّيتُ هذا البحث حقه في كل ما يتعلق بموضوعه من المعلومات والأحداث والآراء والاستخلاصات والملاحظات، فطلبُ الكمالِ من المحالِ، وإن الموضوعَ ما يزالُ مفتوحاً ويحتاجُ إلى المزيد من الأبحاث والدراسات، وغاية ما أتمناه أن أكونَ قد تمكَّنتُ بهذا الجهد المتواضع من رفد المكتبة اليمنية بشيءٍ مفيدٍ يستحثُ الباحثينَ على المزيد.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الفصل الأول

الأوضاع السياسية في حضرموت
في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي

أ- قبيلة نهد في منطقة الكسر.

ب- مشيخة العمودي في وادي دوعن.

أ- دويلة آل السعدي في شبام.

ب- دويلة آل إقبال في الشحر.

جـ- دويلة آل يماني في تريم.

د- دويلة الحبوظي في ظفار.

هـ- الدولة الكثيرية قبل عهد السلطان بدر.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الأوضاع السياسية في حضرموت
في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي

تحتل دراسة الأوضاع السياسية في حضرموت مع مطلع القرن العاشر الهجري أهمية خاصة بالنسبة لبحثنا؛ لأنها توضح الواقع السياسي لحضرموت قبيل تسلم السلطان بدر بوطويرق للحكم مع مطلع العصور الحديثة.

وقد حرصت على دراسة هذه الأوضاع في هذه الفترة؛ للتعرف على الأحداث السياسية التاريخية ذات التأثير الواضح في رسم ملامح التاريخ الحديث لحضرموت، وسوف أتناول الكيانات السياسية واحدة بعد الأخرى، حتى تتكون فكرة واضحة عن الأوضاع التي كانت عليها حضرموت، في القرن السادس عشر الميلادي.

وبالنظر في خارطة حضرموت السياسية في هذه الفترة يظهر لنا تعدد الكيانات السياسية الحديثة، وما عانته حضرموت من التجزئة والصراعات، ونحن إذ نقرأ تاريخ هذه الكيانات يتضح لنا أن بدايات نشأتها تعود إلى أواسط القرن السابع الهجري – الثالث عشر الميلادي، بل إلى ما قبله،، وقد جاء ظهورها نتيجة لحالة الفوضى والفراغ السياسي الذي حدث عقب طرد القوات الأيوبية، نظراً لأن هذه القوات تمكنت عند دخولها إلى حضرموت سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩م من إسقاط جميع الكيانات السياسية فيها، كدويلة آل إقبال في الشحر، ودويلة آل با حارثة في شبام، ودويلة آل راشد في تريم[1].

(١) أحمد عبدالله شنبل: تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، صنعاء، مكتبة الإرشاد، ط١، ١٩٩٤م، ص: ٧٨.

وقد تمكنت قبيلة نهد ومن تحالف معها من قبائل حضرموت، من طرد قوات الأيوبيين، وقتل قائدهم عمر بن مهدي سنة ٦٢١هـ/ ١٢٢٣م، وعقب ذلك برز واضحاً ضعف قبيلة نهد من الناحية الإدارية، بحكم طبيعتها البدوية، ولهذا لم تفكِّر في بسط نفوذها على حضرموت، كما لم تُبدِ أية معارضة لقيام بعض القبائل الحضرمية بإنشاء كيانات سياسية خاصة بها، بل ساعدت على قيام بعض هذه الكيانات رغم اكتسابها شرعية السلطة لدورها الرئيس في طرد القوات الأيوبية [١].

هذه الظروف ساعدت على قيام عدد من الكيانات في مختلف مناطق حضرموت، فقد استعاد آل إقبال حكم الشحر سنة ٦٢١هـ/ ١٢٢٣، وفي تريم أقام آل يماني دويلتهم سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٤م، وقامت في شبام دويلة السعدي سنة ٦٢٣هـ/ ١٢٢٥م[٢]، وفي هذا الوقت بدأ آل كثير التفكير في إقامة كيان سياسي خاص بهم، واتخذوا من قرية عينات شرق تريم مركزاً لهم في مطلع القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي[٣].

غير أن قيام هذه الكيانات لم ينه حالة الفوضى والاضطراب السياسي، بل ساعد على استفحالها، نظراً للتنافس فيما بينها، وسعيها لمد نفوذها [٤].

وسوف نستهل حديثنا بالتعرض للرئاسات القبلية الكبرى التي ظهرت في غرب حضرموت ووسطها، وكان لها علاقة واضحة وكبيرة بالأحداث التي يتناولها هذا البحث.

(١) أحمد عبدالله شنبل: تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، تحقيق عبدالله الحبشي، ص: ٧٤، ٧٨، ٨١.

(٢) علوي بن طاهر الحداد: الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها ص:١١١-١١٢، شنبل: المرجع السابق، ص:٨١-٨٤.

(٣) محمد بن هاشم: حضرموت، تاريخ الدولة الكثيرية، القاهرة، دار الكتاب العربي، ج١، ط١، ١٩٤٨م، ص:٦،٧.

(٤) محمد علي زاكن باحنان: جواهر تاريخ الأحقاف، مكة، مكتبة النهضة العربية، ج٢، طـ١، ١٩٦٣م، ص:١٢٧-١٢٨.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

أ. قبيلة نهد في منطقة الكسر:

تتميز منطقة وسط وادي حضرموت وغربه وخاصة منطقة الكسر[1] بطبيعتها البدوية، ولذا فقد استعصت على الخضوع لأي من الحكام الذين تعاقبوا على حكم شبام وغيرهم ممن حاول بسط نفوذه على سائر حضرموت، وإذا تمكن البعض من مد نفوذه إلى هذه المنطقة فقد عجز عن إحكام السيطرة عليها، والاحتفاظ بها، وتثبيت دعائم الاستقرار فيها، حيث تميز الوضع السياسي فيها بسيطرة زعماءالقبائل على الحكم وإدارة شئون المنطقة، كما تميز أيضاً بكثرة النزاعات والمنافسة بين قبائلها، لهذا ظلت أسيرة الثأرات والحروب القبلية والغارات والسلب والنهب، فلم تنعم بالأمن والاستقرار[2].

وقرى الكسر تشمل هَيْنَن وقشاقش وصُوران وسِدبة والعجلانية ومَنْوبَ وحُورة ووديان رَخْية ودُهُر، وقد ظلت آهلة بالسكان، وأول من سكن هذه المنطقة كندة

(١) الكسر: منطقة الكسر وسط غربي وادي حضرموت وتشمل القرى التالية:

هينن، قرية قديمة سكنتها تجيب، ومن قبائلها بني سهل وبني بدا.

قشاقش: وتتبع لعصبة تجيب ومن قبائلها بني حارثة، وهي على رأس جبل، صوران: قرية صغيرة.

سدبة: قرية لتجيب، وهي مرتفع على سفح جبل من الجانب الشرقي في نهاية وادي العين ويسكنها آل باارباع من مذحج، العجلانية: قرية كبيرة مقابلة لقرية هينن، منوب: وهو وداي جنوب الباطنة ويمتد إلى وسط الكسر ومن وادي منوب الفرط غربي حوطة القطن.

حورة: قرية لعصبة تجيب الكندية، وبها قبيلتين هما بني حارثة وبني محرية، وادي رخيّة ووادي دهر بهما قرى كثيرة، عبد الرحمن بن عبيد اللاه السقاف، إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ق: ٩٩أ – ١٠٧أ.

(٢) صالح بن علي الحامد: تاريخ حضرموت، ج٢، ص:٤٢٨-٤٢٩.

وتجيب، ثم نزلت بجوارهم نهد قادمة من اليمن، وكان ذلك في القرن الخامس الهجري على وجه التقريب/ القرن الحادي عشر للميلاد، وبحكم حياة التنقل والهجرات المتتالية فلا يستبعد أن ترجع بعض قبائل حضرموت بأصولها إلى خارج حضرموت، خصوصاً مناطق الجزيرة العربية كاليمن والحجاز وعمان وغيرها[١].

وتعد قبيلة نهد من أشهر قبائل حضرموت، وأكثرها تأثيراً في الأحداث السياسية في حضرموت، وتنسب قبيلة نهد إلى نهد بن زيد بن ليث بن أسلم بن الحاف بن قضاعة.

ومن فروعها: خَيْثَمة وظُبيان ومُرة ومعروف والظلفان، وقد تكاثر عددها حتى غدتْ تُنَافِسُ قبيلتي كندة العصبة وتجيب الفرع[٢].

وتعد كندة من أقدم قبائل حضرموت وأشهرها، ويعود نسبها إلى ثور بن عفير بن مرتع بن عدي بن الحارث بن مرة بن إدد[٣]، وسكنت كندة وفروعها في الأرض الواقعة ما بين العبر ووادي دوعن، وبعض قرى السرير، وهي مناطق تشتمل على السهول الزراعية والأودية التي يكثر فيها النخيل، والهضاب والمرتفعات التي شيدت كندة عليها البيوت والحصون[٤].

(١) الحسن الهمداني: صفة الجزيرة، تحقيق محمد علي الأكوع، ص:١٦٦، ١٦٧، ١٧٢.

(٢) صالح الحامد:المرجع السابق، ص:٦٢١-٦٣١.

(٣) علي بن أحمد بن حزم: جمهرة أنساب العرب، تحقيق: لجنة من العلماء، بيروت، دار الكتب العلمية ط١٤٠٣،١هـ/ ١٩٨٣، ص: ٤٢٥-٤٢٩، عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ج٣، ط٢، ١٩٧٨م، ص: ٩٩٨-١٠٠٠.

(٤) علوي بن طاهر الحداد: الشامل في تاريخ حضرموت مخاليفها ، ص: ٨.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وتنقسم كندة إلى فرعين رئيسين:

- معاوية: وتفرعت عنها وليعة والحارث.

- الأشرس: وتفرعت عنها الصَدَف وتجَيب والسُكون والسكاسك (١).

ومع بداية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي أصبحت نهد كغيرها من قبائل حضرموت تتمتع بالرئاسة القبلية، وتتطلع إلى الحكم في منطقة الكسر، لكنها لا تقوى على التوسع أو تنفيذ غارات على مناطق خارج الكسر إلا إذا تحالفت مع بني ظنة من بني حرام ومع جيرانها من قبيلة كندة(٢)، ففي سنة ٦٠١هـ/ ١٢٠٤م شنَّت نهد مع حلفائها من كندة هجوماً على منطقة السرير، وتقاسمت معهم السيطرة على هذه المناطق، فكانت شبام من نصيب مرة ومعروف النهديتين بالإضافة إلى الحول (الغرفة) وتريس(٣)، أما سيئون وحبوظة(٤)فكانت من نصيب قبيلتي بني حارثة الكندية وبني ظبيان النهدية.

ومن خلال قراءة تأريخية للأحداث في المنطقة يتضح أن خيثمة هي أقوى فروع نهد، وتقع فيها رئاسة نهد، وهي فرعان: عامر بن شماخ وعرفوا بآل عامر، وينافسهم على رئاسة القبيلة أبناء عمهم فضالة بن شماخ، وعرفوا بآل عبد الله وآل بشر (٥).

---

(١) صالح الحامد: تاريخ حضرموت، ج١، ص:٢١، محمد أحمد الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق إسماعيل بن علي الأكوع، صنعاء، منشورات وزارة الإعلام والثقافة، ج٢، ط١، ١٩٨٤م، ص:٦٦-٧٧. علوي الحداد: المرجع السابق، ص:٨.

(٢) أحمد شنبل: تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ٥٨-٦٣.

(٣) نفس المرجع، نفس الصفحة.

(٤) حبوظة: قرية بين العجز وتريم بالقرب من سفح الجبل، وتنسب للحبوظي وهي شرق وادي حضرموت.

(٥) صالح الحامد: تاريخ حضرموت، ج٢، ص:٦٢١-٦٣١.

واتجهت نهد إلى توسيع نفوذها غربي منطقة الكسر، ونتيجةً لذلك سكن بعض قبائلها في الهجرين والمنيظرة في وادي دوعن، واحتلوا من قرى وادي دوعن: الخريبة سنة٨٣٨هـ ١٤٣٤م، ثم قرية صيف، سنة ٩٠١هـ ١٤٩٥م [١]. وهكذا استمرت قبيلة نهد في توسعها غرب حضرموت ووسطها محاولة تحقيق مشروعها المستقبلي في تكوين كيان سياسي خاص بها إذا توفرت الظروف المناسبة.

ومن القبائل الكبيرة في حضرموت قبيلة الجعدة بفروعها المختلفة، وتنسب قبيلة الجعدة إلى مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن قضاعة، ومن فروعها: الروامضة، والجذم، والمراضيح، وآل شملان، وآل غانم، وآل عامر، وتقع فيهم رئاسة القبيلة.

وقد سكنت بجوار نهد في منطقة غرب وادي حضرموت ووسطه، حيث انتشرت في معظم قرى وادي عمد[٢] ووادي رخية[٣].

وظلت قرى وسط وادي حضرموت وغربه موضع صراعات وتنافس بين القبائل الثلاث الرئيسة وفروعها وهي: كندة، والجعدة، ونهد، للانفراد بالرئاسة القبلية في المنطقة ككلّ، وبحكم أن نهد أقوى هذه القبائل الثلاث فهي الأكثر استحواذاً على هذا المنصب القبلي الرفيع.

---

(١) نفس المرجع، ص:٦٢٧-٦٣٤.

(٢) وادي عمد: قريب من وادي عرما ويقع غرب حضرموت، وفيه قرىً كثيرة منها. لحروم: سميت باسم صاحبها الأحروم. وطمحان، وعمد، وقرية باكرمان والشُّعبة، وخنفر وعنق، علوي طاهر الحداد: الشامل في تاريخ حضرموت، ص:٥٤،٥١.

(٣) وادي رخية: من أهم قراه: صنا: وهي أكبر قراه ومن سكانها آل باعبَّاد وآل حيدرة، وسهوة: ومن سكانها: آل بفلح، والمخارم: ومن سكانها: آل بلعبيد، وآل شحبل وفيهم تقع رئاسة القبيلة في وادي رخية، عبدالرحمن السقاف: إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ق:٥١أ- ٥٢أ.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

ب. مشيخة العمودي في وادي دوعن:

من المناسب أن نعطي فكرة موجزة عن مشيخة العمودي التي ظهرت في دوعن غرب حضرموت، كواحدة من الزعامات الروحية المستقلة، ثم حاولت في فترة لاحقة من تاريخها الجمع بين السلطة الروحية والسلطة السياسية، وبسبب هذا التوجه السياسي كانت لها صولات وجولات مع السلطان بدر بحكم أن هذا التوجه، وهذه الطموحات السياسية تتعارض مع طموحات السلطان الهادفة إلى توحيد حضرموت تحت لواء الدولة الكثيرية.

الشيخ سعيد بن عيسى العمودي (٦٠٠- ٦٧٠هـ/ ١٢٠٤- ١٢٧٣م) من أبرز الزعامات الاجتماعية والروحية من قبيلة آل العمودي، ويرى بعض المؤرخين أن نسب آل العمودي يعود إلى قبيلة سيبان الحضرمية[١]، ويعتبر الشيخ سعيد المؤسس الأول للمشيخة في قيدون، وبحكم اهتمامه بتعاليم الشريعة الإسلامية امتد تأثيره ونفوذه الروحي إلى كثير من قرى وادي دوعن، ولم يقتصر على قبيلة العمودي بل امتد إلى خارجها، وتعاقب آل العمودي على تولي المشيخة واحداً بعد الآخر، كما التف حول المشيخة بعض زعماء القبائل، ونتيجةً لذلك أخذت هذه المشيخة تتجه شيئاً فشيئاً نحو الجمع بين السلطة الروحية والسلطة السياسية [٢] .

وظهر هذا الاتجاه بشكل واضح في عهد الشيخ عمر بن أحمد العمودي، وقد تزعّمه أخوه عثمان الذي كان يميل إلى حمل السلاح، وتدعيم السلطة الروحية بالسلطة السياسية والعسكرية، ويناصره حَمَلة السلاح من آل العمودي، وبالفعل تمكن هذا الاتجاه من فرض

(١) محمد بن أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ج٢، ط٣، ١٩٩٤م، ص: ٣٨٢.

(٢) سعيد عوض باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص:١٥١.

إرادته، حتى اضطر الشيخ عمر للتنازل عن المشيخة لأخيه عثمان سنة ٩٣٧هـ ١٥٣٠م، ويعتبر الشيخ عثمان من أبرز زعماء هذه المشيخة، وهو رجل طموح يسعى إلى إنشاء دولة مستقلة في وادي دوعن[١].

ولعل أول الإجراءات التي قام بها نقل زاوية [٢] العمودي من قيدون إلى بضة التي اتخذها مقراً لحكمه، وعاصمة روحية وسياسية لمشيخته، وذلك لما تتمتع به بضة من موقع وتحصينات تفتقد لها قيدون[٣] .

وما من شك أن الأهداف السياسية التي سعى العمودي إلى تحقيقها كانت السبب في وقوع معارك طاحنة بينه وبين الزعامات القبلية في المنطقة، وضد الدولة الكثيرية وهو ما سنتعرض له بتفصيل أكثر في الفصول القادمة.

هذه أشهر الزعامات القبلية في منطقة غرب وادي حضرموت ووسطه، والتي سيتردد ذكرها كثيراً في ثنايا هذا البحث لما لها من صلة وثيقة بالأحداث التي يتناولها هذا البحث. وإلى جانبها أيضاً قبائل أخرى أقل تأثيراً سنأتي على ذكرها في سياق الحديث.

وإلى جانب هذه الزعامات القبلية ظهرت في الوجود بعض الكيانات أو الدويلات الصغيرة عقب رحيل الأيوبيين من حضرموت ٦٢١هـ/ ١٢٢٣م، وقد عاشت هذه الكيانات السياسية خلال تأريخها سلسلة من الحروب والاضطرابات، حتى تساقطت جميعها واحدة بعد الأخرى بيد الدولة الكثيرية.

(١) محمد بن عمر با فقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق: عبد الله الحبشي، ص: ٣٥٤، علوي بن طاهر الحداد: المرجع السابق، ص: ١٥٩- ١٦٢.

(٢) الزاوية: غرفة ملحقة بالمسجد، تستخدم للتعليم، وقد تضم مكتبة.

(٣) علوي بن طاهر الحداد: الشامل في تاريخ حضرموت،ص: ١٥٩- ١٦٢.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

أ. دويلة آل السعدي في شبام:

بدأ بنو سعد العمل على تأسيس دويلتهم في شبام في سنة ٦٢١ هـ / ١٢٢٣م عقب رحيل القوات الأيوبية [١]، ويرى بعض المؤرخين أن بني سعد يعود نسبهم إلى قبيلة تجيب الكندية، وهو النسب نفسه الذي ينتمي إليه بنو حارثة[٢] الذين حكموا شبام قبل دخول القوات الأيوبية، ولما ضعفت قبيلة بني حارثة وعجزت عن استعادة حكم شبام بعد رحيل الأيوبيين تقدم بنو سعد لذلك، فاصطدمت رغبتهم برغبة آل يماني الذين حاولوا السيطرة عليها، لكن تحالف قبيلة بني سعد مع قبيلة نهد أجبر السلطان مسعود بن يماني حاكم تريم أن يتخلى عن شبام، وتولى بنو سعد حكمها وذلك سنة ٦٢٣هـ/ ١٢٢٥م[٣].

وتجدر الإشارة إلى أن شبام محاطة بأسوار قوية، وذات تحصينات جيدة، ودفاعات محكمة، وكان عسيراً على الغزاة اقتحامها بالقوة، لهذا كانت عرضة للبيع والشراء، وكانت عادة بيع المناطق والتنازل عن حكمها بهذه الطريقة عادة مألوفة في حضرموت، يلجأ إليها البعض عندما يعجز عن الاقتحام بواسطة القوة، ولهذا السبب بيعت شبام خلال فترة وجيزة مرتين، ففي سنة ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م اشترى ابن يماني شبام من حاكمها عيسى السعدي، كما اشتراها ابن فارس الكندي حاكم الشحر في سنة ٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م[٤].

(١) صالح الحامد: تاريخ حضرموت، ج٢، ص:٦١٢-٦١٣.

(٢) عبد الرحمن السقاف: إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ق: ٩٦أ.

(٣) أحمد بن شنبل: تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، تحقيق : عبد الله الحبشي، ص: ٨٢-٨٣.

(٤) نفس المرجع، ص:٨٥، ٨٨.

ولم تمض سوى ثلاث سنوات حتى تحالف جيش الدولة الرسولية بقيادة علاء الدين مع قبيلة نهد، بزعامة فهد بن عبدالله وابن شماخ وسيطر على شبام من سنة ٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م إلى ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م[١] ،ودخلت شبام بعد خروجهم فترة اضطراب تمكنت خلالها قبيلة آل يماني من السيطرة على شبام، غير أن بني سعد تمكنوا من استعادة شبام وإخراج لبيد بن يماني سنة ٦٤٤ هـ/ ١٢٤٦م ، وتمكن بعد ذلك نصار بن جميل السعدي بمساعدة قوات من الدولة الرسولية من خارج حضرموت من مد نفوذه إلى تريم، وبنى حصناً بالقرب من تريم في قارة الغز[٢]، وبنى داراً، وظل يتحرش بعساكر ابن يماني[٣].

ثم قام نصار بن جميل السعدي ببيع شبام مرة أخرى للسلطان سالم بن إدريس الحبوظي سنة ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م، وبذلك غاب بنو سعد عن مسرح الحياة السياسية في شبام حتى سنة ٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م، حيث عادوا من جديد إلى حكم شبام بعد حروب مريرة[٤].

وبدأ التنافس بين فروع القبيلة، وبالأخص آل جميل، وآل حسن، وغذَّى هذا الصراع أطراف أخرى، حيث استعان آل جميل بقبيلة آل عامر النهدية، واستعان آل حسن بقبيلة آل يماني وبعض أفراد من قبيلة نهد[٥] . واستمر الصراع بين هذين الفرعين مدة عامين من ٧٤٩ هـ/ ١٣٤٨م إلى ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩م، وكانت نتيجة هذا الصراع

(١) سالم محمد بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق : عبد الله الحبشي، ص: ٨٥.

(٢) قارة الغز: حصن بأعلى منطقة جبلية جنوب تريم تم بناؤه من الحجر.

(٣) أحمد عبدالله شنبل: تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، تحقيق : عبد الله الحبشي، ص:٩٣، ١٠٠-١٠١.

(٤) سالم محمد بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق : عبد الله الحبشي، ص:٩٠، ١٢٥.

(٥) صالح الحامد: تاريخ حضرموت ج٢، ص:٦١٥-٦١٦.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

انفراد آل جميل بالسلطة من غير أبناء عمومتهم، ولكن بمشاركة حلفائهم من نهد، ثم تصالح الطرفان سنة ٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م [١] على إثر مقتل فاضل بن جميل زعيم بني سعد على يدي بني ظنة سنة ٧٦٩هـ/ ١٣٥٦م [٢] مما أدى إلى مؤازرة آل حسن لبني عمومتهم، ثم عادوا إلى شبام، غير أن الفرقة والعداوة حلت بينهم من جديد فاقتتلوا مرة أخرى، ودامت الحروب بينهم سنتين كاملتين من (٧٧٣-٧٧٤هـ)/ (١٣٧١-١٣٧٢م)، وانفرد بعدها آل جميل بالحكم وأخرجوا آل حسن من شبام [٣].

لم يستقر الأمر في شبام لآل جميل حيث تواصلت حروبهم مع آل ثعلب حتى عام ٧٩٤هـ / ١٣٩٣م ثم دخلوا في حرب مع أبناء عمومتهم آل مرة، واستعانوا عليهم بحليفتهم نهد حتى أخرجوهم من شبام.

وقد شارك آل جميل السعدي في تحالفات قبلية، وخاضوا حروباً مختلفة، حيث شاركوا ابن يماني في حربه ضد آل كثير ومن حالفهم، وكان النصر حليفاً لآل كثير[٤].

مما تقدم يتضح أن تأريخ دويلة بني سعد في شبام لم تكن إلا سلسلة من الحروب المتواصلة، خرجت منها القبيلة منهكة القوى، غير قادرة على إحكام قبضتها على شبام، وغير قادرة على الاحتفاظ بحكم المدينة؛ حيث وقعت فريسة سهلة بين أنياب حلفائها

(١) أحمد بن شنبل:المرجع السابق، ص: ١٢٤، ١٣٥.

(٢) صالح الحامد: المرجع السابق، ص:٦١٧.

(٣) نفس المرجع ونفس الصفحة .

(٤) سالم محمد بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة، تحقيق :عبد الله الحبشي، ص:١٣٦-١٣٧.

آل عامر من قبيلة نهد، واستطاعت نهد سنة ٨٢٣هـ / ١٤٢٠م الانفراد بحكم شبام وطرد آل جميل السعدي، وبعد عام واحد هاجم السلطان علي بن عمر الكثيري شبام، وتم توقيع اتفاق تتقاسم فيه نهد السلطة مع آل كثير، ولم تمض سوى فترة قصيرة حتى انفرد الكثيري بالحكم في شبام لتصبح شبام إحدى المدن الرئيسة التي حكمتها الدولة الكثيرية وكان ذلك في عام ٨٢٦هـ / ١٤٢٢م[١].

ب. دويلة آل إقبال في الشحر:

استعاد آل إقبال حكم الشحر سنة ٦٢١هـ / ١٢٢٣م، بعد رحيل القوات الأيوبية من حضرموت، وكان من أبرز سلاطينها عبد الرحمن بن راشد بن إقبال الذي استطاع إخضاع معظم حضرموت سنة ٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م[٢]، وقد ارتبطت إمارة آل إقبال بالدولة الرسولية، حيث كان حاكمها يدفع ضريبة سنوية تعبيراً عن تبعيته الاسمية للدولة الرسولية، وظل هذا الحال حتى توفي السلطان عبد الرحمن بن راشد سنة ٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م[٣].

وعندما أحس حكام الإمارة من آل إقبال أن شوكتهم قد قويت امتنعوا عن دفع الضريبة السنوية للدولة الرسولية، مما دعا حكامها لتجهيز حملة تأديبية سنة ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م، وتمكنت الحملة من دخول الشحر غير أنها لم تستطع إحكام القبضة عليها،

(١) أحمد بن شنبل: تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:١٦٦-١٦٧.

(٢) نفس المرجع، ص:٨١، ٨٨، ٨٩ .

(٣) سالم بن محمد بن حميد: المرجع السابق، ص: ٨٥.، ٩٠.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

ولذلك عاشت الشحر فترة اضطرابات، فتارة يحكمها نواب بني رسول وتارة يحكمها الحكام المحليون، واستمر هذا الحال حتى ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م[١] .

وفي مطلع القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي أصبحت الشحر تحت حكم آل فارس بادجانة [٢]، ومن أبرز زعمائهم سعد بن فارس بادجانة الكندي، وكان رجلاً طموحاً سعى إلى توسيع نفوذه، فقاد حملة على ظفار سنة ٨٢٥هـ/ ١٤٢١م، وكانت في ذلك الحين تحت حكم آل كثير، لكن حملته هذه باءت بالفشل بسبب العواصف [٣]، وتولى الحكم بعده ابنه شماسة الذي توفي سنة ٨٤٨هـ / ١٤٤٤م، وأوصى بالحكم لأخيه الأصغر، ونظراً لصغر سنه تولت أمه مقاليد الأمور بمساعدة إخوتها من قبيلة آل محمد المهرية [٤].

والجدير بالإشارة أن حكم بادجانة انحصر في هذه الفترة على الشحر وحريج والقرى المجاورة، فأخذ محمد بن سعد با دجانة يتطلع إلى توسيع نفوذه خارج الشحر، فجهَّز حملة على عدن بتحريض من جماعة من يافع (آل الكلدي)، زيَّنتْ له السيطرة على عدن بدافع الانتقام من حاكمها ابن طاهر، الذي كان قد طردهم إثر خلاف مع أبناء عمومتهم آل أحمد، ورغم أن أمه ووزيره نصحاه بصرف النظر عن هذه الفكرة فإنه ظل متمسكاً بها، وجهَّز حملة سنة ٨٦١هـ / ١٤٥٦ فهُزِمَ وأُسِرَ، وآل حكم الشحر إلى بني

(١) أحمد بن شنبل: تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ١٠٣، ١٤٠، ١٥٨، ١٥٩.

(٢) علوي الحداد: الشامل في تاريخ حضرموت، ص:١١٢.

(٣) سالم محمد بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، ص:١٤١.

(٤) أحمد بن شنبل: المرجع السابق، ص:١٧٨-١٧٩.

طاهر[١]، غير أن حكم آل طاهر للشحر لم يستمر، فقد تمكنت قوات السلطان بدر بن عبدالله بن علي الكثيري من دخول الشحر من غير قتال وذلك في سنة ٨٦٧هـ/ ١٤٦٢م، فأصبحت الشحر منذ ذلك التاريخ تابعة للدولة الكثيرية[٢].

ج. دويلة آل يماني في تريم

قبيلة آل يماني فرع من بني ظنة بن حرام بن قحطان. وقد سكنت قَسَم شرق تريم[٣]، ويرجع الفضل في قيام دويلتهم إلى مؤسسها الأول السلطان مسعود بن يماني، الذي استغل الفراغ الموجود بعد رحيل قوات الأيوبيين عن حضرموت ٦٢١هـ / ١٢٢٣م[٤] مستفيداً من بعض العوامل التي ساعدته على تحقيق هدفه منها:

١- عزوف آل راشد عن استعادة حكمهم لتريم بعد طرد الأيوبيين، رغم أنهم كانوا يملكون السلطة الشرعية في تريم قبل إسقاط دويلتهم على يد الأيوبيين سنة ٦١٦هـ/ ١٢١٨م.

٢- ضعف قبيلة نهد من الناحية الإدارية بحكم طبيعتها البدوية، ولهذا لم تفكر ببسط سلطتها على حضرموت رغم أحقيتها في ذلك، لكونها صاحبة الدور البارز في طرد الأيوبيين[٥].

(١) نفس المرجع، ص:١٨٨-١٨٩، علوي طاهر الحداد: المرجع السابق، ص:١١٢-١١٣.

(٢) سالم محمد بن حميد: المرجع السابق، ص:١٤٧-١٤٩، أحمد بن شنبل: المرجع السابق، ص:١٩١.

(٣) محمد بن أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ص:٣٥٢-٣٥٣.

(٤) صالح بن علي الحامد: تاريخ حضرموت، ص:٤٩٩، سالم محمد بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:٨٢- ٨٣ .

(٥) أحمد عبد الله شنبل: تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:٨٢-٨٣.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

٣- علاقته الطيبة بنهد وعلى وجه الخصوص خثيمة أقوى فروع نهد، ولذا لم يلق معارضة حين أنشأ أول حكم لبني ظنة في تريم [١] .

وقد توالى على حكم دويلة آل يماني بعد وفاة مؤسسها الأول مسعود بن يماني سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م عدد من السلاطين، وكان من أبرزهم السلطان راصع بن دويس، الذي تسلم السلطة سنة ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م، وقد شهد عهده منذ بدايته صراعات وحروبًا مع أبناء عمه على السلطة ومع قبائل حضرموت.

وقد أدرك السلطان راصع بن دويس الخطورة التي يشكلها آل كثير على دويلته خاصة بعد أن استطاعوا مدَّ نفوذهم إلى ظفار سنة ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م مستغلين انشغال آل يماني بصراعاتهم الداخلية، عندئذ سارع إلى إرسال حملة إلى ظفار في السنة نفسها بقيادة جسار بن أحمد، تمكنت من الاتفاق مع آل كثير في حكم ظفار مناصفة بين آل يماني وآل كثير[٢].

وأرسل حملة أخرى بقيادة راصع بن جسار لهذا الغرض ولكن الحملة فشلت وانفرد آل كثير بحكم ظفار سنة ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م [٣].

ويأتي التنافس بين الدويلتين في السيطرة على ظفار لأهميتها في ربط المناطق الداخلية بالساحل، ولكونها تعد ميناءً بحرياً مهماً، يمكن أن يساعد في رفد الخزينة بالأموال، وهي مع ذلك سهلة المنال من الناحية العسكرية.

---

(١) صالح بن علي الحامد: المرجع السابق، ص:٤٩٨.

(٢) سالم محمد بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق عبدالله الحبشي، ص:١٣٦.

(٣) أحمد بن شنبل: تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، تحقيق عبدالله الحبشي، ص:١٥٧.

وظلت قوة آل كثير في تصاعد مستمر؛ حيث استطاعوا السيطرة على ظفار وبور ومناطق أخرى[١]. فلما وصل دويس بن راصع إلى الحكم بعد وفاة أبيه سنة ٨١٣هـ/ ١٤١٠م[٢] وجد أن دويلة آل كثير قد صارت منافساً قوياً يصعب القضاء عليه.

هذا الواقع الجديد والصعب دفع بالسلطان دويس بن راصع إلى حشد التحالف من آل أحمد من بني ظنة، وآل جميل السعدي من بني كندة ضد آل كثير، والتقى الطرفان بالقرب من تريم سنة ٨١٦هـ/ ١٤١٣م، فانتصر آل كثير ومن حالفهم من آل عامر من نهد، والصبرات من بني ظنة.

ويعد هذا الانتصار حلقة مهمة من حلقات التنامي المستمر في قوة آل كثير، تزامنت معها حلقات خطيرة في مسلسل الانتكاسات التي منيت بها دويلة آل يماني في تريم؛ حيث نشأ صراع داخلي بين السلطان دويس من جهة وأبناء عمه من جهة أخرى، واستغل آل كثير هذا الصراع؛ حيث آزروا يماني بن محمد بن راصع ومن معه ضد عمه السلطان دويس مما مكنه من انتزاع السلطة من عمه ولكن إلى حين [٣].

عاد السلطان دويس إلى الحكم من جديد، ولكن في ظروف لا تبشر بخير، فالصراع الداخلي على أشده، والصراع مع دويلة آل كثير لم يتوقف؛ حيث استمر هذا الصراع بين الدويلتين في وادي حضرموت إلى آخر عهد السلطان محمد بن أحمد بن سلطان بن يماني

(١) محمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، ص:١٦-١٧.

(٢) سالم محمد بن حميد: المرجع السابق، ص:١٣٧.

(٣) أحمد شنبل: المرجع السابق، ص:١٦٥.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الذي امتد من ٩١٢هـ/ ١٥٠٦م إلى عام ٩٢٦هـ/ ١٥١٩م [١]، وسوف نتحدث عن سقوط هذه الدويلة فيما بعد.

د. دويلة الحبوظي في ظفار

تعد ظفار أحد المراكز التاريخية والمؤثرة في تاريخ حضرموت، وتقع على الساحل الشرقي الجنوبي للجزيرة العربية امتداداً لساحل حضرموت، وإقليم ظفار يحتضن مدينة ظفار وميناء مرباط[٢].

وقد بدأ حكم أحمد بن محمد الحبوظي لإقليم ظفار سنة ٦٢٠هـ/ ١٢٢٢م، واختط عاصمته ظفار بعد نهاية دويلة محمد بن أحمد الأكحل المنجوي، ويعتبر السلطان سالم بن إدريس الحبوظي أشهر سلاطين دويلة ظفار، وقد تولى السلطة بعد وفاة أبيه سنة ٦٧٠هـ/ ١٢٧١م[٣].

وقد عمل هذا السلطان على إخضاع حضرموت لحكمه، وجهز من أجل ذلك حملة قوية قادها بنفسه، وبدأت هذه الحملة سنة ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م، وخلالها اشترى سالم بن إدريس الحبوظي شبام من حكامها آل جميل من بني سعد، ثم سار بقواته ناحية تريم وتحالفت معه قبيلة نهد [٤]، وفرض عليها حصاراً قوياً قيل إنه استمر ثلاثة أشهر، غير أن عمر بن يماني لم يستسلم، بل حاول الاستعانة بابن شماخ، وظل الحبوظي يضيّق الخناق على تريم.

(١) سالم محمد بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق عبد الله الحبشي ، ص:١٤٠ ،١٤٩ ، ١٦٤، صالح الحامد: تاريخ حضرموت، ج٢،ص:٥٢٠ ،٥٣٤ ،٥٣٥.

(٢) صالح الحامد: نفس المرجع ، ج٢، ص:٥٩٠.

(٣) نفس المرجع، ج٢، ص:٥٩٦-٥٩٨.

(٤) أحمد بن شنبل:تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:١٠٠- ١٠١.

كما أرسل في الوقت نفسه بعض قواته صوب دمون، والعجز، والغيل الأعلى[١]، وسيئون، وبعدما تمكن من فرض سيطرته على هذه القرى بالقوة أو بالشراء رفع الحصار عن تريم، وسار إلى شبام، وهناك اجتمع بأخيه موسى الحبوظي، وبعد مشاورات بينهما عاد سالم الحبوظي إلى ظفار وترك آل كثير في هذه المناطق يتولون أمرها نيابة عنه [٢].

كما أعد الحبوظي قوة للسيطرة على الشحر وعدن بعد دخول قوات بني رسول الشحر سنة ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م، ولهذا السبب تأزم الموقف بين الحبوظي وبين الملك المظفر حاكم الدولة الرسولية الذي أرسل حملةً عسكرية كبرى مكونة من ثلاث فرق، يقودها شمس الدين، بلغ تعدادها خمسمائة من الخيل والفرسان، وسبعة آلاف جندي، واتجهت شرقاً حتى اقتربت من ظفار، ودارت معركة بين الطرفين قتل فيها الحبوظي وزالت مملكته في سنة ٦٧٨هـ/ ١٢٧٥م.

ولم يكن الحبوظي سحابة صيف مرت بوادي حضرموت ثم انقشعت من غير أثر، بل على العكس من ذلك فقد كان أحد الأسباب الرئيسة التي هيأت لقيام دولة آل كثير في حضرموت، حيث سلم المناطق التي سيطر عليها لآل كثير ليحكموها نيابة عنه، وبسقوط دويلته في ظفار آل إليهم حكم تلك المناطق، وتمكنوا من تأسيس دولتهم التي لعبت دوراً مهماً في تأريخ حضرموت.

(١) دمون: قرية تقع شرق تريم،العجز: تقع شرق وادي حضرموت، عبد الرحمن السقاف: إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ق:١٥٤أ،٢٣٢أ، ٢٣٨أ.

(٢) سالم محمد بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:٩٠، ١٠٢.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وقد خلَّف الحبوظي في وادي حضرموت بعض المعالم التاريخية؛ حيث بنى بعض الحصون ودور الضيافة خصوصاً في قرى وادي عمد غرب حضرموت[١] .

هـ. الدولة الكثيرية قبل عهد السلطان بدر بو طويرق:

ارتبط اسم الدولة الكثيرية في حضرموت باسم القبيلة التي أنشأتها، شأنها في ذلك شأن أغلب القبائل التي أنشأت لها دويلات في حضرموت، وقبيلة آل كثير كان لها فرعان في حضرموت:

الفرع الأول: يعود نَسَبُه إلى همدان من أرض اليمن، وينتهي نسبهم إلى قحطان ومن فروع آل كثير الذين ينسبون أنفسهم إلى همدان آل جعفر بن الظويمر، وآل جعفر بن طالب، وآل عامر بن سالم بن يماني [٢].

الفرع الثاني: وهو البيت الذي وصل إلى حكم السلطنة الكثيرية فيعود نسبهم إلى كثير بن ظنة بن حرام بن عامر بن سبأ الأكبر بن يشجب بن يعرب بن قحطان[٣] .

وقد قدموا من ظفار ونزلوا شرق وادي حضرموت، ولهم قرية تسمى الغيضة في بلاد المهرة، وفي شرق تريم اختط آل كثير قرية لهم تسمى عينات، كان ذلك في القرن السادس الهجري/ القرن الثاني عشر الميلادي[٤] .

---

(١) سعيد عوض با وزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص:٩٥.

(٢) أحمد بن حسن العطاس: هذه شجرة في أنساب العرب القاطنون بالجهة الحضرمية ، مخطوطة، ق:٥أ-٦أ.

(٣) محمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، ص:٢ ،٣، ٣٦.

(٤) نفس المرجع، ص: ٣

وقد بدأ آل كثير يفكرون في تأسيس كيان سياسي لهم منذ أوائل القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي بعد رحيل القوات الأيوبية، وقتل قائدهم عمر بن مهدي سنة ٦٢١هـ/ ١٢٢٣م[١] .

ولم يكن آل كثير هم القوة السياسية الوحيدة التي بدأت تتطلع إلى السيطرة والحكم في هذه الظروف، فقد ظهرت إلى جانبها قوى أخرى، استغلت هذه الظروف واستطاعت أن تقيم كياناتها السياسية في مختلف أنحاء حضرموت كما مر معنا.

بدأ النشاط السياسي لآل كثير بإجراء اتصالات مكثفة برجال الدين والشخصيات المتعلمة في المجتمع الحضرمي، سعياً لكسب تأييد شعبي لدولتهم المنشودة[٢] .

وبعد مرحلة الترويج الإعلامي بدأوا في المرحلة الثانية بإقامة نقاط حربية في بعض المواقع، مما أثار آل يماني فأرسلوا قواتهم لمحاصرة قرية عينات مركز آل كثير سنة ٦٣١هـ/ ١٢٣٣م[٣].

وقد أشرنا إلى أن الحبوظي قد أناب آل كثير لحكم قرى وادي حضرموت التابعة لحكمه عندما سحب قواته منها، وذلك مقابل بعض الضرائب التي فرضها عليهم.

وبمقتل الحبوظي بعد معركة ظفار في سنة ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م وزوال دويلته تولى آل كثير الحكم في المناطق التي كان يحكمها الحبوظي[٤]، وقاموا بخطوة عملية لتثبيت أقدامهم في حضرموت فاستولوا على قرى السرير (الحزم، وقبوسة، والحول، وسيئون)

(١) سعيد عوض باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص:٩٠.

(٢) محمد بن هاشم: المرجع السابق، ص: ٦-٧.

(٣) نفس المرجع:٢، ٦، ١٧.

(٤) أحمد بن شنبل: تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:١٠٠-١٠٤.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الواقعة في وسط وادي حضرموت، وتركوا لبعض زعماء القبائل حكم قراهم[١]، كما شن آل كثير هجوماً على بور وأخضعوها لحكمهم بعد رفض حاكمها با لنجار من قبيلة كنده تسليمها في عام ٧٢٣هـ/ ١٣٣٣م[٢].

وفي مطلع القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي جهزوا حملة قوية استطاعوا من خلالها الاستيلاء على مدينة ظفار وطرد حاكمها الموالي للملك المظفر عمر بن علي بن رسول سنة ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م[٣] . وهكذا استمر آل كثير في حشد قواهم ورص صفوفهم حتى أصبحوا قوة لا يستهان بها.

أقلق هذا النصر حاكم تريم راصع بن دويس، فبادر بإرسال حملة لانتزاع ظفار من يد آل كثير غير أنه فشل في ذلك واكتفى بالاتفاق معهم على حكمها مناصفة كما ذكرنا سابقاً، غير أن آل كثير استطاعوا إزاحة منافسهم وانفردوا بحكم ظفار سنة ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م، لم يتقبل ابن يماني هذا التصرف، فتحالف مع ابن جسار وجهز حملة لاستعادة ظفار سنة ٨١٦هـ/ ١٤١٣م، غير أن حملته هذه باءت بالفشل الذريع، وبذلك أحكم آل كثير قبضتهم على ظفار التي تحتل موقعاً استراتيجياً من الناحية السياسية والاقتصادية، وأضافوا بذلك نصراً جديداً إلى انتصاراتهم السابقة، وخاصةً سيطرتهم على بور التي تتوسط وادي حضرموت من جهة الشرق، والتي تمثل نقطة ارتكاز يتم التوسع منها شرقاً وغرباً[٤].

(١) محمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، ص:١٣-١٤، سالم محمد بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ١٠٢، ١٢٤

(٢) أحمد بن شنبل: المرجع السابق، ص: ١١٦.

(٣) سالم محمد بن حميد: المرجع السابق، ص:١٣٦.

(٤) أحمد بن شنبل: المرجع السابق، ص:١٥٧-١٦١، سالم محمد بن حميد: نفس المرجع، ص:١٣٦.

هذه الانتصارات المتلاحقة التي حققها زعيم آل كثير علي بن عمر الكثيري شجعته لإعلان قيام الدولة الكثيرية، وإعلان نفسه سلطاناً لها، وبذلك صار المؤسس الأول لهذه الدولة بعد ولادة متعسرة سنة ٨١٦هـ/ ١٤١٣م، واتخذ بور عاصمة لدولته، كما جعل ظفار عاصمةً ثانية لهذه الدولة الفتية[١] .

بهذا الحدث الكبير تبدأ مرحلة جديدة في تاريخ حضرموت، حيث أصبحت في وادي حضرموت دويلتان تتنافسان في السيطرة والسيادة على هذا الوادي، هما دويلة آل يماني ودويلة آل كثير، ولهذا شهدت حضرموت خلال هذه المرحلة سلسلة من الصراعات الدامية بين هاتين الدويلتين، حيث سعت كلٌ منهما إلى القضاء على الأخرى، ومن أجل هذا الهدف تشكلت الأحلاف، وشُنَّت الغارات، واستمر هذا الوضع إلى سنة ٨١٩هـ/ ١٤١٦م[٢] .

وخلال هذه المرحلة تمكن السلطان علي بن عمر الكثيري من توسيع حدود سلطنته في وادي حضرموت، وتحصين عاصمته بور؛ حيث أنشأ قرية الحسيسة[٣] المقابلة للعاصمة بور، واللاصقة بالجبل من جهة الجنوب؛ لتكون نقطة دفاعية متقدمة لصد الهجمات على العاصمة، كما أخذ يعدّ العدَّة للسيطرة على شبام ذات المكانة الاستراتيجية من الناحية التجارية والسياسية نتيجة لموقعها في وسط وادي حضرموت، وكانت محاولته الأولى سنة ٨٢١هـ/ ١٤٢١م عندما شن هجوماً على شبام، وعقد مع حكامها آل عامر من نهد اتفاقاً يقضي بحكم شبام مناصفةً وبعد الاستعداد الجيد قام بالمحاولة الثانية سنة ٨٢٦هـ/ ١٤٢٣م، وتمكن هذه المرة من طرد آل عامر وانفرد بحكم شبام.

(١) محمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، ص:١٦.

(٢) أحمد شنبل: تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:١٦٦، ١٦٧.

(٣) الحسيسة: قرية مقابلة لبور وتقع على سفح الجبل الجنوبي شرق سيؤن.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وبعد حياة مليئة بالأحداث، كرس خلالها جهده لإعلان الدولة الكثيرية توفي السلطان علي بن عمر الكثيري سنة ٨٣١هـ/ ١٤٢٧م. وجاء من بعده ابنه عبد الله[١] .

عمل عبدالله بن علي الكثيري على تثبيت دعائم دولته، وسعى إلى تعزيز سلطته في شبام؛ حيث قام خلال عامين بمهاجمة بعض القرى شرق وادي حضرموت، ومن هذه القرى (اللسك[٢]) وما حولها، كما هاجم بعض قرى وادي بن علي مثل قريتي باهزيل وجفل، الواقعتين جنوب شرق شبام، وهما تحت حكم نصار بن جميل السعدي[٣]، غير أن أهم أعماله التي حققها للدولة الكثيرية هو سيطرته على سيئون سنة ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م التي صارت عاصمة للدولة الكثيرية فيما بعد.

وبحكم أن معظم نشاط الدولة الكثيرية في تلك الفترة يتحدد في الجانب الحربي لمواجهة التحديات الصعبة والمخاطر الكبيرة التي تتعرض لها الدولة فقد استعان السلطان عبدالله بأخويه محمد وبدر في تثبيت دعائم دولته، فعين بدراً قائداً للقوات، وعين محمداً حاكماً على ظفار، وقد قتل بدر في معركة تريم سنة ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م عندما حاولت قواته دخول تريم حيث تصدى لهم حاكمها دويس بن راصع، أما محمد فقد قتل على يد رجال من بادية ظفار وهو في طريقه إلى وادي حضرموت في الفترة نفسها، وتوفي السلطان عبد الله سنة ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م وخلفه من بعده ابنه محمد[٤].

---

(١) أحمد عبد الله شنبل: المرجع السابق، ص:١٦٦-١٧٠.

(٢) اللسك: تعرف باسم القرية، وتقع شرق تريم.

(٣) أحمد شنبل: تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:١٧٣-١٧٦، عبدالرحمن عبيد اللاه السقاف: إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ق: ٢٣٤أ، سالم بن محمد بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ١٤٣.

(٤) أحمد شنبل: المرجع السابق، ص:١٧٤، ١٧٦، ١٨٠.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

وواجهت السلطان محمد معضلة كبيرة عند توليه الحكم؛ حيث أن ابن يماني قد حشد له قوةً كبيرة من تحالف قبائل السرير والمسفلة ولكنه تمكن بدهائه وحنكته من إخمادها[١].

وبعد خمس سنوات من حكمه خالية من أية تطورات مهمة ومؤثرة توفي السلطان محمد بن عبد الله الكثيري سنة ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م وخلفه أخوه بدر بن عبد الله[٢].

ومع بداية عهد السلطان بدر جمع آل يماني جموعهم، وحملوا على بدر في معركة كبيرة جرت في جَلَحْبَان القريبة من قرية كحلان شرق تريم، وكان نتيجتها انتصار السلطان بدر سنة ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م[٣].

وفي عهد السلطان بدر بدأ الصراع على السلطة بين آل كثير، ففي سنة ٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م أخذ علي بن محمد ينافس عمه السلطان بدر على الحكم، فسارع السلطان بدر إلى التخلص منه فقتله خشية أن يؤدي تطلعه إلى السلطة إلى تفاقم الصراع داخل آل كثير[٤].

وقد ظن السلطان بدر أنه بتخلصه من ابن أخيه قد هدَّأ الأوضاع داخل الأسرة الكثيرية فاتجه بأنظاره صوب تريم للإجهاز على دويلة آل يماني التي ظلت شوكةً في حلق الدولة الكثيرية غير أن حملته التي قادها سنة ٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م عجزت عن دخول تريم بعد حصار دام أربعة أشهر[٥].

غير أن الصراع الداخلي، والتطلع إلى الحكم لم يهدأ كما ظن السلطان بدر؛ حيث ظهر في الشحر ابن أخيه بدر بن محمد الذي حاول الاتصال بآل طاهر في عدن ليقرُّوه

(١) محمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، ص:٢٣.

(٢) شنبل: المرجع السابق، ص:١٤٥، ١٨٣.

(٣) سالم محمد بن حميد: المرجع السابق ، ص: ١٤٣، ١٤٦.

(٤) سالم بن محمد بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ١٤٧.

(٥) أحمد عبد الله شنبل: تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:١٩٠.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

حاكماً من قبلهم على الشحر بعد إسقاطهم لدويلة بادجانة غير أن السلطان بدر بادر بالوصول إلى الشحر ودخلها من غير قتال سنة ٨٦٧هـ/ ١٤٦٢م وعيَّن ابن أخيه بدر الطامع في الحكم حاكماً عليها، ولعله أراد بهذا التصرف الحيلولة دون وقوع انشقاق في قبيلة آل كثير.

وتابع السلطان بدر توسعاته في حيريج سنة ٨٧١هـ/ ١٤٦٦م، كما تمكنت قواته من دخول تريم سنة ٨٨٩هـ/ ١٤٦٩م.

وبعد هذه الانتصارات توفي السلطان بدر بن عبدالله سنة ٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م، ودفن في شبام[١] .

وتولى الحكم جعفر بن عبد الله بن علي بن عمر الكثيري بعد وفاة أخيه السلطان بدر، وجعفر هو جد السلطان بدر بوطويرق[٢]، وقبل توليه السلطة تعرضت عاصمة الدولة الكثيرية (بور) للهجوم من قبل آل يماني ومَنْ تحالف معهم، واستطاع جعفر أن يلحق بابن يماني هزيمة منكرة في منطقة تدعى صوح بالقرب من تريم[٣].

وفي عام ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م استولى السلطان جعفر على الشحر، التي كانت تحت حكم سعد بن مبارك با دجانة، الذي كان قد انتزعها من يد السلطان بدر بن محمد.

ونشب بين السلطان جعفر وابن أخيه بدر الذي انفرد بحكم شبام خلاف تحوَّل إلى صراع على السلطة، انتهى بتوقيع اتفاق تولى فيه بدر بن محمد حكم شبام وما والاها وحكم وادي ابن علي، وضم السلطان جعفر الغرفة إلى نفوذه سنة ٩٠١هـ/ ١٤٩٥م.

(١) علوى طاهر الحداد: الشامل في تاريخ حضرموت،ص:١١٥- ١١٧ .

(٢) محمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، ص:٢٥.

(٣) سالم محمد حميد: المرجع السابق، ص:١٤٩-١٥٠.

وبعد تسع سنوات من الحكم قتل السلطان جعفر غدراً على يد الظلفان (فرع من قبيلة نهد) سنة ٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م[١].

وتولى الحكم بعده ابنه عبد الله بن جعفر بن عبد الله، الذي كان يملك خبرةً كافية في شؤون البلاد، اكتسبها من ولايته على الشحر في عهد والده، وعبد الله هذا هو والد السلطان بو طويرق أبرز حكام الدولة الكثيرية[٢] .

وقد تميز السلطان عبد الله بن جعفر بحبه للعدل والامتثال له، ومما ذكر له في هذا الأمر أنه اشتكاه رجل في قضية حصان فحكم القاضي عبد الله بن حسن بن عبسين لصاحب الحصان على السلطان وقَبِل السلطان الحكم[٣].

كما تميز السلطان عبد الله بالحزم والشدة، ومن الأمثلة على ذلك أنه أقدم على قتل أخويه بدر وعمر لتآمرهما عليه في سنة ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م، كما كان موقفه مع الظلفان أشد حزماً حيث انتقم لمقتل والده أشد الانتقام[٤].

وبعد حياةٍ سياسية تميزت بالهدوء النسبي وافته المنية سنة ٩١٠هـ/ ١٥٠٤م وخلفه أبناؤه محمد وبدر (بو طويرق)[٥].

(٢) محمد عمر با فقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي،ص:١٣ ،١٤ ،١٩.

(٣) محمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، ص:٢٦-٢٧.

(٤) محمد عمر با فقيه: المرجع السابق، ص: ٥٥.

(٤) سالم محمد بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:١٥٥-١٥٦.

(٥) محمد عمر با فقيه: المرجع السابق، ص: ٥٥-٧٥.

للنسخة الورقية زر أو كلم +200100817022 WWW.DARALWEFAQ.NET

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الفصل الثاني

تولِّي السلطان بدر بن عبدالله بوطويرق الكثيري الحكم في السلطنة الكثيرية وتوسعاته

أ. إسقاط الدويلات الـمستقلة

ب. إخضاع الرئاسات القبلية والروحية

جـ. جهود السلطان في توحيد سواحل حضرموت والمهرة وشبوة.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

تولي السلطان بدر بن عبدالله بوطويرق الكثيري الحكم وتوسعاته وجهوده لتوحيد حضرموت:

تحدث الباحث في الفصل السابق عن ظروف نشأة الدولة الكثيرية في حضرموت، واستعرض الأحداث التي مرت بها منذ بداية تأسيسها حتى نهاية عهد السلطان عبد الله بن جعفر المتوفى سنة ٩١٠ هـ/ ١٥٠٤م وهو والد السلطان بدر بوطويرق.

وبوفاته آل الأمر إلى ولده الأكبر محمد، الذي تنازل بمحض إرادته عن الحكم لأخيه بدر في سنة ٩٢٦ هـ / ١٥١٩ م[١] ، وكتب ذلك بيده إلى إمام مسجد الشحر الشيخ أحمد بن محمد السبتي، وجاء فيه: إنه خلع الأمر لأخيه السلطان بدر، وأمر أن يُسقط اسمه من الخطبة وأن يُدعَى لأخيه بدر[٢].

وهذا الأمر قد حدث للمرة الأولى في تاريخ السلطنة الكثيرية، ولعل السبب يرجع إلى صفات شخصية السلطان بدر بن عبد الله بن جعفر الكثيري المتميزة.

(١) محمد بن هاشم: الدولة الكثيرية، ص: ٣٠ -٣٣.

(٢) محمد بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر ، تحقيق عبد الله الحبشي،ص: ١٥٤. محمد بن هاشم: نفس المرجع، نفس الصفحتين،

فقد ولد بشبام سنة ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م، وتميز منذ طفولته بذكائه الحاد ومواهبه المتفتحة، ونشأ في أسرة حاكمة، وبدأت تظهر عليه ملامح الزعامة والقيادة، والشجاعة والإقدام، والثقة بالنفس، ورغبته في الرئاسة ومظاهرها(١).

فلم يبلغ العشرين من عمره حتى تصدى لتصريف أمور البلاد، والمشاركة في الحكم، وكان ذلك سنة ٩٢٢ هـ/ ١٥١٦م ، وقد لقي هذا الاتجاه ترحيباً من قبل أخيه السلطان محمد في بداية الأمر، حيث أعجب بشخصيته، وقدراته، ومواهبه، وحسه المتيقظ، مما دفعه إلى التخلي عن الحكم له رسمياً سنة ٩٢٦هـ/ ١٥١٩م(٢).

وفضَّل السلطان محمد إفساح المجال لأخيه بدر من غير الدخول في صراع يذهب بهيبة الدولة، ويتسبب في ضعفها وتفككها، واكتفى محمد بولاية ظفار(٣)، رغم أن ظاهرة تعدد السلاطين في الدولة الكثيرية ظاهرة مألوفة منذ عهد عمهم السلطان بدر بن عبد الله سنة ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م(٤).

وكان السلطان بدر من أبرز سلاطين الدولة الكثيرية الذين وصلوا إلى السلطنة، فقد جمع بين الجندية والسياسة، وهو قائد عسكري وسياسي، أسس قواعد السلطنة

(١) سالم بن محمد بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق: عبد الله الحبشي، ص: ٢١٥، سعيد عوض باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي ص ١١٩.

(٢) محمد بن عمر با فقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق: عبد الله الحبشي، ص: ١٤٩- ١٥٤، محمد بن هاشم: الدولة الكثيرية، ص: ٣٠ - ٣٣.

(٣) محمد عبد القادر با مطرف: الشهداء السبعة، ص: ٧٧.

(٤) محمد بن أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي،ج٢ ، ط٣، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص: ٢٣٤- ٢٣٥.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الكثيرية لنفسه ومهدها لمن جاء من بعده. اعتمد في إدارة البلاد والقضاء وشئون الأوقاف والتعليم وقيادة القوات العسكرية على نخبة من العلماء والمشائخ وأصحاب الخبرة وشخصيات ذات كفاءة عالية، فكان موفّقاً في اختياراته[١]، فنهجه الذي أظهره الاعتصام بحبل الدين، والعمل بمقتضى الشريعة الإسلامية بما جاء في الكتاب والسنة، والحكم بالعدل[٢].

وقد تولى السلطان بوطويرق زمام الحكم في فترة عصيبة، وظروف سياسية صعبة كان أبرز مظاهرها تعدد السلطات في حضرموت، وهي الإطار الجغرافي الذي ترعرعت فيه الدولة الكثيرية[٣]، وقد اتخذت هذه السلطات أشكالاً عدة منها:

١- دويلات مستقلة تفرض سيطرتها على مناطق محددة، مثل دويلة آل يماني التي ظهرت في تريم قبل ظهور الدولة الكثيرية، وظلت تعاصرها حقبة زمنية طويلة في شرق حضرموت [٤]، وهناك سلطنة آل محمد الكثيري في شبام وما حولها [٥]، أضف إلى ذلك وجود سلطنات صغيرة ودويلات في غرب حضرموت مثل: آل عبد الواحد، والعولقي، وبن سدة [٦].

---

(١) محمد بن عمر با فقيه: المرجع السابق، ص: ٣٢٠، ٣٢٥- ٣٨٧، ٣٨٨.

(٢) وثيقة مكاتبة بين الإمام شرف الدين والسلطانين محمد وبدر أبناء عبد الله بن جعفر الكثيري سنة ٩٣١هـ، مخطوطة، محفوظة في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء، ق: ٢٠٧ أ ـ ٢٠٩ أ.

(٣) سعيد عوض باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص: ١٢٠.

(٤) صالح الحامد: تاريخ حضرموت، ج ٢، ص ٥٣٣ – ٥٣٤

(٥) أحمد بن شنبل: تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ٢١٥- ٢٣٣.

(٦) علوي الحداد: الشامل في تاريخ حضرموت، ص ٥٣ – ٥٤، ١٢٣، ١٢٧.

٢- رئاسات قبلية مستقلة، تسيطر سياسياً وعسكرياً على مناطق تواجدها التقليدية، وتطمح إلى توسيع نفوذها، مثل قبيلة نهد في منطقة الكسر في وسط حضرموت وغربها[١].

٣- سلطات روحية عملت على توسيع نفوذها بين أتباعها بممارسة نشاط سياسي، وتكوين كيانات خاصة بها، مثل الشيخ العمودي في وادي دوعن غرب حضرموت[٢].

هذه صورة موجزة عن السلطات المنتشرة في حضرموت، ولا نغفل عن الوضع القبلي العشائري الذي كان يهيمن على حضرموت بأكملها ، وكانت كل قبيلة تحاول الانفراد بحكم منطقتها، والإغارة على المناطق الأخرى بدافع السلب والنهب، الأمر الذي نتج عنه أضرار اجتماعية واقتصادية بالغة[٣]، أضف إلى ذلك تحفز القوى الاستعمارية البرتغالية وهجماتها على ساحل الشحر والسواحل العربية الجنوبية بشكل عام[٤].

هذه هي الظروف التي كانت تحيط بسلطنة بدر بن عبدالله بوطويرق عشية استلامه مقاليد السلطة رسمياً سنة ٩٢٦هـ / ١٥١٩م، وهذه هي الصعاب والتحديات الكبيرة التي وجد نفسه أمامها وجهاً لوجه، والتي كان عليه تجاوزها والتغلب عليها، ولم تكن

(١) سالم بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:٨٢-٨٥.

(٢) سعيد عوض باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي ، ص: ١٢٩ – ١٣٠.

(٣) سعيد عوض باوزير: المرجع السابق، ص: ١٢٨، محمد بن أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ج٢، ط٣، ١٩٩٤م، ص:٢٢٦- ٢٢٧، ٣٣٨ - ٣٣٩.

(٤) محمد عبد القادر با مطرف: الشهداء السبعة، ص:٨٣-٨٤.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ظروف العصر، ولا جهاز الدولة وإمكاناتها من القوة والتنظيم بالقدر الذي يساعده على تذليل الصعاب، وقهر التحديات، حيث لم يكن يمتلك جيشاً منظماً، ولا أسطولاً بحرياً، زد على ذلك غياب نظام مالِيٍّ وإداريٍّ، وضعف في القضاء[١].

اهتم السلطان بدر بن عبدالله بوطويرق الكثيري بالشحر وجعلها عاصمة لدولته الرئيسة لأهميتها السياسية والاقتصادية، فقد تميزت مدينة الشحر بمكانتها منذ عهد دويلة آل إقبال الكندية في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، حيث أصبحت مركزاً سياسياً مهماً في ساحل حضرموت[٢]، وقد سبقت الإشارة إلى تاريخها السياسي في الفصل الأول من هذا البحث.

واحتلت الشحر مكانة اقتصادية بحكم موقعها الاستراتيجي على الساحل العربي، فهي تعد الميناء الرئيس لساحل حضرموت[٣].

وعرفت الشحر تاريخياً ببعض الأسماء منها (الأَشْغَا) نسبة لوادي الأشْفَا الذي يحيط بها من الجهة الشرقية، وسميت (سمعون) نسبة للوادي الذي يشق المدينة، وهي تقع على جانبيه الشرقي والغربي، كما سميت الشحر بالأحقاف نسبة للرمال التي من حولها، ومن الأسماء المشهورة التي سميت بها الأشحار نسبة إلى سكانها من المهرة، عرفوا بالشحر[٤].

(١) محمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، ص:٣٦-٣٧.

(٢) علوي بن طاهر الحداد: الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها، ص: ١١٠-١١١.

(٣) محمد بن أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ص: ٢٨٥-٢٩٩، محمد عبد القادر با مطرف: الشهداء السبعة، ص: ٤١، ٤٥.

(٤) علوي الحداد: المرجع السابق، ص: ١٠٩.

وفي عهد السلطان بدر بوطويرق شهدت الشحر تطوراً ملموساً نتيجة لتركز دور السلطان بها مثل حصن الدولة، ودار جباية الإتاوات (الضرائب)، والمدرسة السلطانية التي غدت مركزاً علمياً.

وأصبحت الشحر مركزاً تجارياً داخل حضرموت، ومركزاً تجارياً خارجياً في إطار شبه الجزيرة العربية يتمتع بمكانة عالمية، وستتضح هذه المكانة السياسية والاقتصادية والعلمية كما سيأتي.

وأدرك السلطان بدر بوطويرق المشكلات التي ستواجه دولته في المرحلة القادمة، لذلك انتهج سياسة داخلية محنكة، فقد ثبَّت سيئون عاصمة سياسية ثانية بحكم موقعها الجغرافي في الوادي، فهي تساعد في فرض هيبة الدولة في شمال وادي حضرموت وشرقه، وما تمثله سيئون باعتبارها المركز السياسي والاجتماعي الذي حرص آل كثير على الاحتفاظ به منذ إعلان الدولة الكثيرية في مطلع القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي[١].

وبنى السلطان بدر بوطويرق حصناً وبجواره مسجداً في سيئون، وبعد ذلك في عهد الدولة الكثيرية المتأخرة في التاريخ الحديث و المعاصر تم بناء القصر السلطاني في الموقع نفسه[٢].

(١) محمد بن هاشم: الدولة الكثيرية، ص: ١٦.

(٢) عبد القادر محمد الصبان: تعريفات تاريخية عن وداي حضرموت، سيئون، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، ط٣، ١٩٨٥م، ص: ١١.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وفي إطار هذا الموضوع وعند التعرض للحديث عن توسعات السلطان بدر بوطويرق وخاصة في وسط وادي حضرموت وغربه سنتعرف على السياسة التي انتهجها السلطان باستحداث عاصمة ثالثة للدولة الكثيرية في وسط وادي حضرموت وغربه، وقد اختار (هينن) بحكم موقعها في هذه المنطقة، و رأى السلطان في ذلك ضرورة تتطلبها الظروف المحيطة بدولته، ومن الأهداف الرئيسة التي دعته إلى ذلك هو تثبيت حكمه في وسط وادي حضرموت وغربه بحكم معرفته السابقة عن الرئاسات القبلية والروحية في هذه المنطقة، التي تميل بطبيعتها إلى الاستقلالية وعدم الخضوع لحكم الدويلات، التي تعاقبت على حكم وادي حضرموت سواءً التي ظهرت في تريم أو في شبام خلال الفترة السابقة.

وأبرز ما تميز به السلطان بدر أنه تجاوز النظرة الضيقة والطموحات المحدودة التي كبّلت سابقيه، وأخذ يتطلع إلى توحيد حضرموت في إطار دولة مركزية، ولهذا السبب استهل عهده بالتوسعات وضم المناطق، وقد حقق في هذه السياسة نجاحاً ملحوظاً، حتى صار يعرف في حضرموت بكنيته الشهيرة (أبو طويرق)؛ لأنه إذا طرق جهة من الجهات استولى عليها[1].

(١) محمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، ص: ٣٤ ، ٣٦، عبد الرحمن بن عبيد اللاه السقاف: إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، مخطوطة، ق: ٤أ.

ومن أجل تحقيق هذا الهدف اتخذ بعض الخطوات منها:

تصحيح الجهاز الإداري والقضائي للدولة، وتكوين جيش شبه منظم يساعد السلطان على تحقيق طموحاته، كما سعى السلطان إلى إبعاد المنافسين له من داخل الأسرة الكثيرية وخارجها والذين رأى في وجودهم حجر عثرة تحول دون المضي في الطريق المرسوم لتأسيس دولته[١].

أ. إسقاط الدويلات المستقلة:

كانت أولى المهام التي توجب على السلطان بدر القيام بها في هذا الاتجاه هي: القضاء على دويلة آل محمد الكثيرية في شبام، من غير أي تأخير، ثم مواجهة القوى السياسية المنافسة الأخرى، وقد كان السلطان بدر بن محمد الكثيري قد تولى حكم شبام في ظل حكم عمه السلطان جعفر بن عبدالله، غير أنه كان يتطلع إلى الانفراد بحكم شبام، مما أدى إلى نشوب خلافات وصراعات متبادلة بين الاثنين، حتى تم توقيع صلح بينهما تضمن إعطاء بدر بن محمد حكم شبام وما والاها ووادي بن علي[٢] سنة ٩٠٣ هـ/ ١٤٩٧م[٣] .

ورغم هذا الصلح فإنَّ خلافات آل محمد ظلت قائمة في عهد السلطان عبدالله بن جعفر وابنه السلطان محمد الذي تبادل معهم الغارات إلى أن حُسم الموقف بتوقيع صلحٍ

(١) صلاح البكري: حضرموت وعدن وأمارات الجنوب، ص: ٧٦ - ٧٧.

(٢) وادي ابن علي: أحد الأودية الفرعية في حضرموت، يضم عدداً من القرى ويقع جنوب شرق شبام، عبد الرحمن بن عبيد اللاه السقاف: إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ق:١٢٥أ-١٢٦أ.

(٣) أحمد بن شنبل: تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، تحقيق: عبد الله الحبشي، ص: ٢١٢ – ٢١٥.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

ثانٍ سنة ٩١٤ هـ /١٥٠٨م، وتضمن هذا الصلح إعطاء آل محمد شبام وما والاها وحذية[١] ووادي بن علي وذي أصبح[٢]، وألفي دينار سنوياً، على أن يتعهد آل محمد بعدم إقامة أية تحالفات قبلية، أو شن أية حرب، أو غارة على ممتلكات الدولة الكثيرية، ووضعت شبام رهينة من قبل آل محمد، أي أن اتفاق الصلح تضمن شرطاً جزائياً ينص على إعادة شبام وما والاها إلى الدولة الكثيرية في حال المخالفة من طرف آل محمد[٣]، واستمر هذا الاتفاق حتى توفي السلطان بدر بن محمد الكثيري[٤].

كانت بداية تحرُّك السلطان بدر بن عبد الله بوطويرق في سبيل تثبيت هيبة الدولة، وتوسيع نفوذها، وإقصاء المنافسين، وإزالة الخطر الذي يشكلونه سنة ٩٢٦هـ ١٥١٩م، حيث جهَّز حملة عسكرية قوية كان المماليك من العناصر المشاركة فيها، وتولى قيادتهم القائد المملوكي رجب[٥]، وقد جهزت الحملة بالبنادق النارية (أبو فتيلة). وهو أول ظهور لها في حضرموت، وأثار خبرها الفزع والرعب في قلوب الناس[٦].

(١) حذية إحدى قرى القطن في الجانب الشرقي.

(٢) ذي أصبح: إحدى قرى السرير بوادي حضرموت، شرقي شبام، عبد الرحمن بن عبيد اللاه السقاف: المرجع السابق، ق: ١٠٨أ، ١٢٢أ، ١٢٥أ، ١٣٢أ.

(٣) أحمد بن شنبل: تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، تحقيق: عبد الله الحبشي، ص:٢٣٣.

(٤) سالم محمد بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ١٦٠.

(٥) محمد بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي ص ١٤٩ – ١٥٠. سالم محمد بن حميد: نفس المرجع، ص ١٦٤،

(٦) سالم محمد بن حميد: نفس المرجع ، نفس الصفحة.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وقد وصلت الحملة إلى شبام معقل آل محمد، وأرسل بوطويرق كتاباً يدعوهم فيه إلى تسليم شبام وما والاها (حذية وذي أصبح ووادي بن علي) من غير قتال، ووعدهم بالأمان على أنفسهم إذا وافقوا، وتوعدهم في حال رفضهم بدخول شبام بالقوة والبطش والتنكيل بهم[١].

وضعهم هذا الكتاب أمام خيارات صعبة، ومع أن الاستسلام كان الأكثر واقعية، حفظاً للأرواح، وصيانةً للممتلكات، وذلك للفارق الكبير بين القوتين. لكن آل محمد لم يبالوا بالإنذار، وفضلوا المقاومة والقتال حفاظاً على ماء الوجه، ولكنهم سرعان ما انهزموا بهزيمة منكرة، وفروا إلى قرية هينن الواقعة غرب وادي حضرموت[٢].

وقد احتل سقوط شبام في يد السلطان بوطويرق أهمية على الصعيد السياسي، فقد تخلَّص من أشد القوى المنافسة له على السلطة من (آل كثير)، وأما على الصعيد الاجتماعي فقد نعمت المنطقة بالأمن والاستقرار، ولم تعد مكاناً للتحالفات التي تثير الفتن والقلاقل، والاضطرابات ضد السلطان بدر[٣] .

وبهذا استطاع السلطان بدر إحكام القبضة على شبام التي احتلت مركزاً استراتيجياً مهمًا في وادي حضرموت، فمن يسيطر عليها يصبح قادراً على بسط نفوذه على أجزاء واسعة من الوادي ومما يؤكد هذه الحقيقة حرص جميع الدول التي حكمت حضرموت

(١) محمد عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق: محمد عبدالله الحبشي ، ص: ١٤٩-١٥٠، سالم بن محمد بن حميد: نفس المرجع ، نفس الصفحة .

(٢) محمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، ص: ٣٧.

(٣) صلاح البكري: حضرموت وعدن وإمارات الجنوب العربي، ص : ٧٦ – ٧٧.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

على السيطرة على شبام[١]، وهي إلى جانب ذلك تعد مركزاً تجارياً في وادي حضرموت؛ حيث تمر عبرها البضائع من ساحل الشحر إلى وادي حضرموت[٢].

وفي شرق حضرموت تنتصب مدينة تريم كإحدى العواصم التاريخية في حضرموت، وما من شك أن السيطرة عليها ستساعد الدولة الكثيرية على بسط نفوذها على قرى المسفلة كلها [٣] ، ولهذا السبب كانت الخطوة الثانية بعد السيطرة على شبام هي التوجه إلى تريم لإسقاط دويلة آل يماني.

ومن المعلوم أنه قد جرت محاولات عدة لإخضاع تريم، وكانت نتيجتها الفشل، ورغم أنها قد وقعت بالفعل بأيدي حكام الدولة الكثيرية فإنَّ ذلك لم يستمر طويلاً؛ حيث استعاد آل يماني سيطرتهم عليها بعد فترة وجيزة، ولهذا السبب جهز السلطان بدر حملةً عسكرية كبيرة، وقادها بنفسه، وأشرك فيها عدداً من المقاتلين المماليك وغيرهم وقصد إزاحة دويلة آل يماني[٤] بسبب ما تمثله من عائق كبير أمامه، وتمنعه من مدِّ نفوذه في حضرموت، وتسبب حالةً من عدم الاستقرار؛ حيث كانت القوة التي تعمل على خلق المزيد من التحالفات القبلية ضد الدولة الكثيرية[٥] .

(١) عبد الرحمن السقاف: إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت (مخطوط)، ق:١١٢أ-١١٥أ.

(٢) عبد القادر الصبان: تعريفات تأريخية عن وادي حضرموت، سيؤن، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والمتاحف، ط٣، ١٩٨٥م، ص: ٢٢-٢٤.

(٣) صالح الحامد: تاريخ حضرموت، ج٢، ص:٥٢٧-٥٣٢.

(٤) محمد بن عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ١٥٠.

(٥) صالح بن علي الحامد: المرجع السابق ، ص: ٥٣٠، ٥٤٩، ٥٩٨.

ولما وصلت الحملة العسكرية إلى مشارف تريم سنة ٩٢٦هـ/ ١٥١٩م طلب بو طويرق من حاكمها محمد بن أحمد بن سلطان بن يماني أن يسلمها مقابل أن يمنحه الأمان، لكن حاكم تريم رفض التسليم، وتحصن هو وجنوده فيها، مما دعا بوطويرق لفرض حصار عليها استمر قرابة عشرين يوماً [١] ، عندئذٍ اضطر آل يماني لإعلان استسلامهم، وأعلنوا الولاء والطاعة للسلطان بدر، لكنه أخرجهم من المدينة ولم يبقِ فيها إلا عبيدهم، ورحل آل يماني وأبناء عمومتهم آل عمر إلى خارج حضر موت فاستقروا في اليمن[٢].

وهكذا طوى التاريخ آخر صفحة من صفحات تاريخ دويلة آل يماني، التي دامت أكثر من ثلاثة قرون، بدأت من سنة (٦٢١ هـ/ ١٢٢٣م) وانتهت في سنة (٩٢٦هـ/ ١٥١٩م)[٣] .

وبالقضاء على هذه الدويلة تخلص السلطان بدر من أعتى قوة منافسة في شرق وادي حضرموت، كما صارت تريم مركزاً مهماً له في تلك المنطقة[٤].

وتعاظمت مع ذلك الأهمية الدفاعية لقرية عينات، وهي أول قرية اختطها آل كثير في الشمال الشرقي من تريم، وسكنوها سنة ٦٢٩هـ ١٢٣١م[٥] .

(١) محمد بن عمر بافقيه: المرجع السابق ص: ١٥.

(٢) سالم محمد بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى العدة المفيدة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص ١٦٣ – ١٦٤.

(٣) صالح بن علي الحامد: المرجع السابق، ج٢، ص: ٥٣٥.

(٤) سعيد عوض با وزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص:١٢٢.

(٥) محمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، ص: ٦، عبد الرحمن السقاف: إدام القوت، ق: ٢٣٤أ.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وبالسيطرة على تريم صار الطريق ممهداً وآمناً وقريباً إلى ساحل حضرموت، وتمكن بوطويرق من ربط ممتلكات دولته والمناطق الخاضعة لها من جهات عدة بأقرب الطرق، ليوفر عناءً ووقتاً كبيرين؛ لأن وسائل النقل كانت هي الجمال والخيول والحمير. فساعده ذلك على تنفيذ المهام ومتابعة أحوال المناطق وإيصال المؤن [١] .

وبعد السيطرة على شبام وتريم صارت معظم قرى السرير تابعة لدولة آل كثير، وتبدأ من شبام في وسط الوادي لتنتهي في تريم في جهة الشرق، ولم يبقَ أمامه من قرى السرير إلا الغرفة وتريس ومريمة.

ب. إخضاع الرئاسات القبلية

تحفز السلطان بدر واتجه بأنظاره جهة الغرب، وجهز سنة ٩٢٦هـ / ١٥١٩م حملةً أخرى قادها بنفسه إلى وسط وادي حضر موت وغربه، وتمكنت الحملة من دخول منطقة الكسر، وضم وادي رخية بجميع قراه بعد مقاومة ضعيفة من آل شحبل[٢] ، وأبقى السلطان قرية هينن لحكم أهلها، وعين من قبله عبد الله بن علي بن عمر الكثيري حاكماً على منطقة الكسر، وأبقى بني حارثة وبني محرية وهما من قبيلة تجيب الكندية حكاماً على حورة، وذلك بعد إعلانهم الولاء والطاعة للدولة الكثيرية.

وتمكنت الحملة من دخول قرية الأحروم، وأخرجت أهلها من آل عبد الله النهدي رغم المقاومة التي أبدتها قبيلة نهد وحلفاؤها، كما واصلت الحملة الدخول إلى قرى وادي عمد[٣].

(١) علوي الحداد: الشامل في تاريخ حضرموت، ص: ١١٧ – ١١٨.

(٢) سالم بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص ١٦٥.

(٣) نفس المرجع، نفس الصفحة.

ويُعدُّ انتصار الحملة في وادي عمد ومنطقة الكسر حدثًا تاريخياً مهمًا له آثاره البعيدة على وادي حضرموت؛ حيث زاد الدولة الكثيرية قوةً وأكسبها هيبةً بين قبائل حضرموت، بعد ذلك عادت قوات بوطويرق إلى منطقة السرير، وضمت الغرفة، وسيطرت على حصنها، وأزاحت حكامها من آل أحمد، وهم فرع من آل كثير، وكانوا ينافسون بو طويرق[١]، ثم تابع بوطويرق حربه على السلطات المستقلة فتمكنت قواته في سنة ٩٢٦ هـ ١٥١٩م من إسقاط حكم آل ثعلب في تريس[٢]، وهم من الصدف من قبائل كندة، التي ظهرت في (القرن السابع الهجري / القرن الثالث عشر الميلادي) وتواصلت انتصارات بوطويرق، وتمكنت قواته من إسقاط حكم بني حارثة في مريمة، التي تقع بالقرب من سيئون شرقاً، وأصبحت تحت حكم آل كثير[٣].

هذه الانتصارات التي حققها بوطويرق في السنة الأولى من حكمه، وهذا التوسع الكبير في شرق وادي حضرموت وغربه لم يكن نهاية المطاف للسلطان بدر، فقد بدا واضحاً منذ الوهلة الأولى أن الأيام حبلى بالمفاجآت؛ حيث برزت نهد كقوة منافسة تهدد طموحات السلطان بدر في منطقة الكسر وسط وغرب وادي حضرموت بعد سنوات قلائل من وصول السلطان بدر إلى هذه المنطقة، ولعل التفكير الجديد الذي ظهر به السلطان بدر، والذي لم تألفه المنطقة من قبل هو الذي دفع نهد أن تحذو حذو السلطان وتسير في اتجاهه نفسه، فقد سعت إلى تكوين كيانٍ سياسي لها في هذه المنطقة،

(١) سالم بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة، ص: ١٦٥.

(٢) تريس: من القرى القديمة في حضرموت وهي في الوسط بين سيؤن والغرفة في الغرب.

(٣) أحمد بن شنبل: تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، تحقيق عبدالله الحبشي، ص: ٧٠، ٧٨، ١٨٢، ٢٠٥.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وبرز ذلك بوضوح خلال عامي (٩٣٤، ٩٣٥ هـ ١٥٢٨،١٥٢٧ م)؛ حيث أخذ زعيم نهد علي بن فارس آل عامر بالتوسع في قرى وادي عمد ووادي دوعن ومناطقهما، التي كانت في يد حكامها المحليين، مثل ابن الدوفة وبافقيه وغيرهم، ومعظم سكان هذه المناطق من قبيلة كندة وتجيب[١].

واستولى على حريضة[٢]، ثم على الخريبة[٣]، وتمكن بمساعدة أهل صيف من السيطرة عليها، ولم يتوقف عند هذا الحد بل ظلت قواته تصول وتجول في قرى وادي دوعن وسيطرت على قرية حوفة[٤]، وتابعت قواته تحركها حتى وصلت إلى قرية تولبة[٥]، وساعده حاكمها من آل با يحيى في السيطرة عليها[٦].

أثارت هذه التطورات حفيظة السلطان بوطويرق، فقاد بنفسه حملة عسكرية يساعده فيها بعض الجنود المماليك في شهر ذي الحجة سنة ٩٣٤هـ/ ١٥٢٧م، ويهدف إلى تعزيز نفوذه وإخضاع تلك القرى لسلطانه وضم المناطق التي لم تخضع له. وتمكن من انتزاع قرية حريضة من يد آل علي بن فارس النهدي وسلمها إلى آل عبدالله من نهد[٧]، وفي جمادى الآخرة من عام ٩٣٤ هـ ١٥٢٨ م تمكنت حملته من انتزاع قريتي صيف وتولبة.

(١) علوي الحداد:الشامل في تاريخ حضرموت ، ص : ١٧٣ – ١٧٤.

(٢) حريضة: تقع أسفل وادي عمد وهي لقبيلة كندة ومن سكانها آل عطاس.

(٣) الخريبة: قرية قديمة تقع في الجانب الغربي من وادي دوعن الأيمن.

(٤) قرية حوفة:من قرى وادي دوعن وادي الأيمن وتقع في الجانب الشرقي منه.

(٥) تولبة تقع في سفح الجبل غربي وادي دوعن الأيمن.

(٦) علوي طاهر الحداد: المرجع السابق، ص :١٧٣ - ١٧٤.

(٧) محمد بن عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق : عبد الله الحبشي، ص: ١٨٦.

وتوسط الشيخ عمر بن أحمد العمودي لغرض السماح لسكانها بالخروج فوافق السلطان على ذلك، كما سمح لآل بايحيى من قبيلة كندة [١] أن يبقوا في تولبة للحفاظ على أموالهم [٢].

وفي ٩ ذي الحجة من عام ٩٣٥ هـ سبتمبر ١٥٢٨ م دخلت هذه القوات قرية المخارم [٣] شمال وادي رخية، وانتزعتها من فارس بن عبد الله من قبيلة نهد، وأعادتها لآل لآل شحبل بعد إعلانهم الطاعة والتبعية لسلطة بوطويرق [٤] .

وكانت هذه الحملة رداً حاسماً على توسعات علي بن فارس النهدي وتأديباً له لنقضه الصلح الذي عقده مع الدولة الكثيرية .

وتم الصلح مجدداً بين السلطان بوطويرق وزعيم نهد علي بن فارس، ويتضمن هذا الصلح اعتراف السلطان بدر بقبيلة نهد حكاماً على مناطقهم، ليس لهم تجاوزها مقابل اعترافهم به، وإعلان الولاء والطاعة له، ودام الصلح عشر سنوات وجاء فيه: أن يضع آل عامر رهينتهم قريتي المخينيق [٥] والمنيظرة [٦]، ويضع السلطان بدر رهينته القرين [٧] وحريضة [٨].

---

(١) علوي الحداد: الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها، ص ٥١، ١٧٤، ١٧٦.

(٢) سالم بن محمد بن حميد: تاريخ حضرمووت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص ١٦٧.

(٣) المخارم: تقع شمال وادي رخية، يسكنها آل شحبل وآل مظفر، المجازرة ومسكنهم الزبارة ، آل عجيبان ومسكنهم حسوة والمخارم، وآل عبدالله ومسكنهم بنباع وفيهم كانت رئاسة آل شحبل، عبدالرحمن السقاف: إدام القوت، ق:٥١أ.

(٤) محمد بن عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر ، تحقيق : عبد الله الحبشي ، ص: ١٩١.

(٥) المخينيق إحدى قري الكسر وسط حضرموت بالقرب من قرية آل سور.

(٦) المنيظرة من قرى وادي دوعن وتقع على حافة جبل قرب الهجرين.

(٧) القرين: تقع في الجانب الشرقي من وادي دوعن ومن سكانها آل بافقيه.

(٨) تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبدالله الحبشي، ص: ١٩١ – ١٩٧ .

للنسخة الورقية زز أو كلم +200100817022 WWW.DARALWEFAQ.NET

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

غير أن الوضع لم يهدأ في الكسر وما حولها، ولم تقتنع قبيلة نهد بالصلح الذي وقعته مكرهةً مع السلطان بوطويرق وذلك تهدئةً للوضع وحفاظاً على رجالها وقدراتها حتى تُعِدَّ عُدَّتها، وتبذل محاولة أخرى لتنفيذ مشروعها المستقبلي.

رأت قبيلة نهد في سنة ٩٣٧ هـ/ ١٥٣٠م أن الظروف مواتية لها فزحفت مع حلفائها لتبسط نفوذها على الكسر، ثم تتجه غرباً لتسيطر على بعض قرى وادي عمد، وبعض قرى وادي دوعن، ومنها المنيظرة والهجرين[١]، وتعمل على فرض حكمها فيها[٢].

ولما علم بوطويرق بتوسعات آل فارس جهز حملة عسكرية إلى وادي حضرموت، ورافقه القائد التركي صفر سليمان وعدد من الجنود الأتراك، وفي ٢٠ من صفر عام ٩٣٧هـ / ٢٥ أغسطس ١٥٣٠م نزلت الحملة حول سور آل عامر[٣]، فتشاور آل عامر، عامر، وفضلوا الحل السلمي؛ حيث قابل المقدم محمد بن علي بن فارس وأخوه عمر السلطان بدراً للتفاوض وطلب الصلح والاعتذار، فقبل السلطان بدر الصلح نزولاً على عادة القبائل وتعهد آل عامر بالطاعة والتبعية له، وقدموا رهينتهم على ذلك قرية المنيظرة كما قدم السلطان مصنعة[٤] الهجرين، ومدة الصلح عشر سنين[٥].

(١) الهجرين: من قرى وادي دوعن وتقع على جانبي الجبل . الحسن بن أحمد الهمداني:صفة جزيرة العرب،تحقيق: محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد-صنعاء - ١٩٩٠م، ص: ١٦٧.

(٢) صالح الحامد:تاريخ حضرموت، ج٢ ، ص ٦٣٤.

(٣) سور آل عامر من قرى الكسر. والسور قرية كانت عامرة وتفرق أهلها بعد استيلاء بني نهد عليها، وكان آل بابقي من جملة أهلها وهم من كندة وكانت السور موطناً لآل عامر ونسب السور إليهم، صالح الحامد: المرجع السابق، ص ٦٢٢، ٦٣١، أحمد العطاس: هذه شجرة أنساب العرب القاطنين بالجهة الحضرمية، ص:١٠.

(٤) هو نوع من أنواع الحصون الكبيرة تنشأ للأغراض الدفاعية، وهو رمز النفوذ والسيطرة للقبيلة أو الدولة في هذه المنطقة.

(٥) محمد عمر بن بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ١٩٧، سالم بن حميد : تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:١٦٩.

ولكن هذا الصلح لم يكتب له الاستمرار؛ لأنه لم يكن في صالح الطرفين، ولأن تاريخ المنطقة يؤكد صعوبة تحكم الدولة وسيطرتها عليها لإصرار الزعامات القبلية على التفرد بالحكم في مناطقهم، ورفضهم التبعية لأية سلطة، ولم تمر سنة حتى أعلنت نهد عصيانها وخروجها على بوطويرق وعاد علي بن فارس لبسط نفوذه خارج قريتهم سور آل عامر، ومارس أتباعه السلب والنهب، الأمر الذي دعا أهالي غرب حضرموت للشكوى ورفع الأمر للسلطان بدر [١] .

وبلغت استهانة محمد بن علي بن فارس واستخفافه بالسلطان مبلغاً عظيماً حيث أنشد من شعره:

سـوارِحـنا في الـمفـجر روائـعْ ولا يخـرسْ لنـا في الكسـر مـزرع

نقـاتـلْ بـدر كـسّار المدافـعْ نوطّي هـام رأسـه حين يرفـع

والبيتان من الشعر الشعبي ويتضمنان تحدياً صارخاً للسلطان بدر.

أعد بوطويرق في ٢٩ من محرم سنة ٩٣٨ هـ / ١٥٣١ م قوة عسكرية بزعامته، وتقدم بها لتأديب المقدم محمد بن علي بن فارس[٢]، وشارك في القوة جماعة من بيت محمد المهرية ولم يفصح عن جهة القوة وهدفها، وقد تمكنت قوات بوطويرق من دخول منطقة الكسر وسور آل عامر، وتم إلقاء القبض على المقدم محمد بن علي آل عامر، ووضعت القيود في يديه ورمي في سجن هينن كان ذلك يوم الثلاثاء مستهل جمادى الآخرة من عام٩٣٨ هـ / ١٥٣١م[٣].

(١) محمد بن هاشم: الدولة الكثيرية، ص: ٢٩.

(٢) نفس المرجع، نفس الصفحة.

(٣) محمد بن عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر،تحقيق عبد الله الحبشي، ص ٢٠١– ٢٠٢.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

أثار أَسْرُ محمد بن علي قبيلة نهد، ودعت القبائل إلى مساعدتها، في مطالبة السلطان بدر بالإفراج عن زعيمها، واستجاب لهم بعض آل كثير، وبعض الشنافر، لكن السلطان بدرًا لم يستجب لطلبهم وأصرَّ على تنفيذ العقوبة[١].

وفي هذه الأثناء وصلت أخبار من غرب وادي حضرموت إلى الشحر، تفيد أن الشيخ عثمان العمودي حاكم قيدون يعمل على توسيع نفوذه في غرب حضرموت، فقد استولى في سنة ٩٣٨ هـ / ١٥٣١ م على قريتي هَدُوْن ورَحَابْ[٢]، وهما تابعتان لسلطة بوطويرق، بل إنه قد أغار على بعض قرى ساحل حضرموت[٣].

وفي جمادى الآخرة من السنة نفسها قامت مجموعة تابعة للعمودي يرأسها حليفه المقدم سليمان بن أبي بكر باهبري من قبيلة سيبان [٤] بسلب البضائع المخزونة لتجار الشحر في قرية تبالة الساحلية القريبة من الشحر في الجهة الشرقية، وكان التجار قد خزنوها تحسباً لما يمكن أن تتعرض له مدينة الشحر من قبل البرتغاليين أو غيرهم من السلب أو النهب[٥].

---

(١) سالم محمد بن حميد : تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ١٧١ - ١٧٧.

(٢) هدون ورحاب قريتان في وادي دوعن الأيمن ومن سكانها رحاب باشماخ وبا داؤد ومن سكان هدون آل باضاوي و آل جدوان من كندة.

(٣) محمد عمر بافقيه: المرجع السابق، ص ٢٠٣، علوي طاهر الحداد: الشامل في تاريخ حضرموت، ص: ١٥٠ – ١٦٠.

(٤) سالم محمد بن حميد: تاريخ حضرموت، المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق: عبدالله محمد الحبشي .

(٥) محمد عمر با فقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق: عبدالله محمد الحبشي.

أغضبت هذه التوسعات السلطان بوطويرق، وأقلقت قبيلة نهد؛ حيث كان هذا التوسع على حسابها، ونظراً لكون قبيلة نهد والعمودي يواجهان خصماً مشتركاً فقد فضلا التجاوز عن الخلافات وقررا التقارب، فقد وضع العمودي رهينته قرية قَيْدُون ووضعت نهد رهينتها قرية المَنَيْظِرَة، واستمر العمودي في توسعاته في العام نفسه، واستولى على بعض قرى وادي دوعن ، منها: قرية الجُبَيل[١]، وتولبة، والدوفة، والقرين، والخريبة، وبنى ما خرب في قرية القويرة[٢].

وسارع السلطان بدر إلى إرسال قواته إلى غربي وادي حضر موت، قادمة من الشحر في شهر شعبان من العام ذاته ، ووصلت قوة إضافية من جهة ظفار بقيادة عبد الله بن علي المرهون الكثيري، وكانت قرابة أربعمائة من رجال البادية، وتزعم أخوه مائتي رجل من منطقة شبام وما حولها من آل كثير ومن قبائل أخرى، وهدفهم إزاحة العمودي عن قرى وادي دوعن [٣] .

وكانت نهد تراقب الموقف محاولة استغلال الأحداث لصالحها، كما كانت تتحين فرصة مرور قوات بوطويرق لتمنعها من المرور من جانب السور، انتقاماً من السلطان الذي ألقى مقدمهم محمد بن علي بن فارس في السجن.

(١) قرية الجبيل: إحدى قرى وادي دوعن من سكانها آل با جندوح وآل بابحير من كندة .

(٢) علوي الحداد: الشامل في تاريخ حضرموت، ص ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٧ .

(٣) محمد عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر،تحقيق عبد الله الحبشي، ص:٢٠٥-٢٠٦، سالم بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:١٧١-١٧٥.ذ

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وتمركزت قواتهم التي بلغت نحو مائة وستين فارساً حول السور عند الممر، ووصل إلى السلطان بدر خبر موقفهم هذا، فأرسل إليهم خطاباً يعدهم بالإفراج عن مقدمهم محمد بن علي بن فارس آل عامر[١]، ثم أتبعه بخطابٍ مستعجل يفيد بإطلاق سراحه فعلاً مع مجموعة من أصحابه.

وبدأت المراسلات بين الطرفين من أجل توقيع صلح بين السلطان وقبيلة نهد[٢] .

بدأ بوطويرق هذه الخطوة قبل استرجاع القرى التي استولى عليها الشيخ العمودي، وهي خطة جيدة تدل على حنكة سياسية وعسكرية؛ لأنها ستؤدي إلى تحييد قبيلة نهد، وتعطيه فرصة التفرغ لمواجهة قوات العمودي، ووصلت قوات بوطويرق إلى هينن في شهر رجب من العام ذاته، ولا زالت الأخبار ترد عن تحركات الشيخ العمودي في وادي دوعن، سيطرته على قرية الخريبة، ومحاصرة الأمير عطيف بن دحدح فيها، وهو الوالي عليها من قبل السلطان بدر[٣].

وعندما تم الاستعداد الكامل والتهيئة المناسبة زحفت قوات بوطويرق واستعادت قريتي تولبة والخريبة، وفكت الحصار عن الأمير عطيف بن دحدح، وفي الوقت نفسه قامت بمحاصرة الشيخ العمودي داخل قرية القرين[٤]،وسارع الشيخ العمودي إلى اتخاذ خطوتين للخروج من المأزق الذي وقع فيه.

(١) محمد عمر بافقيه: نفس المرجع، نفس الصفحتين.

(٢) سالم محمد بن حميد: المرجع السابق، ص:١٧١-١٧٥.

(٣) محمد عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي،ص: ٢٠٤ – ٢٠٥.

(٤) نفس المرجع، نفس الصفحتين.

أولهما: كسب ثقة نهد ومساندتها له وتحفيزها على الوقوف بجانبه وقدم في سبيل ذلك رهينته قرية بِضة رغم أهميتها الروحية بالنسبة له.

ثانيهما: الإيعاز إلى حليفه محمد باهبري بفرض الحصار على السلطان بدر في وادي دوعن[١].

وقد آتت هذه الخطوة ثمارها حيث استطاع حليفه من فرض رقابة صارمة على الطرق المؤدية إلى الوادي، ومنع دخول الإمداد والمراسلات للسلطان بدر[٢]، وعملت مجموعة يرأسها شقيق العمودي على فك الحصار عنه، و تمكنت من قتل والي تريم الأمير عثمان باحويرث، ببندقية نارية، مما يدل على امتلاك جنود العمودي لمثل هذا السلاح، و تم إخراج الشيخ عثمان من الحصن بقرية القرين وخلفه أخوه عبد الله تمويهاً[٣]، بينما سار الشيخ العمودي إلى الهجرين، وأرسل إلى نهد يلومهم على تخاذلهم، وتأخرهم عن نصرته ، وأعربت نهد عن أسفها، ووعدت بحثِّ المقاتلين من نهد على الوقوف بجانبه، وأثمر التفاوض عن عقد اتفاق بحكم الوادي مناصفة بين الطرفين؛ حيث يتولى كل طرف حكم عدد من القرى في طرفي الوادي، وكان هذا الاتفاق في سنة ٩٣٨ هـ / ١٥٣١م[٤]، وكان السلطان بدر على علم بما يجري بين الشيخ العمودي وقبيلة نهد، لذلك أجرى اتصالات مكثفة، وأجرى مفاوضات مع كل طرف على حدة من غير

(١) سالم بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق عبد الله الحبشي ، ص:١٧٣-١٧٤.

(٢) محمد عمر بافقيه: المرجع السابق، ص: ٢٠٥-٢٠٦.

(٣) سالم محمد بن حميد: المرجع السابق، ص: ١٧٣-١٧٤.

(٤) محمد عمر با فقيه: المرجع السابق، ص:٢٠٤-٢٠٥، ٢٠٧.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

علم الثاني، بهدف إفشال أي اتفاق بين الشيخ العمودي وقبيلة نهد؛ لأنه يرى في اتفاقهما خطراً موجهاً ضده بدرجة رئيسة، وقد استطاع بالفعل إفشال هذا الاتفاق، مستغلاً غياب الثقة بين الطرفين، كما أغرى العمودي بأن يعطيه فرصة بحكم المناطق التي تحت يده، ورأى العمودي أن مصلحته في عرض السلطان أكثر من مصلحته في تنفيذ اتفاقه مع قبيلة نهد، الذي قدم فيه تنازلاً يخدم مصلحة نهد أكثر منه[١]. لذلك أرسل العمودي إلى نهد بأنه انسحب من الصلح الذي لم يتم إبرامه بصورة نهائية بعد.

وفي اتجاه آخر بذل السلطان جهوداً مماثلة تهدف إلى توقيع صلح ثلاثي، كُلِّلَ بالنجاح في شهر شوال ٩٣٨هـ/ ١٥٣١م في وادي دوعن، وقد تضمن هذا الصلح:

١- الاعتراف المتبادل بين الأطراف الثلاثة -السلطان- الشيخ -المقدم بن فارس- بحكم كلٍّ منهم لما تحت يده في وسط وادي حضرموت وغربه.

٢- وضع السلطان بوطويرق رهينته لكلا الطرفين قريتي الرشيد[٢] وتولبة وهما بوادي دوعن.

٣- وضع الشيخ عثمان بن أحمد العمودي رهينته قرية القرين.

٤- وضع المقدم علي بن محمد بن فارس آل عامر زعيم قبيلة نهد رهينته قرية المنيظرة[٣].

(١) سالم محمد بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:١٧٣-١٧٤.

(٢) الرشيد: قرية من قرى وادي دوعن، في القرن التاسع الهجري -القرن الخامس عشر الميلادي، كانت تابعة لابن دغار، وجاء بعده آل بالحمان وهي موطن آل بازرعة، وتقع بالجانب الغربي بالوادي، عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف: إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ق:٦٧أ.

(٣) محمد عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:٢٠٧.

وتكمن أهمية هذا الصلح في أنه أعطى فرصة لكل من هذه الأطراف التمتع بنفوذ معين، ولم يلغ وجود أي طرف آخر، وأعطى فرصة للتعايش السلمي بين الدولة الكثيرية مع قبيلة نهد، والشيخ عثمان العمودي، في وسط وادي حضرموت وغربه إلى حين.

جـ. جهود السلطان في توحيد حضرموت والمهرة وشبوة:

سبقت الإشارة إلى أن السلطان بدرًا يطمح إلى توحيد حضرموت في إطار دولة مركزية واحدة، لذا اتجه بعد النجاحات التي حققها في وادي حضرموت إلى الساحل، وقد بدأت تحركاته التوسعية هناك في شهر صفر ٩٣٦هـ/ ١٥٢٩م؛ حيث استولى على غيل ابن يمين[١]، كما استولى في جمادى الأولى ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م على حريج، غير أنه وجد معارضة شديدةً من أخيه السلطان محمد، الذي اعتبر هذه العمليات اعتداء عليه؛ لكون هذه المناطق تحت حمايته، فاضطر السلطان بدر إلى إحالة هذه المناطق إلى أخيه السلطان محمد الذي أعادها إلى حكامها المحليين[٢].

واتجه السلطان بدر إلى بناء الحصون في المناطق التابعة له لتكون رمزاً لسلطة الدولة الكثيرية، بالإضافة إلى مهمتها الدفاعية، وقد بنى في سنة ٩٤٣هـ/ ١٥٣٦م حصناً في

(١) غيل ابن يمين: ينسب هذا الغيل إلى ابن يمين، وهم فرع من قبيلة الحموم وهي قبيلة حضرمية كبيرة تقطن المنطقة غربي المهرة وشرقي الشحر، وجنوب وادي المسيلة، محمد بن أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ج٢ ص: ٣٥٦-٣٥٧.

(٢) محمد عمر فقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ١٩٢-١٩٤.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

غيل باوزير[١]، كما بنى التحصينات اللازمة حول رخْية وشبوة لتقوية دفاعاتهما سنة ٩٤٨هـ/ ١٥٤١م، كما بنى حصناً في قرية روكب[٢] سنة ٩٥١هـ/ ١٥٤٤م[٣].

ولا يعني ذلك أن السلطان بدرًا تخلى عن طموحاته التوسعية بسبب معارضة أخيه الشديدة، فقد اتجه نظره نحو المهرة، قاصداً في محطته الأولى المشقاص في ٢٢شعبان ٩٥٢هـ/ ١٥٤٥م، وقد جهز هذه الحملة البرية والبحرية تجهيزاً لم يسبق له مثيل؛ حيث اشتركت فيها أعداد كبيرة من القبائل المختلفة، منها قبائل حضرمية ويافعية ويمنية، وقادها السلطان بدر بنفسه، كما شارك فيها عدد كبير من الأمراء حكام المناطق، وقد جهزت هذه الحملة بما يقارب مائة خيل، وتسعة وأربعين قطعة بحرية متنوعة الأحجام، خصصت لنقل الزاد والبنادق، وما يحتاجون إليه من العتاد، وأمام هذه الحملة العظيمة لم يستطع سعيد بن عبد الله بن عفرار[٤] أن يصمد طويلاً؛ حيث انتزعها منه بعد مقاومة يسيرة لا تذكر، وفي المشقاص بنى السلطان حصناً، ووضع به عدداً من الرماة، وعيَّن الأمير أحمد بن مطران والياً على هذه المنطقة. ثم زحفت قوات بو طويرق

(١) سالم بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:١٨٢-١٨٤، ١٩٠، ١٩٦.
غيل با وزير يقع في الشمال الغربي من مدينة الشحر، وينسب إلى با وزير، وهي أول قبيلة سكنت هذه المنطقة.

(٢) قرية روكب: وهي قريبة من المكلا في جهة الشرق.

(٣)سالم بن حميد: المرجع السابق، ص: ١٩٠، ١٩٦.

(٤) سعيد بن عفرار: هو شيخ بيت زياد، إحدى قبائل المهرة، وكان لبيت زياد وبيت محمد هاتين القبيلتين علاقة قوية بالأحداث التي شهدتها الدولة الكثيرية، محمد بن عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:٣٢٠-٣٢٣.

بعد ذلك نحو قشن، وتمكنت من دخولها في شوال ٩٥٢هـ/ ١٥٤٥م، وبنى السلطان بها حصناً منيعاً أيضاً وعيَّن الأمير محمد بن مطران والياً عليها[١].

وبعد أشهر قليلة وتحديداً في ١٢ ربيع الثاني ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م وصل الخبر إلى السلطان بدر أن المهرة قتلوا الأمير أحمد بن مطران، وأخرجوا من معه من المشقاص واستعادوا سيطرتهم عليها.

ورداً على ذلك جهز السلطان على الفور حملة عسكرية تحركت براً من الشحر في الثاني والعشرين من الشهر نفسه، كما تحرك ابنه محمد بأمر منه على رأس قوة من وادي حضرموت، وشاركت قبيلة نهد بعدد كبير، كما شارك فيها بعض الأتراك والزيود والمهرة من بيت محمد، بالإضافة إلى آل كثير وغيرهم من قبائل حضرموت[٢]، والتقت القوتان في وادي بلحاف غربي ساحل المهرة، وخاضت معركتين مع قوة من بادية المهرة وبيت زياد، وقتل فيها عدد من شيوخ وزعامات المهرة منهم الشيخ سعيد بن عبد الله بن عفرار، وربعين بن سعد بن طوعري بن عفرار وغيرهم، ودخلت القوات السلطانية المشقاص وقشن وحيريج يوم الجمعة ١٧ جمادى الأولى سنة ٩٥٣هـ/ ١٥٤٧م[٣].

ومن خلال هذه الحملة ظهرت إشارة توضح مشاركة أحد أبناء السلطان بدر، وهو محمد، والذي كلف بقيادة قوة عسكرية قادمة من وادي حضرموت، وهذا يعني أن السلطان يهدف إلى تولي أبنائه مهام إدارية وعسكرية.

(١) سالم بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:١٩٧.

(٢) محمد بن عمر بافقيه: المرجع السابق، ص: ٣٢٠-٣٢٣.

(٣) سالم بن حميد: المرجع السابق، ص:١٩٧-١٩٨.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

واتجه السلطان بدر بعدئذٍ غرباً حيث جهز حملة بحرية تتألف من اثنتي عشرة سفينة، تحركت صوب أحور[١] يوم الأربعاء ٨ صفر ٩٥٤هـ/ ١٥٤٧م قادمة من الشحر بقيادة القائد التركي (يوسف)، وقد أبدى أمير أحور علي بن حنش مقاومةً عنيفة، غير أن الخسائر البشرية بين صفوف قواته اضطرته إلى طلب الصلح، وقد نص اتفاق الصلح على ما يلي:

١- يدفع أمير أحور أربعمائة ريال أشرفي سنوياً.

٢- يدفع أمير أحور سبعة عشر ألف ريال أشرفي نقداً بالإضافة إلى خمسة دروع وخمسة خيول.

٣- يظل أمير أحور حاكماً على بلاده معترفاً بالسيادة الاسمية للسلطنة الكثيرية.

وعاد القائد التركي (يوسف) إلى الشحر في شهر ربيع الأول سالماً غانماً[٢].

بلغت السلطان بدرًا أخبار تؤكد له أن سعد بن عيسى بن عفرار مع مجموعة من البرتغاليين هاجموا قشن، وحاصروا حصنها، ودخلوه بالقوة، وقتلوا النقيب، وجماعة من الرماة في سنة ٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م، بعد ذلك رجع البرتغاليون ومن معهم من المهرة إلى الهند[٣]، فتحرك السلطان بدر جهة المهرة، لتأديب قبيلة زياد المهرية التي كانت وراء هذا الحادث،

(١) أحور: قرية واقعة على ساحل بحر العرب غرب بلحاف، عبد الرحمن بن عبيد الله: إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ق، ٤أ.

(٢) محمد بن عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:٣٢٢-٣٢٥؛ علوي بن طاهر الحداد: الشامل في تاريخ حضرموت، ص:٥٨.

(٣) سعيد عوض باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص:١٣٠-١٣١.

غير أنهم وصلوا إلى السلطان يتقدمهم زعيمهم سعد بن عيسى بن عفرار لتقديم الإعتذار، وطلب الصلح في شهر ربيع الأول ٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م وتضمن الصلح ما يلي:

١- أن يتولى المهرة حكم بلادهم وفق العادات والأعراف المتبعة لديهم.

٢- أن تبقى حصون الدولة الكثيرية بصفتها رمزاً لسيادة الدولة الكثيرية في المنطقة.

٣- أن يعلنوا الولاء والطاعة والتبعية للسلطان[١].

ومواصلة لجهود التوسع وفرض هيبة الدولة الكثيرية في غرب حضرموت، جهَّز السلطان بدر حملة عسكرية واتجه غرباً صوب شبوة[٢]، ويأتي تجهيز هذه الحملة التي قادها السلطان بدر بنفسه من سيئون بعد عيد الفطر سنة ٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م للدفاع عن شبوة التي كانت تحت حصار آل عامر من قبيلة نهد ومن تحالف معهم، وعندما علم هؤلاء بوصول هذه الحملة المجهزة تجهيزاً متكاملاً من العتاد والرجال والعسكر فرُّوا إلى الجبال والمناطق المجاورة، حتى لا يقعوا في قبضة بو طويرق[٣].

والمعروف أن شبوة قد دخلت ضمن ممتلكات الدولة الكثيرية منذ ٩٤٨هـ/ ١٥٤١م، وفي هذه الفترة أقام السلطان التحصينات اللازمة التي تحتاج إليها شبوة ورَخْية القريبة منها[٤]، وفي هذه المرة عندما تأكد للسلطان هروب آل عامر، الذين حاصروا شبوة عمل

(١) محمد بن عمر بافقيه:المرجع السابق، ص٣٣١.

(٢) شبوة: مدينة قديمة وعاصمة دولة حضرموت القديمة ، تقع غرب حضرموت يحدها من جهة الغرب مأرب، الحسن بن أحمد الهمداني: صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد علي الأكوع، ص: ١٧١.

(٣) محمد عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:٣٣٢.

(٤) نفس المرجع، ص: ٢٨٧.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

على ترتيب إدارة شبوة، ومن يتولى الدفاع عنها؛ بحكم بُعدها عن العاصمتين الشحر وسيئون، فأوكل هذه المهمة إلى قبيلة الأنسيين من بلدة مرخه[١].

وبينما كان السلطان بدر بوطويرق في شبوة قدم إليه حاكم حبان السلطان عبد الواحد الواحدي، وطلب منه أنه يسير معه إلى مصنعة حبان، كما طلب منه مساعدته ونصرته ضد خصومه ومنافسيه في السلطان والنفوذ، وهما حاكم وادي يشبم، وحاكم ميفعة، فأجابه السلطان إلى طلبه، وعندما علم بذلك ابن سدة وكان على خلاف ومنافسة شديدة مع السلطان عبد الواحد بن صلاح بن روضان، رأى أنه من المناسب أن يدخل في صلح مع السلطان بدر بو طويرق ووسَّط لهذه المهمة الشيخ عبدالله بن عمر بن عبدالله با مخرمة الذي تولى القضاء والإفتاء في هذه المنطقة، وأرسل معه خيلاً ودرعاً فقبل السلطان ذلك وتركه يحكم بلاده ميفعة[٢].

لم يبق بعد ذلك سوى حاكم وادي يشبم السلطان صلاح بن ياقب العولقي، الذي عرفت سلطنته في التاريخ باسم سلطنة العوالق السفلى[٣]، وكانت عاصمتها الحَاضِنَة، وتقع هذه السلطنة غرب حضرموت، ويقع وادي يشبم بعد حَبَّان، والمنقَعَة وهي عبارة عن منطقة زراعية.

(١) قبيلة الآنسيبون: يعود نسبهم إلى ابن هلال. وقرية مرخة: قريبة من شبوة ورخْية غرب وادي حضرموت، محمد عمر بافقيه: المرجع السابق، ص:٣٣٢-٣٣٣.

(٢) محمد عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق: عبدالله محمد الحبشي، ص: ٣٣٢-٣٣٣ .

(٣) علوي بن طاهر الحداد: الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها، ص:٥٧، ٦٩.

وعندما علم السلطان صالح بن ياقب العولقي بوجود السلطان بدر في حبان فرّ مع قبيلته واحتمى بالجبال والقرى المجاورة[١]، ولما علم بما تمّ بين السلطان بدر وسلطان ميفعة، سار إلى حبان يطلب الصلح مع السلطان بدر، واتفقا أن يدفع للسلطان بدر مبلغاً من المال، وعدداً من الدروع، ولعدم وفائه بالدفع قاد السلطان بدر حملته إلى وادي يشبم، وهرب ابن ياقب ثانية، وعندما دخلت القوات المهاجمة وادي يشبم، نهبت وسلبت وحرقت بيوت السكان[٢].

ظل اهتمام السلطان بدر بتوسعاته في نواحٍ مختلفة من حضرموت كبيراً، ولم يتوقف عن ذلك رغم المشكلات الخطيرة التي تهدد كيان الدولة الكثيرية، فإن هذه السياسة التوسعية هي السياسة التي سلكها السلطان بدر منذ توليه السلطنة، ولهذا السبب تراه يرسل الحملات لمحاربة الخارجين عن طاعته، ويرسل غيرها لتحقيق هدف التوسع وضم المناطق تحت نفوذ الدولة الكثيرية، والاستفادة من إيرادات هذه المناطق بما يفرضه عليها من أتاوات مباشرة أو سنوية.

وكان نصيب سلطنات العولقي والواحدي وابن سدة وابن حنش من هذه الحملات النصيب الأوفر، خاصة أن سياسة التوسع للسلطان في ساحل حضرموت وشبوة والقرى المجاورة جاء متأخراً.

وكانت حملته الثانية هي تلك التي قادها بنفسه سنة ٩٦٢هـ/ ١٥٥٤م إلى وادي يشبم وقصد الحاضنة، واجتمع مع السلطان صلاح بن ياقب العولقي الذي بايعه

(١) محمد عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ٣٣٢-٣٣٣.

(٢) سالم بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:٢٠٢.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وتحالف معه، واتجهت الحملة بعدئذ إلى وادي حبان وهدفها مهاجمة آل عبد الواحد تأديباً لهم بسبب انضمامهم إلى حلف العمودي ونهد بهدف محاربة السلطان والخروج عليه، ووصلت إلى رباط الشيخ علي بن مبارك الشقاع، الذي اتخذه قاعدة انطلقت منها القوات الكثيرية لفرض الحصار على مصنعة حبان القريبة منها، غير أن الحملة لم تحقق هدفها المرجو من الحصار الذي فرضته، وظل السلطان عبد الواحد صامداً أمام الحصار في مصنعة حبان، لذلك انسحبت القوة المتحالفة، وعاد السلطان بدر إلى سيئون، وأثناء عودته قام بمهاجمة بعض القرى في وادي حبان، وقتل بعض الأفراد من آل عبد الواحد[١].

وجهّز السلطان بدر حملته الثالثة إلى شبوة سنة ٩٦٣هـ/ ١٥٥٥م، ومارس عسكر السلطان والقبائل المتحالفة معه أبشع أعمال السلب والنهب، وترويع العباد، والقتل، وإتلاف الزراعة، وحرق القرى وتخريبها[٢].

واستطاع السلطان بدر وجنده بهذه الأعمال الوحشية إلحاق الهزيمة النفسية بحكام وأهالي غرب حضرموت وجنوبها فتهاوت هذه السلطنات الصغيرة أمامه سريعاً، وخضعت لسلطته؛ حيث ألزم سلطان حبان بدفع ثلاثين ألف ريال أشرفي ويسمونها آنذاك (فَرقة)، وألزم سلطان أحور علي بن حنيش بدفع خمسين ألف ريال أشرفي، وتمكنت الحملة من دخول ميفعة، وفرّ أهلها، وأسر ولاتها من آل ابن سدة، غير أنه أفرج عنهم وهو في طريق العودة إلى عاصمته في وادي حضرموت[٣].

(١) علوي بن طاهر الحداد: الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها، ص: ٥٧، ٦٩.

(٢) نفس المرجع، ص: ٥٧.

(٣) نفس المرجع، نفس الصفحة.

ولا تختلف هذه الحملة عن سابقاتها من حيث الهدف العام، والمتمثل في إخضاع هذه المنطقة لسيطرته وإعلان الطاعة والولاء له، بالإضافة إلى الحصول على بعض الأموال من خلال إلزام الحكام والأهالي بدفع الإتاوات المباشرة والسنوية، ومن خلال أعمال السلب والنهب التي ينظر إليها على أنها غنائم حرب.

وهكذا امتد نفوذ السلطان بدر بن عبد الله بو طويرق من أحور في الساحل غرباً إلى ظفار شرقاً، ومن السواحل الجنوبية إلى رمال الأحقاف الممتدة إلى الربع الخالي شمالاً[1].

(١) محمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، ص: ٣٦؛ عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف: إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، مخطوط، ق:٤أ.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

الفصل الثالث

أعمال السلطان بدر العسكرية والمدنية

أ- تكوين الجيش.

ب- تأسيس الأسطول البحري.

أ- الإجراءات الإدارية.

ب- ضرب العملة.

ج- إيرادات الدولة الكثيرية.

د- الأوقاف.

هـ - تأسيس المدرسة السلطانية بالشحر.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

أولاً: أعمال السلطان بدر العسكرية

أ. تكوين الجيش:

رأى السلطان بدر بن عبدالله الكثيري أن توسيع نفوذ الدولة وتثبيت أركان الحكم، يتطلب بناء قوة عسكرية مجهزة تجهيزاً عالياً، يناسب تلك الفترة الزمنية وأخطارها[١]، ولم يكن الحكام الذين سبقوه قد اتخذوا مثل هذه الخطوة، فهو أول من سعى جاداً في بناء جيش قوي، يتمتع بالقدرة على حماية حدود البلاد من غزوات أجنبية محتملة، وحماية الدولة وتأمينها، وتحقيق الأمن والاستقرار الداخلي، والقضاء على أي تمرد أو عصيان قبلي، يهدد استقرار الدولة أو يسعى إلى الاستقلال عن سلطتها، والقضاء على جميع السلطات المحلية، التي تحاول منازعة الدولة كما حدث في شبام وتريم، وتحقيق طموحاته في التوسع، وإحكام سيطرته على أنحاء البلاد[٢].

لكل هذه الأهداف والمهام سعى السلطان بدر إلى بناء جيشه، وكان يختار عناصره من خارج حضرموت، خشية أن يكون الجندي الحضرمي مرتبطاً بالولاء لقبيلته[٣].

ويشكل الأتراك قوة أساسية وفاعلة في جيش السلطان بدر؛ نظراً لما يتمتعون به من خبرات قتالية عالية، كما كانوا يمتلكون القدرة على استخدام البنادق النارية (أبو فتيلة)

(١) صلاح البكري : حضرموت وعدن، وإمارات الجنوب العربي، ص : ٧٧.

(٢) سعيد باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص:١٢٠- ١٢٣، محمد بن هاشم: الدولة الكثيرية، ص: ٣٧.

(٣) محمد بامطرف: الشهداء السبعة، ص:٨١، سعيد باوزير: المرجع السابق، ص:١٢٠-١٢١.

التي لم تكن معروفة في حضرموت قبل ذلك الحين، ويظهر أن هذه العناصر التركية كانت لا تتجاوز في بداية الأمر خمسة وعشرين جنديًا، ثم أخذت تتزايد فيما بعد[١]، وأشار سارجنت أن المقصود بالأتراك هنا هم المماليك[٢]. ونحن نميل إلى هذا خاصة أن في هذه الفترة أرسل المماليك حملتين إحداهما إلى الهند والأخرى إلى اليمن، وقد كان بعض أفرادها من الأتراك.

وقد استطعنا أن نقف على ثلاثة آراء للمؤرخين حول ملابسات وصول هذه العناصر المملوكية والجهة التي أقبلت منها:

فأما الرأي الأول فيشير إلى أن هؤلاء الجنود كانوا في ضمن الحملة المملوكية الأولى التي أرسلت إلى الهند سنة ٩١٢هـ/ ١٥٠٧م[٣].

وأما الرأي الثاني فيذكر أنهم كانوا في ضمن الحملة المملوكية الثانية التي أرسلت إلى اليمن سنة٩٢٣هـ/ ١٥١٧م وتعثرت عن سيرها إلى الهند[٤].

(١) محمد عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ١٤٩-١٥٠، محمد بن هاشم: الدولة الكثيرية، ص: ٣٧.

(٢) R. B. Serjeant: the Portuguese Off the Souht arbian Coast ,p. 48.

(٣) محمد بن عمر بافقيه: المرجع السابق، ص: ٤٦،.Ibid: pp. 42-43 حسن صالح شهاب: أضواء على تاريخ اليمن البحري، عدن، بيروت، لجنة نشر الكتاب اليمني، دار الفارابي، ١٩٧٩م، ص:١٤٥.

(٤) سالم بن محمد بن حميد: تاريخ حضرموت، المسمى بالعدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة، تحقيق: عبدالله الحبشي، ص:١٦٤.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وأما الرأي الثالث فيذكر أن هذه القوة جاءت سنة ٩٢٦هـ/ ١٥١٩م بعد مراسلات دارت بين السلطان بدر والمماليك في زبيد، بهدف تعزيز قدرة الدولة الكثيرية على مواجهة الأخطار البرتغالية ومواجهة مشكلاتها الداخلية(١).

ولا يبدو أن هناك تعارضاً بين هذه الآراء الثلاثة فهي جميعاً تؤكد أن جيش السلطان بدر كان يضم بين عناصره جنوداً من المماليك، وتتفق على أن هؤلاء الجنود كانوا في ضمن القوة المملوكية المتوجهة إلى الهند في حملتها الأولى أو الثانية، التي استقرت في اليمن عقب فشلها في مواصلة سيرها إلى الهند، كما تعطينا القدرة على القول إن هذا الأمر قد تم في شكل دفعات متتالية.

وقد ظهر هؤلاء الجنود في جيش السلطان بدر في ضمن حملته العسكرية على وادي حضرموت سنة ٩٢٦هـ/ ١٥١٩م، وحملته الثانية إلى وادي حضرموت أيضاً ٩٣٧هـ/ ١٥٣٠م، عندما أمده القائد العثماني مصطفى بيرم بمائة جندي تركي مع قائدهم صفر سليمان، ثم وصلت دفعة أخرى من جنود الأتراك العثمانيين إلى الشحر سنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م(٢).

ولا شك في أن دور الجنود المماليك والأتراك في جيش السلطان كان حاسماً وكبيراً، كما تؤكد ذلك الحملات التي أرسلها السلطان، والتي أسند فيها إلى المماليك والأتراك مهاماً قيادية، نظراً لثقته بهم، وبما يتمتعون به من مهارات وخبرات عسكرية.

(١) محمد عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر ، ص: ١٤٩-١٥٠، محمد بن هاشم: الدولة الكثيرية، ص: ٣٧، سعيد عوض باوزير: صفحات في التاريخ الحضرمي، ص: ١٢٠-١٢١.

(٢) محمد عمر بافقيه: المرجع السابق، ص:١٤٩- ١٥٠، ١٩٧، ٢٥٦- ٢٥٨.

وقد جنّد السلطان قوة من الأشراف الحمزيين[١] من صعدة والجوف[٢] وبعض القبائل الزيدية اليمنية المنتشرة ما بين الجوف ونجران[٣]، وساعده في ذلك أمير صعدة والجوف الشريف ناصر بن أحمد بن حسين البهال الحمزي، وعرفت هذه القوة بـ(الزيود عند أهل حضرموت)، وكانت بداية وصولها سنة ٩٤١ هـ/ ١٥٣٤م[٤].

ويرجع السبب في مغادرة الأشراف ومن معهم، والاتجاه نحو حضرموت إلى الحروب الطاحنة المتواصلة بين الإمام شرف الدين يحيى وابنه المطهر من جهة وإمام صعدة وأشراف صعدة والجوف من جهة أخرى، خاصة بعد تخلي الإمام شرف الدين عن التحالف مع الأشراف في محاربة المماليك بسبب استيلائه على صنعاء بمفرده في ٨ شوال ٩٢٣هـ/ ٢٤ أكتوبر ١٥١٧م ومبايعة أهالي صنعاء له[٥].

---

(١) تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني: تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق: مصطفى حجازي، تقديم: إبراهيم الحضراني، بيروت،دار العودة، ط١، ١٩٨٦م، ص: ٨٤، ٨٧، ٨٨، محمد يحيى بن الحسين بن القاسم: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٩٦٩، ج١، ط١، ص: ٦٨٦، ٦٨٧.

(٢) من المعروف أن بعض القبائل اليمنية في المناطق الشمالية تتتبع المذهب الزيدي، لذلك تعود المؤرخين الحضارمة إضافة كلمة زيدي لكل من يأتي من القبائل اليمنية من المناطق الشمالية اليمنية إلى حضرموت، حتى وإن كانت من أتباع المذهب الشافعي .

(٣) الجوف موقع متوسط بين مأرب وصنعاء ونجران. وخولان تقع شرقي صنعاء. وصعدة مدينة في شمال اليمن. نجران تقع شمال الجوف. الحسن الهمداني: صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد علي الأكوع، ص ٦٤، ١٥٤– ١٥٥، ١٦٢، ٢١٤.

(٤) محمد عمر بافقيه:تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر ، ص:٢٢٢، ٢٣١، ٢٣٢.

(٥) د. سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول لليمن، ١٥٣٨– ١٦٣٥م، القاهرة، معهد الدراسات العربية،ط٢، ١٩٧٤م، ص:١١٥ – ١١٩.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

هذا الموقف دفع الأشراف إلى التحالف مع المماليك، والهجوم على حصن ثلا سنة٩٢٩هـ/ ١٥١٨م، مما أدى إلى اشتعال الحرب بين الطرفين، وزحف المطهر بن الإمام شرف الدين، وانتزع من الأشراف أهم مراكزهم مدينة عمران سنة ٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م.

ثم التف الأشراف حول الإمام المؤيد، وبايعوه سنة ٩٣٧هـ/ ١٥٣١م، وأخذ المؤيد ينشر دعوته في المناطق الشمالية، مما أدى إلى اشتعال الحرب من جديد وبشكل أكثر ضراوة، عندها انسحب الأشراف من صعدة، ودخلتها قوات الإمام شرف الدين يحيى من غير قتال في ٢٢ صفر سنة ٩٤٠هـ/ ١٢ ديسمبر ١٥٢٣م.

ثم دارت المعركة الفاصلة بين الطرفين بالقرب من صعدة، وحقق جيش المطهر نصراً كاسحاً، لتتساقط في أثره المناطق الشمالية تحت يده الواحدة تلو الأخرى، ومنها جبل برط، الذي تمتد جهاته إلى الربع الخالي ونجران في ٢٢ صفر ٩٤١هـ/ ٢٠ سبتمبر ١٥٣٤م.

بعد ذلك عقد الصلح بين الطرفين، وأمنهم الإمام على أنفسهم، وأعطى لهم الاختيار بين البقاء في صعدة والجوف وإعلان الطاعة، أو مغادرة اليمن، وأمهلهم عاماً كاملاً[١].

نتيجة لذلك وصل الشريف ناصر بن أحمد بن حسين البهال إلى الشحر قادماً من الجوف سنة ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م.

وأدخل السلطان بوطويرق في جيشه جماعات من عبيد النوبة والموالي، الذين جاءوا من أفريقيا[٢]، وقد كانت تجارة الرقيق رائجة في الشحر وحضرموت والبلدان المجاورة منذ مدة بعيدة[٣].

(١) د. السيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول لليمن ١٥٣٨-١٦٣٥م ، ط٢، ١٩٧٤م، ص: ١١٥-١١٩.

(٢) محمد عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبش، ص:٢٣٢.

(٣) محمد عبد القادر بامطرف: الشهداء السبعة، ص:٤٢، ٧٦، ٨٥، ١١٠.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

وتذكر المصادر أن السلطان بدرًا قد جنّد في جيشه جماعة من آل يافع، الذين استوطنوا حضر موت في عصر ما قبل الإسلام، أو من الذين قدموا إلى حضرموت في فترات مختلفة حتى عهد السلطان بدر(١).

ورغبة من السلطان بدر في زيادة قوته العسكرية فقد استعان بالبرتغاليين الموجودين في الشحر، سواء منهم من وقع في الأسر، أو من تاه منهم وفقد الزاد، وقد شارك البرتغاليون في إحدى الحملات التي دفع بها إلى وادي حضر موت(٢).

وتؤكد بعض الأحداث أن السلطان بدرًا قد استعان في حروبه ببعض قبائل حضرموت والمهرة ورجال البادية من ظفار(٣).

كما استحدث نظام العهدة، ويهدف من خلاله إلى عسكرة بعض القبائل ليضمن ولاءها للدولة الكثيرية، وليستعين بها على بسط نفوذه في أماكن تواجدها، مقابل تنازله عن بعض إيرادات الدولة في تلك الأماكن(٤).

ومن هنا يتضح لنا أن السلطان قد جمع في جيشه عناصر متفرقة من أهل حضرموت وغيرهم لبناء جيش قوي يعينه في حروبه وغزواته.

(١) محمد عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر ، ص:٢٣٥، ٣٢٠، بامطرف: الشهداء السبعة، ص:٢٦، ٨٥، ١٣٠.

(٢) محمد عمر بافقيه، نفس المرجع، ص: ١٩٧، ٣٢٠، ٣٢٥.

(٣) سالم محمد بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة: تحقيق عبد الله الحبشي، ص:١٩٧-١٩٨.

(٤) محمد عمر بافقيه: المرجع السابق، ص: ٢١٤، ٢١٨.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

وقد جهَّز السلطان بدر جيشه بمدافع مختلفة وبنادق نارية (أبو فتيلة)، التي تزامن دخولها إلى حضر موت مع تسلُّمه لمقاليد السلطة ليضمها إلى جانب الأسلحة المستخدمة في ذلك العصر، وتعد هذه الأسلحة من الأنواع ذات القدرات العالية، التي ترجح كفة من يمتلكها، إذا ما قورنت بأسلحة تلك الفترة[١] مثل السيوف، والرماح، والأقواس، وكانت الخيول هي العنصر الرئيس الذي يستخدمه الفرسان أداة للكر والفر في جيش بوطويرق، إلى جانب الحمير والجمال لنقل الجنود والمؤن والعتاد[٢].

كما أنشأ الحصون التي تنتشر في معظم المناطق والقرى والوديان؛ لتمثل رمزاً لسيادة الدولة، ويرابط فيها العسكر المتفرغون للقيام بالمهام الأمنية والدفاعية المناطة بهم[٣]، ويتولى الإشراف على العسكر مجموعة من النقباء، والنقيب هو القائد أو المسؤول الذي تخضع الجنود لإمرته، ويمارس في بعض الأحيان مهاماً إدارية إذا لم يكن للمنطقة والٍ يشرف عليها ويدير شؤونها[٤].

وكان الطابع العسكري هو الغالب على الدولة الكثيرية في عهد بوطويرق، ويدل على ذلك أن السلطان وأمراءه في مختلف المناطق لا يقتصر دورهم على الجانب الإداري، بل يتعداه إلى قيادة القوات والمشاركة في المعارك.

(١) محمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، ص:٣٧.

(٢) محمد عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر ، تحقيق: عبدالله بن محمد الحبشي، ص:٢١٨، ٢٥٢-٢٥٣، ٣٢٥.

(٣) نفس المرجع، ص:٣٠٣، ٣٢٥.

(٤) سالم محمد بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق: عبدالله محمد الحبشي، ص:١٧٥، ٢٠٧.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ب- تأسيس الأسطول البحري الحضرمي:

ظهرت فكرة بناء أسطول بحري قبل بدء عهد السلطان بدر بوطويرق[١]، فالشحر منطقة ساحلية، يملك السكان فيها عدداً من السفن التجارية التي تجوب البحار والمحيطات، وتتنقل بين الموانئ الآسيوية والإفريقية وتصل إلى سواحل الهند[٢].

وأشهر أنواع المراكب الحضرمية التي كانت معروفة في القرن العاشر الهجري/ القرن السادس عشر الميلادي: الجلبة، والغراب، والطرَّاد، والسنبوق العدني، والمهري، والعبري، والطليعة.

سفينة كبيرة كانت تنقل البضائع والركاب والجمال من الساحل العربي إلى الساحل الإفريقي، واستمرت الجلبة تجوب مياه البحر الأحمر والمحيط الهندي إلى وقت قريب.

فكان يطلق على سلسلة من السفن منها الكبير ذو الشراع الواحد، والصغير الذي تسيِّره المجاديف، واشتهر الغراب كسفينة مقاتلة خلال مهاجمة الغزو البرتغالي لساحل حضرموت.

نوع صغير من السنابيق يصنع في ساحل المهرة، وهو متفوق على جميع المراكب في السرعة وخفة الحركة والالتفاف، ويستعمل في نقل الركاب والبضائع واللحاق بالسفن الهاربة، وكان بعضهم يزينها في مقدمتها.

(١) محمد أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ص:٢٣٩.

(٢) محمد عبد القادر بامطرف: الشهداء السبعة، ص: ٥١، ٧٤-٧٥.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

والسنبوق العدني الذي اشتهرت به عدن، يعتبر خليفة الجلبة في البحر الأحمر، وتباع السنابيق العدنية للتجار وأصحاب السفن من السواحل المختلفة في اليمن أو حضرموت أو الصومال[١].

سنبوق أو (البنوش باللهجة المهرية)، نوع صغير من السنابيق، له مقدمة طويلة يصنع على الساحل المهري وفي صُور اللبنانية، ويستعمل في مهام بحرية مختلفة.

الذي اشتهرت المكلا بصناعته، وهو غريب الشكل يختلف الواحد منه عن جميع المراكب العربية من حيث مقدمته المنخفضة ومؤخرته العالية وتصميم هيكله، وكان العبري الكبير بشراعين والصغير بشراع واحد.

فيبدو أنها كانت من السفن السريعة كالطراد[٢].

ولعل أول حملة عسكرية بحرية تحركت من حضرموت كانت عام ٨٦١هـ-١٤٥٦م، جهزها أمير الشحر محمد بن سعيد بادجانة وأرسلها إلى عدن، وكانت مكونة من تسعة مراكب لنقل الجند[٣]، وكانت الحملة الثانية عام ٩٢٢ هـ/ ١٥١٦م، أرسلها السلطان محمد بن عبد الله الكثيري لنجدة الأمير مرجان حاكم عدن، لمساعدته على مواجهة الغزو البرتغالي، وقد استأجر لهذا الغرض إحدى وثلاثين سفينة[٤].

(١) حسن صالح شهاب: أضواء على تاريخ اليمن البحري، ص: ٢٦٩.

(٢) حسن صالح شهاب: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٣) علوي بن طاهر: الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها، ص:١١٥.

(٤) محمد عبد القادر بامطرف: الشهداء السبعة، ص:٧٤-٧٥.

ومما حمل السلطان بدر على بناء قوة بحرية قادرة على التصدي للغزاة، وحماية السواحل الحضرمية المحاولات المتكررة من قبل سفن البرتغاليين على ميناء الشحر[١]، أضف إلى ذلك رغبته في التوسع ومد نفوذه، وتشجيع الأنشطة التجارية، ونقل الركاب والمسافرين من بلد إلى آخر؛ حيث كان النقل البحري من أقدم وسائل الترحال التي عرفها الإنسان[٢]. وقد ظهر الأسطول البحري في الدولة الكثيرية عندما جهَّز السلطان بدر بوطويرق حملات حربية مختلفة على أحور وبلاد المهرة.

وكانت القطع البحرية التي شكلت النواة الأولى لأسطول بوطويرق هي السفن القديمة التي ورثها عمَّن سبقوه في حكم الشحر من آل كثير وغيرهم، وكذلك السفن التي حصل عليها من الأهالي،كما تمكن بوطويرق من الحصول على بعض السفن كغنائم من خلال حروبه مع البرتغاليين[٣]. وقد سعى السلطان إلى توسيع أسطوله، ورفده بالمزيد من القطع البحرية المتنوعة، ومن العسير حصر العدد الذي بلغته قِطَعُه البحرية بدقة، لكن يمكن بشكل تقريبي تكوين صورة عنه من خلال متابعة الإشارات التي وردت عند الحديث عن معاركه وحملاته البحرية إلى المهرة وأحور وغيرها، ولنأخذ مثلاً على ذلك حملته إلى المشقاص سنة ٩٥٢ هـ/ ١٥٤٥م، فقد ذكر المؤرخ بافقيه أن عدد القطع البحرية التي جهزت بها الحملة بلغت تسعًا وأربعين قطعة مختلفة الأحجام

(١)محمد عبد القادر بامطرف: الشهداء السبعة، ص: ٤٢- ٤٣، ١٠٣- ١٠٥، ١٠٨-١٠٩ .

(٢) محمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ص: ٢٣٩.

(٣) محمد عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:٣٢٠، حسن صالح شهاب: المرجع السابق، ص:٢٦٩-٢٧٣، محمد عبد القادر بامطرف: المرجع السابق، ص:٥٢، ٦٠.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

والمهام والفاعلية[١]، فقد تكون منها الأسطول البحري الحربي للسلطان في هذه الحملة وهو يتكون من: ثلاثة (غربان) وثلاثة جلاب، وثلاثة طرايد، وعشرة سنابيق عدنية، وثلاثين سنبوقاً عبرياً[٢]. ومن البديهي أن هذا العدد لا يمثل العدد الكلي للقطع البحرية، التي يتكون منها أسطول السلطان بدر، فقد ذكر بعض المؤرخين أن السلطان أدخل الطرادات البحرية في ضمن أسطوله البحري، واستخدمها في مطاردة سفن القراصنة البرتغاليين أكثر من مرة[٣].

(١) محمد عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:٣٢٠.

(٢) حسن صالح شهاب: أضواء على تاريخ اليمن البحري، ص: ١٦٩.

(٣) محمد عمر بافقيه: المرجع السابق، ص:١٩٨-١٩٩.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

أ- الإجراءات الإدارية:

يتمتع السلطان بدر بسلطات مطلقة في المجالات الإدارية والقضائية والحربية وكافة السلطات العليا[١] فقد كان بيده الأمر والنهي، والحل والعقد، ويساعده في المهام الإدارية الأمير وأمين سر الدولة، ويلي الأمير حكام المناطق والقرى والوديان، وهم في الغالب من الأعيان، ويحظون بمكانة اجتماعية عالية؛ لكونهم رؤساء للقبائل، أو لكونهم من كبار العلماء، أو لصلتهم بالأسرة الحاكمة[٢].

هذه السلطات المطلقة مكَّنت السلطان بدرًا -وهو الشاب الطموح- من القيام بإحداث تغييرات كبيرة في طريقة إدارة البلاد، فقد شرع في اتخاذ بعض المواقف والإجراءات الحاسمة، التي اعتمد فيها على ثقته الزائدة بنفسه، إلى الحد الذي أوقعه في بعض الأحيان في الاستبداد، وسوء الظن بأهل الخبرة والدراية من رجال الدولة، والإعراض عن مشورة أهل الرأي.

من هذه الإجراءات والمواقف التنكر لأخيه الأكبر السلطان محمد، والإعراض عن مشاورته، وعن الاستفادة من خبراته في إدارة شؤون السلطنة[٣]، واستبدال بعض الولاة بآخرين، يراهم أكثر كفاءة وأكثر ولاءً وإخلاصاً لـمَّا ساوره من شكوك في الولاة

(١) محمد بن أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ص:٢٥٠-٢٥١.

(٢) محمد بن عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبدالله الحبشي، ص:١٤٩، ١٥٥، ٣٢٠، ٣٢٢. صلاح البكري: تاريخ حضرموت السياسي، ج٢، ص:٨٨، ٩٥.

(٣) محمد بن عمر بافقيه:المرجع السابق، ص:١٤٩، محمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، ص:٣٣، ٣٦،٣٧.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

السابقين، الذين يرتبطون بعلاقات متينة بأخيه الأكبر،من هؤلاء الأمير مطران بن منصور، الذي أحل مكانه عطيف بن علي بن دحدح سنة ٩٢٦ هـ ١٥١٩م، ولم يكتف بذلك بل سجنه وصادر ممتلكاته[١]،مع أنه كان أكثر الشخصيات معرفة بالأمور الإدارية؛ حيث كان وكيلاً للسلطان في تصريف شؤون العاصمة (الشحر)، وكان يملك خبرة طويلة اكتسبها منذ زمن السلطان جعفر وحتى نهاية حكم السلطان محمد شقيق السلطان بدر[٢]، إضافة إلى مواقفه المشرّفة في خدمة دولة آل كثير، وامتناعه عن التحالف مع بعض القبائل التي أغرته بانتزاع السلطة لنفسه من آل كثير في مدينة الشحر سنة ٩١٣ هـ / ١٥٠٧م[٣]. ومن الإجراءات التي نفذها السلطان بدر في سنة ٩٢٨هـ/ ١٤٢١ م عزْلُ والي غيل باوزير علي بن أحمد النقيب وفَرْضُ عقوبة قاسية عليه.

غير أن السلطان بدرًا أحس بجسامة الخطأ الذي ارتكبه بحق الرجلين، فسارع إلى اتخاذ بعض الإجراءات الأخرى لمعالجة هذا الخطأ؛ حيث أعاد الأمير مطران والياً على الشحر، كما عيّن عطيف بن علي بن دحدح والياً على الريدة[٤]، وعيّن علي بن أحمد النقيب لإدارة شؤون سيئون[٥].

---

(١) محمد بن عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبدالله الحبشي، ص:١٤٩.

(٢) محمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، ص:٣٣-٣٧.

(٣) تعرضت الشحر لهجوم تحالفت فيه قبائل نهد وآل شحبل وآل دغار وسيبان فصدهم الأمير مطران، سالم محمد بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:١٥٩.

(٤) الريدة الشرقية:، وتقع شرقي قِصَيَعَر، وهاتين القريتين تابعتين للشحر من الجهة الشرقية، عبد الرحمن بن عبد اللاه السقاف: إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ص: ٤٤.

(٥) محمد بن عمر بافقيه: المرجع السابق، ص:١٥٥.

وفي المجال نفسه استعان السلطان بدر بعدد من كبار العلماء، وأوكل إليهم مهاماً قضائية وإدارية، منهم: الشيخ عبد الله بن أحمد باسرومي، ولد بالشحر، ونشأ وتعلم فيها، وأخذ العلم عن الفقيه عبد الله بالحاج با فضل، وفي سنة ٩١٠هـ/ ١٥٠٤م تولى القضاء في الشحر في أواخر عهد السلطان جعفر والد السلطان بدر، واستمر في منصبه حتى عهد السلطان بدر، وتوفي سنة ٩٤٣هـ/ ١٥٣٦م[١]. كما استعان السلطان بدر بالشيخ عبد الله بن عمر با مخرمة السيباني، الذي ولد بالشحر سنة ٩٠٧هـ/ ١٥٠٢م، ونشأ فيها، وتلقى تعليمه الأول في اللغة العربية والعلوم الشرعية، وهو من علماء الشحر، ثم ارتحل في سبيل العلم إلى الحجاز وزبيد في اليمن[٢].

وكان الشيخ عبدالله بامخرمة واسع الاطلاع شديد الذكاء، لُقِّب بالشافعي الصغير، وله عدد من المؤلفات، وهو من أسرة تميزت بتمسكها وحرصها على العلم الشرعي، وبعض العلوم الأخرى. فكانت هذه الملكات والمميزات للشيخ عبد الله با مخرمة هي التي دعت السلطان ليوليه قاضياً على الشحر، ومفتياً للديار الحضرمية .

وقد تسلّم الشيخ با مخرمة إلى جانب مهامه الشرعية مهاماً إدارية في غاية الأهمية، فقد عُيِّن مديراً للشؤون الخاصة، وأمين سر السلطان ومستشاره الأول وبخاصة فيما يتعلق بالشؤون الخارجية، وهو الذي يتسلَّم المخاطبات التي تصل للسلطان، ويقوم

(١) سعيد عوض باوزير: الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، القاهرة، دار الطباعة الحديثة، ط١، ١٩٦١، ص:١٤٧-١٤٨.

(٢) محمد بن أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ص:٣١١-٣١٨.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

بالرد عليها، ويقرأ المراسيم والتعليمات السلطانية وظل الشيخ با مخرمة يعمل إلى جانب السلطان بدر إلى آخر حياته، ثم انتقل إلى عدن وتوفي سنة ٩٧٢هـ/ ١٥٦٥م.(١).

كما كلَّف السلطان بدر الشيخ محمد بن عبدالله بحرق(٢) ببعض المهام الإدارية والقضائية والحربية، وعهد إليه بإدارة شؤون وسط وغرب حضرموت، وقد ولد الشيخ محمد بن عمر بسيئون سنة ٨٦٩هـ/ ١٤٦٥م، تتلمذ على جماعة من كبار العلماء ودرس الفقه واللغة العربية بسيئون، وفي غيل با وزير، وقد ارتحل في طلب العلم والاتصال بالعلماء حتى غدا من العلماء المعروفين بسعة اطلاعه، إضافة إلى أنه كان أديباً وشاعراً وترك الكثير من المؤلفات(٣)، ومن المهام الحربية التي تولاها قيادة قوات القبائل المتحالفة من غرب حضرموت ووسطها، ومشاركته في قتال المشقاص، كما عمل في إدارة شؤون سيئون والكسر، إضافة إلى عمله في القضاء والتدريس والإفتاء وغيرها من الأعمال التي أظهر فيها الإخلاص والكفاءة، وتوفي الشيخ محمد في هينن سنة ٩٥٦هـ/ ١٥٥٠م(٤).

---

(١) سعيد عوض باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص:١٣٥-١٤٥.

(٢) ينبغي التفريق بين الشيخ محمد بن عمر بن مبارك بحرق والشيخ الفقيه محمد بن عبد الله بحرق باعتبارهما شيخصيتين وليس شخصية واحدة، فالأول ولد عام (٨٦٩هـ) وتوفي في أحمد أباد بالهند عام (٩٣٠هـ) أما الآخر فقد ولد في نفس الفترة التي ولد فيها الأول ولكن توفي في هينن بوادي حضرموت سنة (٩٥٦هـ). ينظر: القاضي جمال الدين محمد بن عبد الرحمن بن سراج الدين باجمال (ت: ١٠١٩هـ): الدر الفاخر في أعيان القرن العاشر، دراسة وتحقيق: محمد يسلم عبد النور، تريم، تريم للدراسات والنشر، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص: ١٥٢ – ١٥٧، عمر بن علوي بن أبي بكر بن أحمد الكاف: خلاصة الخبر عن بعض أعيان القرنين العاشر والحادي عشر منتخب من السناء الباهر وعقد الجواهر والدرر، مخطوطة، محفوظة بمكتبة الأحقاف، تريم، ج١، ق: ٢٥١أ، ج٢، ق: ١٩٦أ – ١٩٧أ.

(٣) سعيد عوض باوزير، المرجع السابق، ص:١٤٢- ١٤٨.

(٤) محمد بن عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:٣٢٠-٣٢٢، ٣٣٠.

ومن الذين قربهم السلطان بدر الشيخ محمد بن عبد الرحمن باجمال، ولد بالغرفة سنة ٩٤٤هـ / ١٥٣٧م، وتتلمذ في المدرسة السلطانية بالشحر على الشيخ علي بن علي با يزيدي الدوعني وغيره من العلماء، وتولى القضاء في وادي حضرموت في قرية يَبْحُرْ بوادي عمد، وعمل بالتدريس فيها، وتوفي سنة ١٠١٩هـ/ ١٦١١م.

واستعان السلطان بدر بغير هؤلاء من العلماء وأصحاب الخبرة في الأمور الإدارية والمالية، ممن لا يتسع المقام لذكرهم،وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حرصه على الاستفادة من ذوي الكفاءات، وميله إلى أهل العلم وتقربه إليهم(١).

أما عن الأحكام التي يرجع إليها القضاة وحكام المناطق فكانت تؤخذ من مصدرين أساسَين هما: أحكام الشريعة الإسلامية المتمثلة بفقه الإمام الشافعي(٢)، والمصدر الثاني وهو الأكثر انتشاراً في حواضر البلاد وبواديها هو العرف القبلي، والعادات والتقاليد المنظمة لحياة القبائل، وكانت الكثير من الأحكام تتأثر بالأهواء ومصالح رئيس القبيلة، ويتم تنفيذ الأحكام حسب الأعراف من غير تدخل الدولة أو العسكر، رغم أن السلطان بدر كان قد أنشأ الدواوين والمحاكم والسجون ونظم الإدارات(٣).

---

(١) سعيد عوض باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص:١٢٣، ١٣٣، ١٥٣.

(٢) محمد أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ج٢، ص: ١٨٦، سعيد باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص:١٣٣.

(٣) صلاح البكري: تاريخ حضرموت السياسي، ج٢، ص: ١٠٤ ، ١١٠، ١١٥، سالم بن محمد بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، ص: ١٠٤-١٠٥، محمد بن أحمد الشاطري: المرجع السابق، ص:٣٤٦-٣٤٧.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ب- ضرب العملة:

كانت شبه الجزيرة العربية سوقاً تجارياً نشطاً، ومنها السواحل الجنوبية ساحل بحر العرب وباب المندب، وبرز الدور الريادي التجاري لكل من ميناء عدن وميناءي الشحر وظفار وغيرها من الموانئ الأخرى، وفيها يلتقي التجار من جميع الجنسيات ويتبادلون عمليات البيع والشراء، ومن ذلك اشتغل بعض أهالي هذه المناطق بالتجارة، ومنهم الحضارمة، وقد تفوقوا في الشؤون التجارية[١] .

كانت الدول في اليمن وحضرموت تعتمد في مواردها المالية على بعض الأنشطة الاقتصادية والزراعية والصناعات الحرفية والنشاط التجاري من القوافل التجارية والجمارك أو العشور في الموانئ والضرائب الأخرى المتعددة[٢] .

لذلك لا بد أن يترتب على ذلك بعض النظم والقوانين، التي تنظم التجارة ومنها النظم المالية، التي تسهل عمليات البيع والشراء وخاصةً العملة ووجود المصارف في المعاملات، والتي عملت على تسهيل التعامل التجاري النقدي وغير النقدي .

إن الظروف المالية استدعت تداولاً أسرع وأعظم للعملة، وابتكرت القطع من العملات الذهبية والفضية والنحاسية في الفترة التي نحن بصدد الحديث عنها. وقد احتلت النقود من قطع الذهب والفضة والنحاس أهمية خاصة في المعاملات التجارية،

(١) د . شوقي عبدالقوي عثمان : تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية (٤١ – ٩٠٤ هـ – ٦٦١ – ١٤٩٨م) . ص : ٤٢ – ٤٥ .

(٢) د . علي حسين السليمان الناصر : النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية ، وأخر العصور الوسطى ١٢٥٠ – ١٥١٧م مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، ط١، ص : ٢٧٧ .

وحفاظاً على تثبيت أسعار العملة عمل السلطان المملوكي في مصر (الأشرف أينال) عام (٨٥٨ هـ) ١٤٥٤م ثبت سعر الذهب الأشرفي على ٣٣٥ درهماً في الصرف ، و٣٤٠ درهماً في المعاملة ومهمة الدولة أن تحمي العملات من التلاعب في عيارها وتغيير وزنها وتعديل حجمها حتى تحوز على ثقة المتعاملين من التجار وغير التجار[1] .

وساءت أحوال أصحاب السفن والتجار في عدن عندما دخل نور الدين عمر بن رسول سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م، واسترخص ابن رسول بضائع التجار لنفسه وأغلى سعرها على غيره لنفسه أيضاً ، وأثقل كاهلهم من التفتيش وارتفاع الضرائب والأكثر من ذلك استهان ببعض أصحاب السفن في عدن ، وكان لذلك أثره السلبي على النشاط التجاري بشكل عام وخاصة ميناء عدن وموارد خزنتها العامة التي بلغت في العام نحو ستمائة ألف دينار قبل قدوم ابن رسول ، وتشير بعض المراجع إلى أن التعامل بالعملة ظهرت منذ فترة ما قبل حكم بني رسول لليمن، وتشير بعض الإحصاءات إلى إيراد ميناء عدن ، وأن الضرائب والقوانين استحدثت منذ فترة عهد حكم بني زريع لعدن (٤٧٦هـ / ١٠٨٣م)، فمثلاً : كان يؤخذ في بهار الفلفل ثمانية دنانير عشور ، ودينار شواني ، وخروج الفرضة ديناران ، وعلى الحصان إذا دخل البلد خمسون دينارًا ، ومهما كانت المتاعب التي تواجه التجار وأصحاب السفن غير أنهم يسترخصونها في سبيل الثروات الطائلة، التي كانت تحقق لهم من التجارة، فقد وصف البعض الحركة التجارية أن ميناء عدن يستقبل خلال الأسبوع عدة سفن وتجار قادمين إليها وبضائع شتى

(١) د . نعيم زكي فهمي : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣م ، ص : ٢٥٧-٢٥٩ ، ٣٤٠-٣٥٨ .

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

ومتاجر منوعة ، وقد اشتهرت عدن من قدم إليها بألف درهم وعاد منها بألف دينار ، ومن قدم إليها بمائة وغادر بخمسمائة، ونحن من ذلك أردنا إيضاح العملة التي يتم التعامل والتبادل التجاري بها، وأشار بعض المؤرخين أن الفترة ما قبل سنة ٨٢٥هـ/ ١٤٢١م قلت قيمة عدن تماماً كمركز تجاري عظيم بين الشرق والغرب ، فقد عدل أصحاب السفن عن القدوم إلى عدن بسبب المعاملة السيئة وإن تمكنت عدن في فترة سابقة في أواخر القرن الثامن الهجري، أواخر القرن الرابع عشر الميلادي بفضل السياسة الحكيمة التي اتبعها ملوك دولة بني رسول مع التجار من استعادة نشاطها التجاري[١] .

وتظهر لنا أهمية الذهب في المعاملات التجارية في هذه الفترة التي نحن بصدد الحديث عنها فقد كانت تقوم به بقية النقود من فضة ونحاس ، وفي عهد المماليك في حكم مصر تعرضت العملة الذهبية للتلاعب في عيارها ، وتغيير وزنها وتعديل حجمها مما جعلها لا تحوز ثقة المتعاملين من التجار وغير هم . وكان ذلك منذ القرن الخامس عشر الميلادي، ويعزى الاضطراب الذي سار بالعملة إلى بعض سلاطين المماليك ومنهم برسباي، وفي عهد السلطان قايتباي ثبت سعر الدينار الذهب بثلاثمائة درهم وضرب فضة جديدة من خالص الفضة، وإبطال العملات المغشوشة[٢]. أشار سارجنت إلى بعض الإحصاءات أن دولة بني رسول تحصل على ضريبة سنوية من ميناء ظفار

(١) علي حسين السليمان الناصر : النشاط التجاري في شبة الجزيرة العربية (أواخر العصور الوسطى) ص : ٨٧ – ٩٦ .

(٢) نعيم زكي : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى) ، ص: ٣٥٦- ٣٥٧ .

٤٢٠٠٠٠ دينار، ومن ميناء الشحر ٤٠٠٠٠٠ دينار، تعود إلى سنة (٨٠٤هـ / ١٤٠٠م)؛ حيث تورد إلى خزانة بني رسول[١]، وفي الصدد نفسه أشار الأستاذ/ بامطرف إلى أن الأشرفي كانت عملة ذهبية تساوي ٣٦٠ ريالاً ، والريال يساوي ٤٨ بقشة في ذلك الوقت ، ولا يعرف المقصود بالأشرفي هل يقصد به الأشرفي الذي ينسب لأحد سلاطين المماليك أو بدأ التداول بالأشرفي خلال فترة دخول بني رسول إلى الشحر سنة ٧٨٦هـ / ١٣٨٧م في عهد السلطان الأشرف إسماعيل بن الأفضل العباس بن المجاهد[٢].

وفي عهد الدولة الطاهرية تم التعامل والتداول بين التجار وغيرهم بالدنانير الذهبية والدراهم الفضية والفلوس النحاسية ، وبداية التعامل بالدينار الذهبي الأشرفي سنة ٨٧٥هـ / ١٤٧٠م في وادي زبيد ، وهي البداية للتعامل الذهبي في دولة بني طاهر، وقد أسس دارًا للسكة ، وأشرف عليه شيخ دار الضرب ، ووظيفته الأساسية مراقبة العملة من حيث ارتفاعها وانخفاضها وحمايتها من التلاعب بأوزانها أو تغيير حجمها أو نقصان في عيارها[٣] .

وتشير بعض المراجع إلى أنه تم العثور على منجم ذهب في قرية واسط بتهامة اليمن في عهد الملك المجاهد / شمس الدين، وأباحه للناس حتى سمي النقد الذي ضرب

(١) سارحبت : حول مصادر التاريخ الحضرمي ص : ١٣١ – ١٣٨ .

(٢) محمد عبدالقادر بامطرف : الشهداء السبعة ، ص : ٣٣ ، ١٢٤ صالح علي الحامد المرجع السابق ، ص: ٥٥٠ – ٥٥١ ، سنبل ، ص:١٤٥ ..

(٣) ابن الديبع الشيباني الزبيدي : الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار زبيد (٨٦٦ – ٩٤٤هـ) تحقيق : د. محمد عيسى صالحية ، المجلس الوطني للتراث الكويت ، ط ، ص : ٨٠ – ٨١ .

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

بالذهب الأشرفي[١] الملك المجاهد على بن طاهر أمر بأن تكون الخطبة والسكة باسمه بدلاً من اسم أخيه الظافر عامر بن طاهر في سنة ٨٦٤هـ/ ١٤٦١م[٢] .

أشار الأستاذ / بامطرف نقلاً عن كتاب باسباع (بهجة السمر) إلى أن سلاطين آل كثير قبل فترة حكم السلطان بدر بوطويرق، أي: بداية نشاطهم واتجاههم نحو ظفار والشحر كانوا حينها نُوَّابًا للدولة الطاهرية يحكمون باسمها ويدفعون خمسة وعشرين ألف أشرفي ذهباً، بالإضافة إلى مواد عينية كمية من العنبر الأصلي والقمح والتمر والأقمشة والمواشي، يقدَّر ثمنها بعشرة آلاف دينار أشرفي ذهبي ، أتاوة سنوية للطاهريين وهذه المعلومة تتفق مع إرسال الطاهريين مع حملتهم لتأديب بادجانه حاكم الشحر على هجومه على عدن سنة ٨٦١ هـ/ ١٤٥٨م[٣] .

ومهما يكن من أمر فالذي يهمنا هو معرفة العملة المتداولة في حضرموت في عهد الدولة الكثيرية، وهذه إشارة واضحة لنوع النقد المتداول .

بدأ الاحتلال العثماني الأول لليمن في مرحلته الأولى عندما سيطر المماليك على زبيد ثم تعز، واتجهوا إلى مقر السلطان عامر المقرانة ونهبوا ما بداخلها من ذهب وفضة وأموال طائلة ومعادن نفيسة، ثم قادوا حملتهم سنة ٩٣٢هـ / ١٥٢٥م، والتي انتهت بمقتل عامر بن عبدالوهاب الطاهري وأخيه عبدالملك في صنعاء، ومال المماليك إلى النهب والسلب والقتل عنوانًا لهذه المرحلة من حكمهم، ثم وصلت الحملة العثمانية إلى

(١) حسن صالح شهاب : أضواء على تاريخ اليمن البحري ، دار الفارابي ، بيروت ، ١٩٧٧م ، ص: ٢٠٧ .

(٢) علوي طاهر الحداد : الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها ، ص: ١١٣- ١١٥ .

(٣) محمد عبالقادر بامطرف : الشهداء السبعة ، ص: ٣٣-٣٧ ، ٨٢ ، ١٢٧ .

عدن سنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م، وتم شنق عامر بن داؤود الطاهري، وكانت نهاية الدولة الطاهرية وتبدأ المرحلة الثانية من الاحتلال العثماني، وخلال هذه الفترة اهتم الولاة العثمانيون بجمع الأموال وتكوين ثروات خاصة بهم .

عُيِّن أول والٍ عثماني سنة ٩٤٧هـ / ١٥٤١م وهو مصطفى باشا النشار، ونحن ليس بصدد الحديث عن الحكم العثماني بقدر ما نشير إلى العملات التي تم تداولها خلال هذه الفترة، وذكر بعضًا من ذلك الدكتور السيد / مصطفى سالم، منها بُقْشَة، حرف ، حرف أحمر ، قَفْلَة، ذهب كبير، وهي أسماء للعملة المحلية إلى جانب أسماء العملات يضاف لفظ عثماني[١] .

انتهج الولاة العثمانيون سياسة مالية تستهدف تجميع ثروات خاصة بهم، لذلك قام البعض منهم بصك عملات جديدة في أثناء فترة ولايته بسبب طمعهم للحصول على الثروات عن طريق التلاعب في العملة، ففي فترة ولاية سنان باشا أقدم على ضرب سكة جديدة أضرَّت بالناس ضرراً بالغًا.

وفي عهد محمود باشا سنة ٩٦٨هـ/ مارس ١٥٦١م أمر بقتل رئيس دار سكة النقود بتهمة التلاعب بالعملة وغشّها وغلبة النحاس على الفضة، واستولى الوالي على دار السكة[٢] .

وفي فترة الحكم العثماني بشكل عام تناقصت قيمة العملة في اليمن عن مثيلاتها بالقاهرة واستانبول، فالدينار الذهب السلطاني الذي وزنه درهم قيراطان ، فهو في تركيا

(١) د. السيد مصطفى سالم : الفتح العثماني الأول لليمن (١٥٣٨ – ١٦٣٥م) ، ص: ١٤٥ – ١٧٥ .

(٢) نفس المرجع ، ص: ٤٧٣ – ٤٧٥ .

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

بتسعين عثمانيًا، وفي مصر بثمانين عثمانيًا، وفي اليمن بثلاثمائة عثماني ولا زال يتزايد إلى أن صار الدينار بألف عثماني[١].

أصبح واضحًا لدينا أن التداول في التجارة وفي الحياة اليومية وفي العيش لتوفير طلبات الناس يتم التداول فيما بينهم بالعملة النقدية، وتمت الإشارة إلى ذلك من بعض المؤرخين عندما تعرضوا لذكر سعر بعض المواد أو البضائع التي يحتاج إليها الناس في حياتهم سواء بالارتفاع أو بالانخفاض ، من ذلك مثلاً سعر الكافور بدرهم وسعر الكافور المن بأربعين أشرفيًا ٩٢٠هـ/ ١٥١٥م، وأشار شنبل أيضًا بأن سعر العسل أوقية بدرهم سنة ٩١٨هـ/ ١٥١٣م، والطعام (حب الذرة) أربعة مصاري بدرهم شحري، وسعر نوى التمر ثلاثة مصاري بدرهم شحري سنة ٩١٦هـ[٢].

وذكر بعض المؤرخين : منَّ الله تعالى بالغيث بالجهة الحضرمية ، وأرخص الله الأسعار حتى بلغ الطعام الحب (قهاول) أي اثنا عشر مدًا (مصرًا) بدرهم كبير بلغ سعر مصرا (مد) ملح بدينار شحري[٣].

مما سبق نؤكد أن البيع والشراء يتم بعملة نقدية وإن اختلفت تسمياته، وتمت الإشارة إلى العملة المحلية بدرهم شحري أو دينار شحري وإشارة أخرى بالأثر في درهم كبير، ولا يمنع أن تتم هناك بعض عمليات البيع والشراء بالمقايضة ، ولكن الغالب أن هناك عملة محلية وفئاتها درهم ودينار شحري، ويتم أيضًا التداول بالدينار

(١) د. السيد مصطفى سالم : الفتح العثماني الاول لليمن (١٥٣٨ – ١٦٣٥م) ص : ٤٧٣ – ٤٧٥ .

(٢) أحمد عبدالله شنبل : تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل ص: ٢٤٦ – ٢٥٤ .

(٣) صالح على الحامد : تاريخ حضرموت ج٢ ، ص : ٦٨٤ ، ٦٩٧ .

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الأشرفي الذهبي ودرهم أشرفي فضي، هذه العملة من خارج حضرموت، ولكن باعتبار الشحر ميناء رئيسيًا ومباشر على ساحل بحر العرب لاريب بأن تدخل إلى حضرموت عملات أخرى، وخاصة أنها عبارة عن قطع من الذهب والفضة والنحاس، وهي بأوزان محددة وأحجام معروفة وعيار محدد ومضبوط بالتالي، فإن قيمتها طبقًا لذلك معروفة، هذه الحالة المالية التي كانت موجودة في الدولة الكثيرية قبل ظهور العملة في عهد السلطان بدر بن عبدالله بوطويرق الكثيري .

وكان أول أمرٍ أصدره بضرب العملة في ربيع الأول سنة ٩٣٤هـ/ ١٥٢٧م في مدينة الشحر[١]، وسميت بالريال، وضرب معه فئة نصف الريال وربع الريال، وكان الريال الواحد يزن أوقية من الفضة[٢] غير أن الريال الأشرفي[٣] الذي أصدرته الدولة الرسولية ظلَّ متداولاً في حضرموت إلى جانب الريال الذي أصدره السلطان بدر[٤]، ثم أصدر السلطان بدر في سنة ٩٤٣ هـ/ ١٥٣٦م أمره بضرب فئات أقل منها: البقشة البدرية، ونصف البقشة، وربع البقشة، وثُمنَها، وقد ضربت من النحاس[٥]، وكان الريال يساوي ثمانين بقشة، وصارت البقشة أكثر تداولاً بين الناس في حضرموت، وبها يتم تحديد الأسعار، وتنظيم عمليات البيع والشراء[٦].

(١) محمد بن عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:١٨٦.

(٢) محمد بن أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ج٢، ص:٢٤١.

(٣) الريال الأشرفي: تزامن دخول الريال الأشرفي مع دخول القوات الرسولية حضرموت سنة ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م، وسمي بالأشرفي نسبة للملك الأشرف ملك الدولة الرسولية.

(٤) محمد بن أحمد الشاطري: المرجع السابق، ج٢، ص:٢٤١.

(٥) محمد بن عمر بافقيه:المرجع السابق، ص:٢٤٠.

(٦) محمد بن أحمد الشاطري: المرجع السابق، ج٢، ط٣، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص: ٢٤١، ٣٩٧- ٣٩٨.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

جـ- إيرادات الدولة الكثيرية:

مثلت الشحر مركزًا تجاريًا مهمًا، وهي ميناء تجاري عظيم تفد إليه السفن من الهند والصين وجنوب شرقي آسيا وشرقي أفريقيا والخليج العربي ومصر وأوروبا، فكان هذا الميناء يستقبل السلع الواردة إليه، ويستهلك القليل منها ويصدر الجزء الأكبر مع المنتجات المحلية في حضرموت سواء زراعية أم صناعية حرفية إلى أقطار مختلفة ومنها بلدان شبه الجزيرة العربية ومصر والعراق والصومال وشرق أفريقيا والهند وغيرها.[١]

وأصبحت تجارة الشحر ذات طابع اقتصادي متنوع، فقد كانت حركة تجارية بحرية واسعة، فمثلت الشحر أيضًا مركزًا للتجارة الداخلية مع ساحل حضرموت ووادي حضرموت، وفي ميناء السفن الشراعية المختلفة، وفيها بحارة ونواخيذ وربابين ومعالمة من الشحر والمهرة والحامي والجميع حضارمة.[٢]

وبذلك لعبت قبائل حضرموت والمهرة دورًا رياديًا في النشاط الاقتصادي داخل مدينة الشحر وخارجها، فقد عملوا بالخط التجاري بين الشحر وغيره من البلدان المختلفة في شبه الجزيرة العربية والخليج العربي وجنوب آسيا وشرقها وبلدان أفريقيا ولعب الحضارمة في الملاحة البحرية كتجار وملاحين وملاك للسفن الشراعية، ويمتلك الحضارة أسطولًا بحريًا تجاريًا للأهالي، وقد عرفت الشحر بهذا الاسم على الساحل الواقع من عمان شرقًا إلى أبين غربًا.

---

١) سعيد عوض باوزير: معالم تاريخ الجزيرة العربية، ص: ٢٤٢ – ٢٤٣ .

٢) محمد عبدالقادر بامطرف: الشهداء السبعة، ص: ٤١ ، ٤٣ ، ٥٢ .

ويعني ذلك أن حضرموت امتلكت ميناءين في النشاط التجاري البحري، وهما: ظفار والشحر[١].

ونقلًا عن بامطرف وصف المؤرخ البرتغالي (كاستنهيدا) بأن مدينة الشحر مدينة كبيرة بها الكثير من التموينات وبها أصناف وكميات من العطور والبخور وعدد غير قليل من الخيل، ويفد إليها التجار المسلمون من الهند وغير المسلمين ومن جنوب شرق آسيا وأفريقيا وشبه الجزيرة العربية والخليج العربي، ومن الأسواق المشهورة في شبه جزيرة العرب مدينة الشحر وميناؤها في حضرموت بحكم موقعها على بحر العرب، وكان شأنها مميزًا ويفد إليها تجار أجانب من أصقاع مختلفة من الشرق والغرب، عربًا وعجمًا، مسلمين وغير مسلمين، وقد يترك هؤلاء آثارًا على التجار والسكان في الشحر وحضرموت تؤثر على العادات والتقاليد المعروفة في البلاد[٢].

وتنقل إلى أسواق الشحر كثير من البضائع، مثل: التمور والزبيب والزيت والسمن والبذور، وأنواع من الحيوانات، مثل: الأغنام والأنعام والخيول، وبحكم قرب المدينة من الميناء فهي دائمة التبادل التجاري وفق حركة الميناء ونشاطه، ومما لا شك فيه أن داخل سوق الشحر تتوزع الأسواق المرتبطة بالأصناف والبضائع المختلفة، مثل ما وصف ذلك باسباع نقلًا عن بامطرف.

(١) محمد عبدالقادر بامطرف: الشهداء السبعة، ص: ٤٢-٥٢، سعيد عوض باوزير: معالم تاريخ الجزيرة العربية، ص: ٢٤٢-٢٤٣.

(٢) نفس المرجع، ص: ٤١، ٤٢، ٤٣.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وفي سوق الذهب والفضة تباع المصنوعات من الحليّ وغير ذلك، وهناك سوق للأقمشة والملابس، وسوق العطور والبخور، وسوق الأواني المنزلية والأثاث والآليات والأدوات الزراعية والحرفية المختلفة، وسوق الحنطة (الحبوب)، وسوق الزيوت، وسوق المواشي من الأغنام والجمال والأبقار والخيول والحمير، ولم تخلُ سوق الشحر من هذه الأصناف والبضائع المعروضة للتبادل التجاري وعمليات البيع والشراء، وقد تتم بعض من عمليات البيع والشراء بين التجار وأصحاب السفن في ميناء الشحر(١).

وقد عرف سوق اللخم من بين الأسواق في مدينة الشحر مثل سوق شبام، وسوق الهنود، وهذه الأسواق في وسط المدينة ولا ترتبط بميناء الشحر، وغالب سكان مدينة الشحر صيادون، فتجفف الأسماك، وتوضع في أماكن خاصة وتعرض للشمس في الأحواش ومن ثم يتم تصديرها للخارج، وتفرض بعض الضرائب على صيادي الأسماك، ويلتزم الصيادون بدفع ما هو عليهم منها وفق القوانين والتقاليد والأعراف المتبعة في ساحل الشحر، وتتم في شواطئ هذا الساحل عمليات الاصطياد والملاحة(٢).

وقد وصف باسباع ميناء الشحر بأنه ميناء صالح لاستقبال السفن الشراعية طوال العام، ويمتاز بمساحة واسعة، ويسكن بالقرب من الميناء بحَّارة وعمال شحن وتفريغ وحمَّالون، وتطرق باسباع نقلًا عن بامطرف لوصف نشاط الميناء التجاري في الشحر، وما يقدِّمه من خدمات وتسهيلات وأعمال للتجارة والتجار وأصحاب السفن الشراعية، فأشار إلى أن أمير البحر رجل عاقل حكيم صاحب خبرة واسعة بالقواعد والقوانين

(١) محمد عبد القادر بامطرف: الشهداء السبعة، ص: ٤١، ٤٣، ٥٣.

(٢) آربي سار جنت: حول مصادر التاريخ الحضرمي، ترجمة: د. سعيد عبدالخير النوبان، ص: ١٣٩.

البحرية، فهو يتعامل ويقدم الخدمات المختلفة للسفن الشراعية المختلفة ولأصحابها وربانها، ويقوم أمير البحر ومعاونوه بتحصيل العشور والضرائب بمعدل ١٠٪ على جميع البضائع حسب العادات والأعراف المتبعة في مينائي الشحر وظفار، ويهتم هؤلاء بمعرفة اتجاهات الملاحة القادمة إليها؛ لأن لذلك أثرًا مباشرًا على أسعار البضائع وتوفير الفرصة المناسبة لوصول السفن المستعجلة، التي ترغب بتفريغ حمولتها كي تبيعها بالسعر المناسب قبل وصول سفن تحمل كميات مماثلة لها وجديرة بخفض سعرها، ويتولى هذا رجل أو أكثر ممن يتصفون بحدَّة النظر والرؤية المناسبة لوصول السفن.

ونشير هنا إلى أبرز الوظائف والأعمال التي تمارس داخل الميناء وفق المتخصصين كلًا في مجاله ما جاء في كتاب الشهداء السبعة[1]، وكذلك ما أشار إليه الأستاذ أربي سار جنت في كتابه حول مصادر تاريخ حضرموت أنه ما من شك في أن هناك تغييرات تطرأ على تنظيم الموانئ من وقت لآخر ومنها ميناء الشحر، ويتولى إدارة شئون الميناء وتنظيمه مجموعة من أصحاب الخبرات الواسعة في الملاحة والتجارة البحرية ومنهم أمير البحر، ومن واجبه أن يكون على ظهر السفينة الواصلة ليقودها باتجاه الميناء ويتولى منه استلام أوراق الشحن، ثم يصطحب أمير البحر والنواخذة صاحب المركب (السفينة) إلى الساحل، ويأخذ منه المعلومات ذات الصلة بالعمل حول شحنة السفينة وكشفًا بالبضائع التي يرغب رواد السفينة في بيعها أو شرائها من ناحية أخرى، ثم يأتي دور مقدم البحر وهو أصغر من أمير البحر، والذي توكل إليه فض المشاجرات والنزاعات

(١) محمد عبد القادر بامطرف: نفس المرجع، ص: ٤٢-٤٣.

للنسخة الورقية زز WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

التي قد تنشأ بين القباطنة وعمال التفريغ في الميناء للسفن المختلفة أو شحن البضائع في ظهر السفينة، ويأتي دور الحمالين الذين يقدمون بنقل البضائع إلى الميناء ثم المستودعات والعكس وتحديد الأجور وفق الأنظمة والقوانين المتبعة في الميناء، ويلعب الدلاَّل دور الوسيط في التوفيق بين الباعة والمشتريات في عمليات البيع والشراء بشكل منفرد حسب السفينة أو البضاعة وصاحبها، ويتقاضى أجرًا حيث يحصل الدلال على ١٪ من البضاعة المصدرة ٢.٥٪ من البضائع المستوردة[١]، إضافة إلى ذلك وجود حرفيين متخصصين في هندسة وصناعة السفن وإصلاحها وترميمها، وكذلك حلّ المشكلات والآثار المترتبة على السفن، التي تتعرض للعواصف البحرية، ويوجد أيضًا أناس متخصصون لتحجيب السفن وتنشيطها في الداخل والخارج من السفن الشراعية على خير ما يكون، وتوفر ميناء الشحر أيضًا الماء والحطب، وبحكم الأعمال التي يتولاها عمال الميناء والمعاملة الحسنة للقادمين إلى الشحر أصبح هذا الميناء مجال جذب للتجار من مناطق مختلفة، إضافة إلى ما يوجد في الشحر من السفن الشراعية المخيطة والمسمارية بمختلف أحجامها الكبيرة والصغيرة، وكان في مدينة الشحر سبعون رأس خيل قدمت من ظفار للترحيل إلى المخاء وجدة، وبعض الحيوانات معروضة للبيع، هذا ما وصفه باسباع نقلًا عن بامطرف[٢].

أما عن ميناء ظفار فقد تميزت بحركة تجارية ناجحة وتفد إليها السفن بحرًا والقوافل برًا، وفي عهد السلطان بدر بو طويرق الكثيري وقع التشديد بوضع الجباية

(١) أربى سار جنت: حول مصادر التاريخ الحضرمي، ترجمة: د. سعيد عبدالخير النوبان، ص: ١٣٢، ١٣٤، ١٩٠.

(٢) محمد عبد القادر بامطرف: الشهداء السبعة، ص: ٣٦، ٤٣، ٤٤، ٨٦.

على اللبان والصيفة (زيت الحوت)، ثم فرضت الضريبة والرسوم على بيع الخيل والمتاجرة بها؛ حيث كانت الخيل موجودة بجهة ظفار، يربطونها للركوب عليها ويستخدمها الفرسان والجند لحماية الأرض بواسطتها بالإضافة للمتاجرة البيع والشراء.

وكانت الخيل لها أثر كبير على الحرف والصناعات والزراعة والمنتجات المختلفة مثل اللبان، واشتهرت ظفار بحركتها الملاحية؛ إذ يفد إليها التجار من الهند والسند من أجل أخذ ما يحتاجون إليه من الخيل واللبان وغير ذلك من المنتجات المحلية، وعندما ضعفت تجارتها ضعف أيضًا التداول في البيع والشراء بالدرهم والدينار[١].

وبدأ آل كثير سلطتهم داخل حضرموت وظفار والمهرة بالرغم مما كان بينهم وبين بعض من قبائل حضرموت والمهرة من تنافس حول القوافل التي كانت تسيرها القبائل المختلفة إلى الشحر وظفار ومنهما إلى المناطق المختلفة في حضرموت وحركة هذه القوافل النشطة، وتفرض الرسوم والضرائب التي تعود إيراداتها بالنفع لخزانة الدولة الكثيرية مما ساهم في إنعاش اقتصاد الدولة[٢].

وعمل السلطان بدر بو طويرق خلال فترة حكمه للدولة الكثيرية على تحصيل موارد المينائين الشحر وظفار، حيث عادة في هذه الموانئ يتم تعشير المراكب، وإلى جانب ذلك يتم تعشير التجارة بأصناف البضائع المختلفة[٣].

(١) سالم محمد بن حميد: تاريخ حضرموت العدة المفيدة، ص: ١١٠-١١١.

(٢) سعيد عوض باوزير: صفحات من تاريخ حضرموت، ص: ١٢١-١٢٣.

(٣) أربى سار جنت: حول مصادر التاريخ الحضرمي، ص: ١٣١، ١٣٨.

للنسخة الورقية زز WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وأشار سارجنت إلى بعض الإحصائيات التي استقاها من (ملخص الفطن)، التي ترجع إلى سنة ١٤٠٠م، فقد كانت تحصل الدولة الرسولية على ضريبة سنوية من ميناء ظفار حوالي ٤٢٠.٠٠٠ دينار، ومن ميناء الشحر ضريبة سنوية ٤٠٠.٠٠٠ دينار، وأيضًا يقدم كل ميناء موادًا عينية أخرى، وفرضت هذه الضرائب خلال فترة حكمها لحضرموت(١).

إن طريقة التعامل التجاري والضرائب المفروضة تخضع للنظام المتبع في ميناء الشحر، فقد أنابت الدولة الكثيرية من يقوم بهذه المهمة أمير البحر، الذي يتولى الإشراف المباشر من خلال التعامل مع التجار وأصحاب السفن الشراعية وتفتيشها، وإعطاء أذون وتراخيص، والأهم من ذلك كله توفير الأمن والأمان في ميناء الشحر، وإيجاد نظام للتعامل بين التجار، واستيفاء الحقوق والديون لأصحابها من خلال التقاليد والأعراف والأنظمة الملاحية المتبعة في ميناء الشحر، ومن المؤكد أن المعاملة الحسنة للتجار وأصحاب السفن الشراعية وشعورهم بالأمن والترحيب بهم يدفعهم للتعامل والقدوم إلى مينائي الشحر وظفار.

كُلُّ ميناء يتأثر سلبًا أو إيجابًا بمدى التعامل الجيد مع التجار وأصحاب السفن الشراعية القادمة إلى الميناء، وكذلك مدى تشجيع السلطان بدر بو طويرق للتجار وأنشطتهم التجارية المختلفة، فضلًا عن مواعيد الرياح الموسمية، وهذه العوامل تزيد من حركة التبادل التجاري(٢).

(١) ابن الديبع الشيباني الزبيدي: الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار زبيد، ص: ٨٠-٢٨١.

(٢) د. شوقي عبد العظيم: عالم المعرفة، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، ص: ٢٤٥، ٢٦٧.

تعد الأتاوات التي تفرضها الدولة من المصادر الرئيسة لإيرادات الدولة، والأتاوة: مبلغ مالي سنوي يدفعه الحاكم المحلي، عند سيطرة قوات السلطان بدر على منطقته، كرمز للتبعية الاسمية للدولة الكثيرية مقابل بقائه حاكمًا على بلاده، كما تؤخذ الأتاوة أيضًا من الأهالي(١).

ومن إيرادات الدولة الكثيرية الرسوم والأتاوات التي تفرض في النقاط والمراكز على القوافل التجارية، التي تخرج من الشحر إلى المناطق المختلفة في الساحل ووادي حضرموت، وكذلك الحال في القوافل القادمة إلى مدينة الشحر.

إلى جانب ذلك ما يفرض من ضرائب وأتاوات على الثمار والمنتجات الزراعية في أوقات المواسم المختلفة، التي تعتمد على السناوة ومياه الأمطار والسيول.

أضف إلى ذلك الخفراء المرافقون للقوافل التجارية الذين يأخذون أجورًا باهضة(٢)، خاصة أن بعض القوافل تتعرض للهوش؛ حيث إن حاكم الهجرين محمد علي بن محفوظ الكندي أخذ قطارًا (عددًا من الجمال تحمل طعام ذرة) لآل عامر النهدية قادمة من الشحر إلى منطقة الكسر غرب وادي حضرموت في سنة ٩١٣هـ/ ١٥٠٩م.

وفي عام ٩١٣هـ/ ١٥٠٩م قام محمد بن أحمد بن سلطان بن ظنة وآل صبرات بغارة على اللسك بتريم وأتلفوا زراعة البر (القمح)، وهناك الكثير من هذه الحوادث المشابهة التي تستهدف الزراعة.

(١) علوي الحداد: الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها: ص: ٥٧، سالم بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق: عبد الله الحبشي: ١٩٣-١٩٩.

(٢) سعيد عوض باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص: ١٢١-١٢٣، معالم تاريخ الجزيرة: ص:٢٤٢-٢٤٣، شنبل: تاريخ حضرموت: ص: ٢٢-٢٢٨.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وعمدت الدولة الكثيرية في عهد السلطان بدر بو طويرق إلى الحفاظ على سلامة الزراعة، وتعيين متخصصين لجمع الضرائب والأتاوات على المنتجات الزراعية، وإقامة الحصون التي بها العسكر الذين يتولون حماية هذه الأراضي.

في يوم الأربعاء ٨ صفر ٩٥٤هـ / ١٥٤٧م جهز السلطان بدر حملة بقيادة القائد التركي (يوسف) باتجاه أحور، وقد أبدى أمير أحور (علي بن حنش) مقاومة إلا أن الخسائر في صفوفه اضطرته إلى طلب الصلح على الآتي:

١- يدفع أمير أحور أربعمائة ريال أشرفي سنويًا.

٢- يدفع أمير أحور سبعة عشر ألف ريال أشرفي نقدًا، بالإضافة غير خمسة دروع وخمسة خيول.

٣- يظل أمير أحور حاكمًا على بلاده معترفًا بالسيادة الاسمية للسلطنة الكثيرية.

وجهز السلطان بدر بو طويرق حملته إلى شبوة سنة ٩٦٣هـ / ١٥٥٥م، ومارس عسكر السلطان والقبائل المتحالفة معه أبشع أعمال السلب والنهب، وترويع العباد، والقتل، وإتلاف الزراعة، وحرق القرى وتخريبها.

واستطاع السلطان بدر وجنده بهذه الأعمال الوحشية إلحاق الهزيمة النفسية بحكام وأهالي غرب حضرموت وجنوبها، فتهاوت هذه الدويلات الصغيرة أمامه سريعًا، وخضعت لسلطته؛ حيث ألزم حاكم حبان بدفع أربعة آلاف ريال أشرفي، كما أخذ ثلاثين ألف أشرفي عن أهل حبان تسمى (فرقة) وألزم سلطان أحور علي بن حنيش بدفع ٥٠ ألف ريال أشرفي، وتمكنت الحملة من دخول ميفعة، وفر أهلها، وأسر ولاتها من آل ابن سدة، غير أنه أفرج عنهم وهو في طريق العودة إلى عاصمته في وادي حضرموت.

بالإضافة إلى الحصول على بعض الأموال من خلال إلزام الحكام والأهالي بدفع الأتاوات المباشرة والسنوية، ومن خلال أعمال السلب والنهب التي ينظر إليها على أنها غنائم حرب، وأيضاً ما يفرض من غرامات مالية على السفن المحتجزة والأسرى مثل ما حدث سنة ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م [١].

د- الأوقاف :

اهتم السلطان بدر بالأوقاف نظراً لأنها من أكثر المجالات التي يجود فيها الحضارمة بأفضل ما يملكون من أراضٍ وعقارات، وقد تنوعت مشاريع الأوقاف فشملت دور العبادة وطلب العلم، كما شملت حفر الآبار وبناء السقايات على طول الطرق، وخصصت بعض الأوقاف للمقابر وشؤون الموتى، كما خصص بعضها للضيافة وتوفير السكن للمنقطعين وأبناء السبيل وإفطار الصائمين وغير ذلك من مجالات الخير [٢].

وقد أولى السلطان بدر هذه الأوقاف عناية خاصة وعيَّن عليها مشرفين يقومون عليها بالمتابعة والصيانة وتحصيل الإيرادات، وأصدر في ذلك أوامر سلطانية، ومما يؤكد هذا قول السلطان بدر يخاطب الفقيه محمد بن عبد الله بحرق: ((هات الدواةَ واكتب كتاباً وختمه، وسير به أحداً في الحال، فإنا عزلنا محمد بن عقيل عباد من الوقف، وأنَبْنا الحسين بن علي عباد، من غير سبب))[٣]، ومن هذا يتبين أن تعيين ناظر الوقف أو عزله يتم مباشرة بأمر السلطان، كما يتبين أن الدولة تتولى تحصيل إيرادات الأوقاف.

(١) محمد عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، ص: ٢٦٩ - ٢٩٧ ٣٢٢-٣٢٥، علوي الحداد: الشامل في تاريخ حضرموت، ص: ٥٧-٥٨.

(٢) محمد بن أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ج٢، ص:٢٥٨.

(٣) جمال الدين محمد باجمال: مواهب الرب الرؤوف في مناقب الشيخ معروف، تريم، مخطوط، محفوظة، مكتبة الأحقاف، ق:١٦٢أ

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

هـ- تأسيس المدرسة السلطانية بالشحر:

أصدر السلطان بدر أمراً ببناء المدرسة السلطانية البدرية في التاسع من رمضان سنة ٩٥٥هـ ١٥٤٨ م في مدينة الشحر، وكلّف الشيخ حسن بن عبد الله باكثير بتنفيذ أمره، والبدء بالعمل في بناء المدرسة[١]، وفي سنة ٩٥٩ هـ ١٥٥٢م اكتمل بناء المدرسة السلطانية، وبدأت باستقبال طلبة العلم، وقد اختار السلطان بدر خيرة العلماء للتدريس فيها منهم الفقيه العلامة علي بن علي بايزيد الدوعني، المتوفى سنة ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م[٢]، الذي بدأ عمله مدرساً، ثم أصبح مسؤولاً مباشراً عن المدرسة[٣]، وممن عمل بالمدرسة محمد بن عبد الرحيم الجابري المتوفى سنة ٩٨٧هـ/ ١٥٧٩م، وعمل فيها أيضاً الفقيه عبد الله بن أحمد باسرومي ت(٩٤٣هـ/ ١٥٣٦م)، والفقيه محمد بن عبد الله بن بحرق المتوفي ٩٥٦هـ/ ١٥٤٩م، وآخرون.

وخلال فترة وجيزة غدت المدرسة مركزاً لتخريج الأئمة والعلماء، وعنها تصدر الفتوى، وبها يُعدُّ القضاة ورجال الدولة، ويُعدُّ إنشاء هذا الصرح العلمي دليلاً على اهتمام السلطان بالتعليم، وإدراكاً منه لأهميته في بناء المجتمعات[٤].

ونشأت إلى جانب المدرسة السلطانية مدارس أهلية خاصة وبعض الزوايا، والأربطة الملحقة بالمساجد، التي أسهمت في نشر التعليم في تلك الفترة.

(١) محمد بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، ص: ٣٣٢، ٣٨٥-٣٨٧.

(٢) نفس المرجع ص:٣٣٧، ٣٤٠، ٣٨٧.

(٣) محمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ص:٢٤٠-٢٤١.

(٤) سعيد عوض باوزير: الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، ص:١٤٥-١٤٩.

والأربطة أماكن يقيم بها الطلاب، ويتفرغون فيها لطلب العلم وهي بمثابة المعاهد الدينية الدائمة والأساسية[١].

وقد أولى السلطان بدر اهتمامًا خاصاً بتعليم البنات وهن في سن مبكرة، وظهرت في تلك الفترة مدارس خاصة تعلم الفتيات أحكام العبادات وما يتعلق بشؤون النساء والتدبير المنزلي والاهتمام بالأزواج وبعض المعارف العامة، وانتشرت هذه المدارس في تريم، والشحر، وشبام، وكان نصيب التعليم في القرى ضعيفاً[٢]، ثم انتشرت المدارس ومراكز التعليم في قيدون، وغيل باوزير،وحريضة، والخريبة وغيرها[٣].

كما ظهر في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي عدد من العلماء، ورجال المعرفة في شتى ضروب العلم، وتعددت المؤلفات، ولازال الكثير منها محفوظاً في المكتبات، بينما اندثر بعضها الآخر.

(١) محمد أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ص:٢٥٧-٢٦١.

(٢) نفس المرجع، نفس الصفحات.

(٣) سعيد عوض باوزير: المرجع السابق، ص:٨٩، ٩٥.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الفصل الرابع

الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في حضرموت في القرن العاشر الهجري/ السادس العشر الميلادي

أ- الرعي.

ب- الزراعة.

ـد- الصناعة الحرفية والمهنية واليدوية.

د- صناعة السفن.

هـ- التجارة.

أ- تطور الأوضاع الاجتماعية.

ب- التكوينات الاجتماعية.

١. العلويون. ٢. رؤساء القبائل وكبار ملاك الأراضي.

٣. المشائخ والفقهاء. ٤. التجار

٥. المزارعون. ٦. الصيادون وبحارة السفن

٧. أصحاب المهن والحرف اليدوية.

٨. الخدم والصبيان. ٩. العبيد.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في حضرموت في القرن العاشر الهجري/ السادس العشر الميلادي

شكل الاقتصاد عصب الحياة في حضرموت، شأنها في ذلك شأن غيرها من البلدان، وقد شكلت الحرف والمهن السائدة في حضرموت عاملاً مهماً في تصنيف أفراد المجتمع إلى مراتب تتفاوت علواً وانخفاضاً، يضاف إلى ذلك عوامل دينية واجتماعية أخرى.

وفي هذا الفصل سنتناول الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، من خلال استعراض الحرف والمهن اليدوية، وسنعرض لذكر المراتب الاجتماعية التي سادت حضرموت، وهذا سوف يعطينا فكرة عن الحياة المعيشية في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، والجوانب الاقتصادية والاجتماعية المختلفة.

أ- الرعي :

يعتبر رعي المواشي من أهم المهن التي عرفتها حضرموت خاصة المجتمعات البدوية التي تتميز بكثرة الترحال طلباً للمراعي، وبحثاً عن الماء والكلأ[1]، ونظام الرعي عند البدو يتم بطريقتين:

الأولى: أن تسبق القبيلة إلى أحد المراعي وتستحوذ عليه، وتحدده بعلامات مميزة من جهاته الأربع، فتعترف لها بقية القبائل بذلك، باعتبارها صاحبة السبق إليه.

(١)د. فيليب حتي وآخرون: تاريخ العرب، (مطول)، دمشق، دار الكشاف، ج١، ط٤، ١٩٦٥م، ص:٢٨.

الثانية: أن يشترك مجموعة من الرعاة من مختلف القبائل في مرعىً واحدٍ في منطقة ما[١].

أما ماء العيون أو السيول أو الكرفان[٢] فيكون مشتركاً لجميع البدو المقيمين حوله[٣]، وهذا ما تعارفت عليه القبائل، وفي حالة مخالفة بعض القبائل هذا العرف يقع النزاع وتحتكم الأطراف المتنازعة إلى قبيلة أخرى محايدة[٤].

ب- الزراعة :

تُعدُّ الزراعة أهم الحرف التي عرفتها حضرموت، وقد انتشرت بشكل واسع بسبب توفر أسبابها ومقوماتها الأساسية، المتمثلة في توفر المياه وخصوبة التربة والمناخ[٥]. ونظراً لتنوع مصادر المياه تنوعت الأنشطة الزراعية التي شملت:

(١) عبدالقادر الصبان: لمحة عن حياة البادية، عدن، مؤسسة الطباعة والنشر، ط١، ١٩٧٨م، ص:٢٣-٢٤، عبدالرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون المسمى بكتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، دار العودة، (د،ر،ط)، ١٩٨١، ص: ٩٥.

(٢) الكرفان: جمع كريف وهو حفرة تحفر في الأرض لمساحة متوسطة لتتجمع فيها مياه الأمطار وتستخدم في الشرب وسقي البهائم، ويكون غالباً في مرتفعات الجبال.

(٣) فضل أبو غانم: البنية القبلية في اليمن بين الاستمرار والتغيير، دمشق، دار الكاتب العربي، ١٩٨٥م، ص:٤٣.

(٤) عبد القادر الصبان: لمحة عن حياة البادية، ص:٢٣-٢٦.

(٥) علي بن عقيل: نموذج تاريخي عن الري في حضرموت، ص:١٩٢.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

١ . الزراعة التي تعتمد على مياه الأمطار والسيول:

وهذا النوع هو أكثر الأنواع انتشاراً في حضرموت. وقد عمل المزارعون الحضارمة على الاستفادة القصوى من مياه الأمطار وذلك بشق القنوات وإقامة حواجز طينية وتقسيم الأراضي إلى مساحات صغيرة[١].

وقد ارتبطت بالزراعة المطرية أنواع من العلاقات المنظمة منها:

النشر: وهي صيغة لواحدة من الاتفاقات التي سادت في حضرموت بين ملاك الأراضي والمزارعين، وتطلق على الأرض التي ينتفع بها المزارع مقابل حصة من المحصول وتعتمد على مياه السيول، ويحدد الاتفاق نصيب المالك والمزارع من إنتاج الأرض، وهذه الطريقة هي الأكثر انتشاراً في وادي حضرموت وساحله، ويتضمن الاتفاق تحديد الفترة الزمنية بينهما[٢]، وهذا الاتفاق يحقق مكاسب اجتماعية وعدالة وتعاونًا ينتفع به كلا الطرفين، فالمزارع يقوم بتجهيز الأرض وحرثها قبل موسم المطر، ويُصْلِح قنواتها الرئيسة والفرعية، ويقيم الحواجز الطينية لحفظ المياه، ويجلب الأسمدة، وبعد رَيِّ الأرض يُعيد حراثتها ويرعى زرعها، ويحميه من الطيور والحيوانات واللصوص[٣]،

(١) د. أسمهان سعد الجرو : تاريخ الأودية الزراعية وأثرها في تطور النهضة الزراعية، عدن، مجلة سبأ، كلية التربية، جامعة عدن، العدد الرابع، اكتوبر ١٩٨٨م ص : ١٠٠ – ١١٠.

(٢) محمد بن أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ج٢، ص:٢٦٦، عبدالقادر الصبان: الفلاحون وعاداتهم المهنية، ص: ٥١.

(٣) قائد نعمان الشرجبي: القرية والدولة في المجتمع اليمني، بيروت، دار التضامن، ط١، ١٩٩٠م، ص:٢٠٠، ٢٨٦. عبد القادر الصبان: الفلاحون وعاداتهم المهنية، ص:٥١، محمد أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ج٢، ص: ٢٦٦.

ومن أنواع العلاقات السائدة بين المزارعين وملاك الأراضي (الرَهْن)، وهو أسلوب يلجأ إليه أصحاب الأراضي الصغيرة والمتوسطة في أوقات الشدة والجفاف، وهو مخرج يتفادون به اللجوء إلى بيع أراضيهم[١]، وبه تُحلُّ مشكلاتهم الاقتصادية، وتقضى حاجاتهم، وفي الوقت نفسه يحتفظون بملكية أراضيهم[٢].

وصيغة الرهن تتضمن وضع الأرض تحت يد المنتفع لمدة معينة، وذلك مقابل مبلغ من المال يدفع لصاحب الأرض، وإن عجز صاحب الأرض عن الدفع بعد تمام المدة بقيت الأرض عند الطرف الثاني ينتفع بها من غير مقابل حتى يسترد أمواله[٣]. وقد انتشرت هذه العلاقة في نواح عدة في حضرموت وخاصة في الأراضي التي تعتمد في ريِّها على الأمطار والسيول.

٢. الزراعة التي تعتمد على المياه الجوفية:

وفي هذا النوع من الزراعة يستخدم المزارع السناوة[٤] كأسلوب للري في كثير من المناطق، رغم بدائيتها، ويُسمَّى مستخدمُها بالساني[٥]، ورغم ما فيها من معاناة ومشقة

(١) سالم محمد بن حميد : تاريخ حضرموت (العدة المفيدة)، ج٢، تحقيق: عبد الله الحبشي ص: ١٤٠ -١٤١، ١٥١، حسن صالح الغلام: حضرموت في القرن الثالث حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دراسة اجتماعية اقتصادية، جامعة عدن، كلية الآداب، رسالة ماجستير لم تنشر بعد، ص: ١٧٨، قايد نعمان الشرجبي: المرجع السابق، ص: ٣٠٩.

(٢) محمد بامطرف: المعلم عبد الحق، عدن، دار الهمداني، ط٢، ١٩٨٣، ص:٢٢٨، ٢٣٥، صلاح البكري: تاريخ حضرموت السياسي، ج٢، ص:١١٧، قائد نعمان الشرجبي: الشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني، بيروت، صنعاء، دار الحداثة، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط١، ١٩٨٦م، ص: ٢٢٠-٢٢٤.

(٣) قائد نعمان الشرجبي: المرجع السابق، نفس الصفحتين، حسن صالح غلام: المرجع السابق ص:١٧٨.

(٤) أعمال السناوة طريقة لرفع المياه من الآبار باستخدام عجلة تشد بحبل يربط به دلو يجرها الحيوان بمساعدة الإنسان.

(٥) عبد القادر الصبان: الفلاحون وعاداتهم المهنية، ص:٥٢، ٥٥.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

فقد ظلت تستخدم في ري المحاصيل الزراعية التي تشمل الحبوب والخضروات وغيرها في المناطق القريبة من القرى الكبيرة وحول المدن(١).

أما فيما يتعلق بالاتفاقات التي ترتبط بالسناوة، والتي تُبرَم بين صاحب الأرض والبئر من جهة، والمزارع من جهة أخرى، فيقدِّم صاحب الأرض كل الأدوات المطلوبة للري بما في ذلك الحمار في بعض الأحيان، ويبذل المزارع الجهد والعمل لسقي الزرع، وحراثة الأرض وإصلاحها، وغرس ما يراه مناسباً من المحصول(٢). ويتضمن الاتفاق تحديد نصيب الطرفين من المحصول، وقد جرت العادة أن يحصل المزارع على ثلث المحصول أو نصفه، ويأخذ مالك الأرض بقية المحصول، إلا إذا تكفَّل المزارع بحفر البئر وتوفير الماء، وتحمُّل كافة نفقات أعمال السناوة، ففي هذه الحالة يعطى المالك عشر المحصول عادة، ويأخذ المزارع بقية المحصول، ويستثنى من ذلك النخيل الذي بلغ مرحلة الإنتاج؛ حيث يحصل المالك على ثلاثة أرباع محصوله، ويحصل المزارع على الربع مقابل سقيه وتعهده بالرعاية.

كما ارتبط بأنواع الزراعة المختلفة نوع آخر من العلاقات، هو الشراحة، وفيها يتولى الشارح حراسة الأشجار والنباتات من اللصوص والدواب والطيور مقابل حصة من المحصول يتم الاتفاق عليها(٣).

(١) عبد القادر الصبان: الفلاحون وعاداتهم المهنية، ص:٥٥-٥٨، قائد نعمان الشرجبي:الشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني، ص:٢٠-٢١.

(٢) قائد نعمان الشرجبي: المرجع السابق: ص:٣٠، ٣٦، قادري عبد الباقي أحمد: موارد المياه في حضرموت ومشاكل استغلالها الاقتصادي، ص: ٦٦.

(٣) عبد القادر محمد الصبان: المرجع السابق، ص:٥٠-٥٢.

كما يعد الأجر النقدي أو العيني من أبرز صور العلاقات بين مالك الأرض والمزارع، حيث يتم الاتفاق مسبقاً على أجر نقدي أو عيني محدد يتقاضاه المزارع مقابل جهده بشكل يومي أو في نهاية الموسم(١).

٣. الزراعة التي تعتمد على مياه العيون والينابيع والأنهار.

شكلت العيون والينابيع والأنهار مصدراً رئيساً من المصادر المائية المختلفة في حضرموت، ومن المؤكد أن الاستفادة من هذه المصادر هو أفضل أساليب الري بحكم توفر الماء الدائم، وسهولة الاستفادة منه(٢).

ومن أهم هذه العيون: عيون غيل باوزير، وتبالة، والحامي(٣)، ووادي عينات، وغيل عمر(٤)، ومن الأنهار المعروفة نهر وادي حجر(٥).

وقد اهتم الحضارمة بزراعة أصناف محددة من المحاصيل، لتؤمن لهم مصادر الغذاء الأساسية وفي مقدمتها التمور(٦)، وقد أولى المزارعون في حضرموت النخيل عناية خاصة

(١) محمد بامطرف: المعلم عبد الحق،ص:٢٢٥- ٢٢٦، قائد نعمان الشرجبي: المرجع السابق، ص:٣٠-٣١.

(٢) محمد بن أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ج١، ص:٦٤، قادري عبد الباقي أحمد: موارد المياه في حضرموت ومشاكل استغلالها الاقتصادي، ص:٥٤.

(٣) تبالة والحامي مناطق تقع إلى الشرق من المكلا، وقريبة من الشحر.

(٤) وادي عينات، شرق وادي حضرموت، غيل عمر: في الجنوب الشرقي لوادي حضرموت.

(٥) وادي حجر: منطقة زراعية غنية بالنخيل غرب المكلا. صلاح البكري: تاريخ حضرموت السياسي، ج١، ص:٤٣، أحمد السنيناوي وآخرون: دائرة المعارف الإسلامية، ج٧، ص:٢٧٦.

(٦) محمد بن أحمد الشاطري: المرجع السابق، ص:٣٠٦، صلاح البكري: المرجع السابق، ج٢، ص:١٣١. محمود طه أبو العلاء: جغرافية شبه جزيرة العرب، ج٣، ج٤،ط١، ١٩٧٢م، ص:١١٦.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

لعلمهم أن التمر حماية من الجوع، ويمكن القول إن معظم سكان الوادي كانوا يملكون أعداداً متفاوتة من النخيل، وأكثر مناطق زراعة النخيل هي: وادي حضرموت، وادي حجر، وبعض مناطق الساحل(١).

ومن المحاصيل الرئيسة التي اهتم بها الحضارمة الذرة الرفيعة، وقد ساعد على زراعتها وجود طقس مناسب في الصيف والشتاء(٢).

والقمح أحد المحاصيل الزراعية الرئيسة التي اهتم الحضارمة بزراعتها في فصل الشتاء، وبكميات أقل من الذرة حيث يعتمد على مياه الآبار(٣).

وإلى جانب تلك المحاصيل الرئيسة شكل النَبق (شجر السِّدْر) مصدراً غذائياً، كما أفاد المزارعون من أخشابه في أعمال النجارة والبناء كما أفادوا من أوراقه في التنظيف.

واهتم المزارعون في حضرموت بزراعة الخضروات والفواكه والحبوب والبهارات وعلف البهائم ومحاصيل أخرى(٤).

لا يعتقد أحد أن تأثير السلطان بدر على الزراعة كان من خلال إدخال أساليب جديدة للزراعة، أو زراعة بذور جديدة لم تكن معروفة من ذي قبل، ولكن هذا التأثير

(١) صلاح البكري: تاريخ حضرموت السياسي، ج١، ص : ١٨٨، ١٨٩، ٢٠٥، ٢١٠.

(٢) عبد الله الجرافي: المقتطف من تاريخ اليمن، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٩٨٤م، ص:٢٣،عمر رضا كحالة: جغرافية شبه الجزيرة العربية، مكة، القاهرة، مكتبة النهضة الحديثة، مطبعة الفجال الجديدة، ط٢، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، ص:١٧، ٣٤٣، صلاح البكري: المرجع السابق، ص: ٢٠٥، ٢١٠.

(٣) عبد القادر الصبان: الفلاحون وعاداتهم المهنية، ص:٣٠-٣١.

(٤) صلاح البكري: حضرموت وعدن وإمارات الجنوب العربي، ص:١٦٢، ١٦٧، ٢٠٤-٢٠٥.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

يقتصر على حفر بعض الآبار، وأيضاً كان التأثير من الناحية الأمنية؛ حيث شهدت حضرموت في الفترة التاريخية التي سبقت حكم السلطان بوطويرق سلسلة من الحروب والغارات والصراعات بسبب حالة التجزئة السياسية الموجودة؛ حيث تعددت الكيانات السياسية والرئاسات القبلية، وقد ترتب على هذه الحروب والغارات والصراعات أضرار اجتماعية واقتصادية؛ إذ كان من الأهداف الرئيسة لهذه الحروب القبلية السلب والنهب، وممارسة أعمال العنف والوحشية؛ إذ تمارس إحراق المزروعات، وبعض الأحيان إتلاف المحاصيل الزراعية، بهدف إلحاق الأضرار الاجتماعية والاقتصادية بالقبائل الخصوم.

ولا يعني أن ما أشرنا إليه أنه خلال فترة حكم السلطان بدر بوطويرق قد توقفت مثل هذه الأعمال الوحشية، بل للأسف في بعض الأحيان كان السلطان بدر نفسه يمارس هذه الأعمال في محاربة معارضيه(١)، ولكن الذي طرأ خلال فترة حكمه أن هذه الأعمال الوحشية تناقصت وقلت إلى حدٍ ما إذا ما قورنت بالفترة السابقة(٢)، خاصة أن السلطان بدرًا مال إلى أسلوب توقيع اتفاقيات مع بعض القبائل لتتولى حراسة الزراعة وقت المحصول، ومقابل ذلك يُسلَّم لها جزء من حصة الدولة من المحاصيل الزراعية، ومن هذه الاتفاقيات تلك التي تم توقيعها مع المقدم سليمان بن أبي بكر باهبري زعيم قبيلة سيبان، وبموجبها تتولى قبيلته حراسة وادي دوعن الأيسر، و فترة الاتفاقية مدة حصاد المحصول الزراعي، وهناك اتفاقية أخرى مع المقدم محمد بن علي بن فارس زعيم قبيلة نهد، بحيث تتولى قبيلته حراسة منطقة الكسر.

(١) سالم بن محمد بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق: عبد الله الحبشي، ص:١٩٥-١٩٧.

(٢) محمد بن عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق: عبد الله الحبشي، ص: ٢٠٢- ٢١٤، ٣٩٥.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

لا شك في أن هدف السلطان بدر من توقيع مثل هذه الاتفاقيات هو إقرار الأمن ومنع السرقات أو إحداث الحرائق أو إتلاف الزراعة(١).

كانت الصناعة الحرفية في حضرموت في بدايتها بسيطة تعتمد على العمل اليدوي شأنها في ذلك شأن المجتمعات الأخرى، ثم نمت عبر الفترات التاريخية، وتطورت لتلبي حاجات الناس المعيشية(٢). وقد ساعد الاستقرار في حضرموت على نشوء مثل هذه الصناعات اليدوية وتطورها، ولاسيما في المراكز الحضرية حيث التجمع السكاني(٣)، إضافة إلى وجود بعض العوامل الأخرى منها: توفر المواد الخام، ووجود الأسواق الدائمة والموسمية، التي ترتبط بالأعياد والمناسبات المختلفة(٤).

ومما ساعد على تطور الصناعة الحرفية في حضرموت إصرار أصحاب الحرف على ممارسة حرفهم رغم احتقار أو ازدراء البعض لها، خاصة في المجتمع القبلي الذي تسوده رواسب الجاهلية(٥).

---

(١) محمد بن عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق: عبد الله الحبشي، ص: ٢١٣- ٢١٤، ٢١٨.

(٢) قائد نعمان الشرجبي، الشرائح الاجتماعية التقلدية في المجتمع اليمني، ص:٢٣٢.

(٣) سالم مبارك العوبثاني: النشاط الصناعي في محافظة حضرموت، المكلا، بحث مقدم للندوة بعنوان : التركيب الجغرافي والأهمية الاقتصادية لمحافظة حضرموت، جامعة عدن، كلية التربية، ١٩٨٧م، ص : ٢-٣.

(٤) فضل علي أبو غانم: البنية القبلية في اليمن بين الاستمرار والتغيير، ص: ١٨٣، ٢٣٤، ٢٣٥، قائد نعمان الشرجبي: القرية والدولة في المجتمع اليمني، ص:١٢١، محمد بن أحمد الشاطري :أدوار التاريخ الحضرمي، ص:٢٦٦-٢٦٧-٢٨٥.

(٥) فضل علي أبو غانم: المرجع السابق، ص:١٨٣، ٢٣٤، ٢٣٥.

لكن هذه النظرة أخذت تتناقص تدريجياً، وأصبحت ممارسة المهن على اختلافها أمراً طبيعياً، لكثرة الحاجة إليها[١]،ومن المألوف أن ترى في القرية الواحدة مختلف المهن، فالمزارع، والحانوتي، وراعي الماشية، جنباً إلى جنب مع الحائك، والبنَّاء، والنجَّار، والحدَّاد، وكلما ازداد التجمع السكاني ازدادت الحرف[٢]. وسنحاول التعرف على أهم المهن التي انتشرت في حضرموت في الفترة التي نحن بصدد الحديث عنها، ومن أهم هذه الحرف:

١ - الحياكة والنسيج:

ظهرت في حضرموت المغازل الخشبية، وكانت تُصنع محلياً، ويعمل عليها النساجون في البيوت، ويقومون بكافة العمليات التصنيعية بدءاً بغزل القطن وحتى صناعة الثياب والأغطية على اختلافها، وبلغ إتقان النسَّاجين حداً مكَّنهم من إدخال الحرير في منسوجاتهم[٣]، وعرف الحضارمة أنواعاً من الثياب التي اشتهروا بها مثل: البرود بأنواعها، والقمصان، والعمائم، والملاحف، والمعاوز، والسباعيات[٤]، والطاقيات، واشتهرت كذلك الأقمشة البيضاء التي يرتديها الرجال، وتُزيَّن عادة بالتطريز، كما اشتهرت الثياب النسائية[٥].

(١) صلاح البكري: حضرموت وعدن وإمارات الجنوب العربي، ج٢، ص:١١٠، ١١٦، ١١٧. محمد عبدالقادر بامطرف: المعلم عبد الحق، ص:١٢٦-١٢٨.

(٢) محمد بن أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ج٢، ص: ٢٣٩، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٩٩.

(٣) نفس المرجع، ج٢، ص: ٢٧٢-٢٧٣، سالم مبارك العوبثاني: النشاط الصناعي في محافظة حضرموت، ص:٢.

(٤) الملحفة والمعوز والسباعية: أسماء لثياب يلبسها الرجال، ولا زال الحضرمي يلبسها إلى اليوم، وقد اختلفت تسمياتها من منطقة لأخرى.

(٥) محمد بن أحمد الشاطري: المرجع السابق:ص:١٨٥، سالم مبارك العويتاني، المرجع السابق، ص: ٣-٤، عبد القادر محمد الصبان: الفلاحون وعاداتهم المهنية، ص:٨، ١٣٩.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وتفنَّن الحضارمة في صناعة الأصباغ، ولاسيما اللون الأسود الذي كثر استخدامه في حضرموت، ويستخرج من أشجار الحوير التي تزرع لهذا الغرض، وصارت الصباغة حرفة مستقلة عن الحياكة، وهاتان الحرفتان (الحياكة والصباغة) كان يمارسهما الرجال والنساء على حدٍّ سواء. وتركَّزت في مدن شبام، وتريم، والشحر، وبعض القرى والمدن الأخرى[١].

٢- الحدادة :

عرفت حضرموت الحدادة ومارسها الحرفيون بأدواتهم البدائية التي كانت تشتمل على: الفرن (الكير)، والمطرقة التي يشكل بها المعدن، والمنفاخ، وكانت هذه المهنة تعتمد بشكل رئيس على الجهد العضلي[٢]، وكان يزاول هذه الحرفة بعض الجماعات والأسر.

والحرفيون العاملون بالحدادة عُرِفُوا بالحدَّادين، وكان انتشارهم في المدن والقرى أكثر من البوادي[٣]، وقد استطاعت هذه الحرفة تأمين حاجة الناس من الأواني المنزلية والأدوات التي تستخدم في الحياة العملية بمختلف مجالاتها[٤].

---

(١) سالم مبارك العوبثاني: النشاط الصناعي في محافظة حضرموت، ص:٣-٤، صالح بن علي الحامد: تاريخ حضرموت، ج١، ص: ٩٦.

(٢) قائد نعمان الشرجبي: الشرائح التقليدية في المجتمع اليمني، ص: ٤٠-٤١، سالم مبارك العوبثاني، النشاط الاجتماعي في محافظة حضرموت، ص: ٤.

(٣) قائد نعمان الشرجبي: المرجع السابق، ص:٢١١-٢٣٧، ومحمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، ص:٦٥.

(٤) سالم مبارك العوبثاني: المرجع السابق، ص:٤.

٣- الدباغة :

والدباغة من الحرف العريقة في حضرموت، وكذلك الصناعات الجلدية؛ حيث يستفاد من جلود الحيوانات المذبوحة بقراً أو غنماً أو إبلاً، ويتم إحضار المواد اللازمة للدباغة من أشجار العِشر(١)، والقرظ، والملح الجبلي، فيُطهِّر الجلد ويُعدُّ للصناعة(٢)، ومن أهم المنتوجات الجلدية القِرَب والدِّلاء(٣) والأحذية والأحزمة بمختلف أشكالها، ثم ظهرت صناعة الحقائب وغيرها.

ومن المعلوم اشتراك النساء والرجال في الدباغة وصناعة الجلود، وكانت تمارس في الغالب في البيوت أو المحلات المخصصة لها، وتتركز في المدن(٤).

٤- الخزف :

اشتغل بصناعة الخزف بعض القبائل الحضرمية، وقد توارثها الأبناء عن الآباء والأجداد، وانتشرت هذه الحرفة في وادي حضرموت والساحل، واعتمدت على التربة الجيرية والطينية وبعض المواد الأخرى كروث البهائم وصوف الأغنام،وتخلط هذه

(١) وهي أشجارٌ طبيعية تستخرج منها مادة سائلة بيضاء تستخدم في تطهير الجلود.

(٢) صلاح البكري: تاريخ حضرموت السياسي، ج١، ط١، ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م، ص:١٣٧.حسن صالح شهاب: أضواء على تاريخ اليمن البحري، ص:٢١٨، ٢١٩.

(٣) القرُبْ: أوان جلدية لحفظ الماء، الدلاء: أوانٍ جلدية لرفع الماء من الآبار.

(٤) حسن صالح الغلام: حضرموت من القرن الثالث حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دراسة اجتماعية اقتصادية، ص: ١٨٣، سالم العوبثاني: النشاط الصناعي في محافظة حضرموت، ص:٦.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

المواد بنسب دقيقة ويضاف لها الماء، ثم تُشكَّل حسب رغبة الصانع وتُزيّن بشيء من الزخـرفة والرسوم، وتوضـع في أفران خاصة لتصبح صلبة وقوية[١]، ثم تلوَّن بالألوان المختلفة وتصبح صالحة للاستعمال.

ويُصنَع من الخزف الجرار الكبيرة والصغيرة والمتوسطة، التي تستخدم لحفظ الماء أو الحبوب أو التمور، كما يُصنَع منها الأباريق والفناجين والصحاف على اختلافها، وكذلك الأفران المنزلية، وبلغت هذه الحرفة من الدقة والإتقان حداً بعيداً، كما لبَّتْ حاجات البلاد وغطَّت الأسواق[٢].

٥- الخوص والشطف:

امتهن هذه الحرفة عدد من القبائل الحضرمية الحضرية، ومادة الحرفة متوفِّرة بكثرة في حضرموت، وهي الخوص المأخوذ من سعف النخيل، ويقوم العاملون بتلوين الخوص بألوان يحضرونها من بعض الأشجار، وتكاد النساء تنفرد بالعمل في هذه الحرفة وتمارس في البيوت[٣].

ويصنع من الخوص بعض الأثاث المنزلي، كالحصر والأطباق، والزنابيل (السلال) بأشكالها المختلفة، كما يصنع ستائر البيوت والمكانس والأغطية، وكذلك يصنع أدوات يستعملها الزراع لحمل الحبوب وبعض المحاصيل. كما ينقل بها الأتربة والأسمدة[٤].

(١) سالم العوبثاني: النشاط الصناعي في محافظة حضرموت، ص:٧.

(٢) نفس المرجع ، ص:٦-٧، محمد أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ص: ٢٧٣-٢٨١.

(٣) عبد القادر الصبان: الفلاحون وعاداتهم المهنية:ص، ٦٣.

(٤) محمد بن أحمد الشاطري : المرجع السابق، ج٢ ص : ٢٧٣.

وقد انتشرت هذه الحرفة في قرى حضرموت ومدنها، وتركزت في وادي حضرموت ووادي حجر[١]،ولازالت هذه الحرفة منتشرة في حضرموت حتى يومنا هذا.

٦- النجـارة :

استفاد النجَّارون من أخشاب أشجار السدر (العِلب) المنتشرة في وادي حضرموت في صناعة ما تحتاجه المباني من أعمدة وأبواب ونوافذ، وكذلك صناعة بعض الأواني المنزلية، والأدوات المستخدمة في الزراعة والبناء وغيرها مما يطول ذكره[٢].

وقد عمل بهذه الحرفة عدد من القبائل الحضرية في حضرموت، وتخصصت فيها جماعات عرفت بالنجَّارين[٣].

٧- البناء والتعمير:

اختص بعض الأفراد بأعمال البناء ومتطلباته، وتميزت المباني في حضرموت بأشكال جمالية وزخرفية إضافة إلى قوتها ومتانتها.

والمباني عادةً ما تبنى بالطين؛ حيث يتم أولاً إعداد المدر وتجفيفه، وهو عبارة عن قوالب طينية تُعَدُّ بخلط التبن مع الطين، ثم تبنى البيوت والقلاع والحصون والقصور، وعند اكتمال البناء تُطلى بالجير.

(١) سالم العوبثاني: النشاط الصناعي في محافظة حضرموت، ص:٧.

(٢) محمد أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ص٢٧٠-٢٨٤.

(٣) عبدالقادر الصبان: عادات وتقاليد بالأحقاف، المكلا، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف.١٩٨٠م.ص:٤٤.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وقد برع الحضارمة في صناعة الجير (النورة)، وتتم بوضع كمية من الأحجار الجيرية في أفران خاصة، توقد بالأخشاب والقش وروث الحيوانات[١]، ومعظم أعمال البناء تتم بأجر يومي، يُتَّفَق عليه مسبقاً.

ويشهد بناء القصور والحصون والقلاع والمساجد على براعة الحضارمة في هذه الحرفة[٢]، ولعل أبرز هذه المعالم قصر السلطان بدر بوطويرق الكثيري في سيئون، والمدرسة السلطانية في الشحر[٣].

اهتم الحضارمة بوسائل النقل البرية والبحرية في أعمالهم التجارية والصيد، ونقل الركاب، ولذلك نشطت حرفة صناعة السفن والمراكب البحرية، وكانت الأخشاب وألياف النخيل هي المادة الرئيسة في هذه الصناعة، وكانت السفن والزوارق تسير بالأشرعة، وعمل الحضارمة على تطوير هذه الصناعة، وتنوعت السفن[٤]، وتفاوتت أحجامها ومسمَّياتها، فمنها: الجُلبة، والطراد، والسنبوق العدني، والعبري، وقد سبقت

(١) عبدالقادر الصبان: تعريفات تاريخية عن وادي حضرموت، ص:١٠.

(٢) محمد بن أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ج٢، ص:٢٧٠.

(٣) محمد عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:٣٣٢-٣٣٤، عبد القادر الصبان: تعريفات تاريخية، ص: ١١.

(٤) الجلبة: سفينة كبيرة تنقل البضائع والركاب والخيول والجمال، والطراد: نوع صغير من السنابيك السريعة، السنبوك العدني نسبة إلى عدن، التي اشتهرت بصناعتها.

العبري: نوع من أنواع السنابيك يصنع على ساحل المهرة، وله مقدمة طويلة.

الإشارة إلى أن السلطان بدر بوطويرق أفاد من خبرات الحضارمة في صناعة السفن، وكوَّن أسطولاً بحرياً لمعاركه البحرية(١).

مارس الحضارمة النشاط التجاري عبر العصور، وشكَّلت التجارة جانباً مهماً في اقتصاد حضرموت، ويأتي هذا النشاط في المرتبة الثانية بعد الزراعة(٢)، وقد كانت التجارة في حضرموت تعتمد على المنتجات المحلية، من زراعة أو صناعة أو غيرها(٣).

وتركزت مراكز البيع في مدن حضرموت وقراها بصورة حوانيت صغيرة تعرض المنتجات المحلية، إلى جانب البضائع المستوردة من الخارج وهي في الغالب تضم الحبوب والزيوت والبهارات والملح والعسل والبخور والبن(٤).

وإلى جانب الحوانيت ظهر الباعة المتجوِّلون في القرى يحملون بضائعهم على الدواب، وكانت الأسواق الموسمية تنظم في المواسم السنوية، وهي مرتبطة بالأعياد والزيارات.(٥)

وكانت عمليات البيع والشراء تتم عن طريق المقايضة، وخاصة في الريف والقرى النائية(٦).

(١) حسن صالح شهاب: أضواء على تاريخ اليمن البحري، ص:٢٢٠، ٢٢١، ٢٥٨، ٢٧٣.

(٢) محمد عبد القادر بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص:٤١-٤٥، حسن صالح شهاب: المرجع السابق، ص:١٢٩-١٣٧-١٣٨.

(٣) محمد أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ص: ٢٧٢-٢٧٣.

(٤) عبد القادر الصبان: لمحة من حياة البادية، ص:١١.

(٥) صلاح البكري: تاريخ حضرموت السياسي، :ج٢، ص:١١٠- ١١١، ١١٩- ١٢٠.

(٦) عبد القادر الصبان:المرجع السابق، ص:١٠.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

وكانت العملة المتداولة في ذلك الوقت هي الريال الأشرفي، ثم تعامل الناس بالعملة المحلية، التي أمر بضربها السلطان بدر بوطويرق (من فئة الريال والبقشة)، وقد أشرنا إليها فيما سبق.

وقد أدى ازدهار الحركة التجارية إلى ظهور أسواق متخصِّصة، وتحديد أيام لمزاولة التجارة في المدن، من ذلك: سوق الغنم، وسوق الطعام في مدينة الشحر وغيرها من الأسواق، التي ارتبطت أسماؤها بأسماء البضائع، كما لوحظ ذلك في شبام وتريم[١].

وقد احتلت مدينة الشحر وميناؤها مركزاً فاعلاً ورياديا في التجارة الداخلية والخارجية؛ حيث كانت تمثل همزة الوصل بين المدن في داخل حضرموت وخارجها[٢].

ويصف لنا الأستاذ محمد بامطرف جانباً من الحركة التجارية في الشحر في الفترة التي نحن بصدد الحديث عنها: حيث ازدهرت بها الصناعات المحلية المختلفة، وظهرت بها أفضل الحوانيت والمحلات التجارية الكبيرة ومستودعات تخزين البضائع والحانات. ووجدت بها المساكن الخاصة لعمال الشحن والتفريغ في الميناء وبحارة السفن الذين تجبرهم ظروف الملاحة على البقاء في الشحر فترةً من الوقت[٣]، وظهرت هذه المساكن في حارة القرية التي يوجد بها سوق الخان القديم[٤].

---

(١) محمد عبد القادر بامطرف: الشهداء السبعة:ص:٤١، ٤٣.

(٢) محمد بن أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ص:٢٨٥-٢٩٩.، صلاح البكري: تاريخ حضرموت السياسي، ج٢، ص: ١١٠، ١١٦.

(٣) محمد عبد القادر بامطرف: المرجع السابق، ص:٤١-٤٥.

(٤) د. آر بي سارجنت: حول مصادر التاريخ الحضرمي، ترجمة: د. سعيد عبد الخالق النوبان، عدن، جامعة عدن، ١٩٧٤م، ص: ١٣٩، حسن صالح الغلام: حضرموت من القرن الثالث حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دراسة اجتماعية اقتصادية، ص٢١٦.

واعتمدت التجارة الداخلية بين الشحر وبين القرى والمدن والبوادي على الدواب، التي كانت تسلك عدة طرق برية تربط الساحل بالداخل، منها الطريق الذي يمر عبر هضبة حضرموت ماراً بالكسر؛ حيث يتفرَّع باتجاه الوديان الثلاثة: عمد، ودوعن، والعين، ويمر الطريق الثاني من الشحر إلى غيل بن يمين، ومن هناك يمتد السير إلى وادي ساه[١]، ويمر الطريق الثالث من الشحر عبر سيحوت ويسلك طريق وادي المسيلة إلى تريم وهو أقصر الطرق إلى الداخل، ويمر الطريق الرابع من الشحر محاذياً للساحل ليصل إلى بئر علي غرباً ثم يتجه شمالاً إلى بيحان ويتجه بعد ذلك إلى شبوة.

وأما الطريق المتجه من غرب حضرموت شبوة فيسلك مسارات عدة كلها تؤدي إلى داخل حضرموت عبر وادي عرمة ووادي عندل، أو من وادي جردان ثم إلى وادي دوعن أو وادي عمد[٢].

وقد توثقت العلاقات التجارية بين حضرموت وكثير من البلدان التي وصل إليها الحضارمة، ورافق ذلك هجرات بأعداد كبيرة من قبل الحضارمة الذين استقروا في تلك البلاد، خلال العصور الإسلامية فتكونت التجمعات السكانية في شرق إفريقيا، ثم ما لبثت أن نمَتْ وتطوَّرتْ إلى مدن مهمَّة، وأضحت مراكز تجارية، تتبادل السلع مع حضرموت وغيرها من البلدان، ونشأت فيها إمارات عربية، امتدت على طول الساحل الإفريقي، وفي بعض جزر المحيط الهندي مثل جزر القمر[٣].

(١) وادي ساه: جنوب شرق وادي حضرموت، خالد سالم باوزير: موانى ساحل حضرموت، دراسة اثنو أثرية، المكلا، مكتبة دار المعرفة، ط١، ١٩٩٦م، ص:٩٢. .

(٢) محمد عبد القادر بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص:١٧٥-١٧٧.

(٣) د. أنور عبد العليم: الملاحة وعلوم البحار عند العرب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، يناير ١٩٧٩م، ص: ٧٣-٧٤.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وقد حمل الحضارمة معهم إلى ساحل إفريقيا الشرقي الكثير من عاداتهم وتقاليدهم القبلية، فأثروا في أهل البلاد وتأثروا بهم، ومن المدن التي استقروا بها: مالاندي، وممباسة، وكلوة، وغيرها.

وللحضارمة تاريخ طويل في الهجرة إلى إندونيسيا وماليزيا وسنغافورة، وقد مارسوا في هذه البلاد التجارة، واهتموا بنشر الإسلام وتعاليمه السمحة في أغلب البلدان التي وصلوا إليها[١]، ومنها ساحل الهند الغربي، التي استقر بها بعض الحضارمة، وصار لهم مركز مرموق فيها في النواحي الثقافية والسياسية والتجارية كما هو الحال في مليبار، ساعدهم على ذلك صدق تعاملهم وأمانتهم، وانتشر عدد منهم في كثير من مدن الهند[٢].

وهكذا نلاحظ الترابط الوثيق بين التجارة والهجرة الحضرمية التي لم تتوقف مع الزمن، بل ازدادت مع ازدياد النشاط التجاري، وقد لعب التجار الحضارمة دوراً فاعلاً في قيام نهضة اقتصادية شاملة في مختلف المعاملات التجارية والنشاط الاقتصادي[٣].

---

(١) محمد حسين العيدروس: دراسات في الخليج العربي، الكويت، دار الكتاب العربي، ج٢، ط١، ١٩٩٩م، ص:٤٧.

(٢) عمر الخالدي: نتائج هجرة الحضارمة إلى الهند (الوجود العربي في حيدر آباد) ترجمة عبد السلام عبد المنعم، الرياض، الدارة، مجلة فصلية محكمة، دارة الملك عبد العزيز، العدد الثالث، السنة العاشرة، ربيع الثاني ١٤٠٥هـ، ديسمبر ١٩٨٤م، ص:٢١٩-٢٢١.

(٣) د. شوقي عطا الله: دور العرب الحضاري في شرق أفريقيا في القرنين السادس والسابع عشر، رأس الخيمة، أبحاث ندوة رأس الخيمة: العلاقة بين الخليج العربي وشرق أفريقيا، مركز الدراسات والوثائق في الديوان الأميري، ج٢، ٥-٧ محرم ١٤٠٨هـ/ ٢٩-٣١، أغسطس، ١٩٨٩م، ص:١٨-٢٢.

ولما وصل البرتغاليون إلى سواحل إفريقيا دهشوا عند رؤيتهم لمظاهر الحضارة وتنوع النشاط التجاري للتجار العرب[١]، مما دفعهم إلى التفكير في ضرب احتكار العرب النشاط التجاري في المحيط الهندي والبحر الأحمر والخليج العربي والبحر الأبيض المتوسط والساحل الأفريقي[٢].

(١) محمد حسين العيدروس: دراسات في الخليج، ج٢، ص:٤٧.

(٢) د. شوقي عبد القوي عثمان : تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية ٤١١– ٩٠٤ هـ – ٦٦١ – ١٤٩٨م، الكويت، مجلة سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، يونيو / ١٩٩٠م، ص : ٤٥ – ٥٥، ٦٨.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ثانياً : الأوضاع الاجتماعية في حضرموت
في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي

أولاً: العلويون.

ثانياً: رؤساء القبائل وكبار ملاك الأراضي

ثالثاً: الـمشائخ والفقهاء.

رابعاً: التجار.

خامساً: المزارعون.

سادساً: الصيادون وبحارة السفن.

سابعاً: أصحاب المهن والحرف اليدوية.

ثامناً: الخدم والصبيان.

تاسعاً: العبيد.

ثانياً: الأوضاع الاجتماعية في حضرموت

شهد المجتمع الحضرمي كغيره من المجتمعات تطورات اجتماعية واقتصادية كبيرة، أدت إلى تصنيف قبائل حضرموت إلى بدو وحضر، وأصبح مفهوم القبيلة لا يرتبط بالبدو فحسب، وإنما يشمل البدو والحضر معاً[١]. وتحولت كثير من القبائل الرعوية إلى الحياة القروية المستقرة، وارتبطت بالزراعة والتجارة وصيد الأسماك وبعض الحرف اليدوية[٢].

وبظهور القبائل الحضرية التي سكنت القرى والأرياف أصبحت كل قرية تابعة لقبيلة أو فخذ أو مجموعة أفخاذ تتفرع من القبيلة[٣]، وقد اندمجت هذه القبائل في المجتمع، وتوثقت صلاتها عن طريق المصاهرة[٤]، وازداد الاختلاط بين القبائل الحضرمية في الوادي والساحل،[٥] وضعفت العصبية لدى بعض هذه القبائل[٦]. وحل العلماء والفقهاء في الحضر محل الزعامات القبلية[٧].

(١) محمد عبدالقادر بامطرف: المعلم عبد الحق، ص : ٢٠٤.

(٢) عبدالقادر الصبان : لمحة عن حياة البادية، ص: ١٠، ٢٠، ٢١.

(٣) الحسن الهمداني: صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، ص: ١٦٦ – ١٧٢.

(٤) د. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،ج١، ص : ٤٦٦ – ٤٦٧، ٥١٢ – ٥١٣.

(٥) عبد القادر الصبان : المرجع السابق، ص : ١٠، ٢٠، ٢١.

(٦) د. حليم بركات: المجتمع العربي المعاصر، بحث استطلاعي اجتماعي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٥م، ص :٧٩.

(٧) د. عادل أحمد الكسادي: التنظيم القبلي والاجتماعي والتقليدي في حضرموت (١٩٠٠-١٩٦٧م. الكويت، مجلة الكويت، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، مجلس النشر العلمي، العدد ١٠٠)، السنة (٢٧) شوال، ذو الحجة، سنة ١٤٢١هـ/ يناير، فبراير، مارس ٢٠٠١م،ص: ١١٧-١١٨.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

أما القبائل البدوية التي بقيت على تنقلها بين البادية والحضر فقد ظلت متمسكة بعاداتها وأعرافها القبلية، وظل التعصب للقبيلة من أبرز ما يميزها، وكانت تلجأ للقوة دفاعاً عن القبيلة[١].وآثرت بعض القبائل حياة البادية واختارت الإقامة بالقرب من المراعي، وصارت المثاوي والمسارح[٢] خاصة بها، وتعرف باسمها[٣].

وقد اختارت بعض القبائل البدوية الهضبة الشمالية لحضرموت سكناً لها كالصيعر من كندة، وتقع ريدة الصيعر شمال غرب حضرموت، وسكن آل كثير في هضبة حضرموت الشمالية، وسميت المنطقة بنجد آل كثير (مرتفعات شمال وادي حضرموت)، وتمتد منطقتهم إلى الطرف الجنوبي من ريدة الصيعر، وإلى جوارهم قُف العوامر الذين سكنوا الهضبة الشمالية[٤]، وفي الهضبة الوسطى قامت ريدة الجوهيين، وريدة المعارَّة، وبجوارهم إلى جهة الغرب ريدة الدَّيَن ما بين وادي عمد ووادي دوعن. وسكنت سيبان شمال وادي حجر، وسكنت إلى جوارها من جهة الشرق قبيلة الحموم جنوب وادي المسيلة بالقرب من الشحر[٥]، وسكنت المناهيل من بني ظنة المنطقة الصحراوية الواقعة بين وادي المسيلة جنوباً وقبر هود شمالاً[٦]. وكانت هذه القبائل على صلة وثيقة

(١) جواد علي: في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص: ٤٦٦- ٤٦٧، ٥١٢-٥١٣.

(٢) المثاوي: مكان تقيم فيه القبيلة، والمسارح منطقة الرعي.

(٣) عبد القادر محمد الصبان: المرجع السابق، ص: ١١.

(٤) د. عادل أحمد الكسادي: التنظيم القبلي والاجتماعي والتقليدي في حضرموت (١٩٠٠-١٩٦٧م)، ص:١١٧-١١٨، محمد بن أحمد الشاطري: أداور التاريخ الحضرمي، ج٢، ص:٣٦٠، ٣٦٧.

(٥) علوي بن طاهر الحداد : الشامل في تاريخ حضرموت، ص : ٨٤ – ١٢٤.

(٦) محمد بن أحمد الشاطري : المرجع السابق، ج٢ ص: ٣٥٤.

بالقبائل الحضرية بحكم القرابة والعلاقات الاجتماعية والتجارية[١]، وكان قوام حياتهم على الرعي وحماية بعض الأفراد والجماعات أثناء تنقلهم من مكان لآخر[٢]، ورغم أن هذه القبائل احتفظت لنفسها بنوع من الاستقلالية فإنها لم تكن بعيدة عن الأحداث التي شهدتها المنطقة[٣].

والمجتمع الحضرمي القبلي مجتمع تتعايش في داخله مكونات اجتماعية وقبلية متمايزة نشأت بفعل عدد من العوامل الدينية والاقتصادية والاجتماعية تتمثل في المكانة الدينية، ومقدار الملكيَّة، ونوع الحرفة، والتعصب للنسب والقبيلة. هذه العوامل أدت لظهور حالة التمايز ومفهوم التفاضل بين هذه المكونات الاجتماعية والقبلية داخل المجتمع الحضرمي[٤]؛ حيث نجد أن بعض هذه المكونات الاجتماعية والقبلية احتفظت لنفسها بالطابع القبلي العشائري، وبعضها الآخر بالطابع الديني، وأخرى فضلت الاتجاه إلى الحياة الحضرمية المستقرة بفعل التطورات الاقتصادية والاجتماعية، وهذه المكونات الاجتماعية بحكم اندماجها وانشغالها بحرفتها أو مهنتها التي تزاولها جعلها مع مرور الزمن تنصهر في واقعها الاجتماعي والاقتصادي، وتكتسب مكانتها الاجتماعية في المجتمع الحضرمي[٥].

إن المجتمع الحضرمي يرتبط أفراده على اختلاف مكوناتهم الاجتماعية والقبلية بعلاقات اقتصادية واجتماعية، كما يشتركون في مزاولة بعض الحرف الاقتصادية مثل: الرعي والصيد والزراعة والتجارة وغيرها[٦].

(١) د. حليم بركات: المجتمع العربي المعاصر، ص:٦٩.

(٢) عبد القادر الصبان: لمحة عن حياة البادية، ص:١-١٠.

(٣) د. عادل أحمد الكسادي: التنظيم القبلي والاجتماعي والتقليدي في حضرموت، ص: ١١٧-١١٨.

(٤) فضل علي أحمد أبو غانم: البنية القبلية في اليمن بين الاستمرار والتغيير، ص:١٩١-٢٤٧.

(٥) الصبان: لمحة عن حياة البادية، ص: ١٠، ١٨، ٢١.

(٦) محمد عبد القادر بامطرف: المعلم عبد الحق، ص: ١٥٩م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

يرى بعض المؤرخين أن تسمية العلويين نسبة لجدهم علوي بن عبيد الله بن المهاجر أحمد بن عيسى العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد كانت بداية وجودهم في حضرموت عن طريق جدهم المهاجر الذي دخل حضرموت قادماً من البصرة سنة ٣٣٨هـ / ٩٣١م، واستقر في قرية الجبيل بوادي دوعن، وظل يتنقل في قري الوادي ثم توجَّه إلى بور، ليستـقر في قرية الحسيسة، جنوب قرية بور، وامتلك فيها أراضيَ ونخيلاً[١]، ثم تكاثرت ذريته من بعده، حتى شكلوا مكوّنًا اجتماعيًا متميزًا في المجتمع الحضرمي.

وقد اشتهر العلويون بحرصهم على طلب العلوم الشرعية، حتى صار منهم العلماء والفقهاء وأرباب الفتوى في حضرموت، وبحكم نسبتهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، لقبوا بالسادة، وهو لقبٌ تشريفي، يُطلق على كبيرهم وصغيرهم وعالمهم وجاهلهم[٢]، وكانوا يفتخرون بهذا النسب الذي تميزوا به عن سائر قبائل حضرموت[٣]، وهم يعدون من أكبر قبائل حضرموت[٤].

(١) أحمد حسن العطاس: العرب القاطنون بالجهة الحضرمية، مخطوطة، ق: ١أ- ٢أ..

(٢) صلاح البكري: تاريخ حضرموت السياسي، ص:١١٨.

(٣) قائد نعمان الشرجبي: الشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني، ص:١٣٧، محمد بامطرف: المعلم عبد الحق، ص:١٢٩.

(٤) محمد بن أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ص:ج٢، ص:٢٨٥، ٣٨٤ ، محمد عبد القادر بامطرف: المرجع السابق، ص: ١٢٩.

ولم يكن العلويون من حملة السلاح، إلا مَنْ سكن البادية، فقد كسروا سيوفهم ونبذوا الأسلحة، وفق المبدأ الذي أرساه فيهم المقدم محمد بن علي بن محمد صاحب مرباط العلوي(١)، وذلك في القرن السابع الهجري (٥٧٤- ٦٥٣هـ)(١١٧٨-١٢٥٥م) واكتفوا بسلاح العلم والفكر(٢)، ولذلك عملوا على ترسيخ مكانتهم بالانصراف إلى العلم، والتأليف والمساهمة بالدعوة والإرشاد، وتولي القضاء والإفتاء، والإشراف على التعليم في المدارس، والأربطة، والمساجد والكتاتيب، وتولوا إمامة المساجد وعقود الأنكحة، وإثبات الأهلَّة، وكتابة العقود والاتفاقات(٣).

ومن أبرز فقهاء العلويين الشيخ شهاب الدين أحمد بن علي بن علوي خرد باعلوي (٨٨٦ – ٩٥٩ هـ) (١٤٨١– ١٥٥٣م)، والمعروف بين الناس بالقاضي أحمد؛ حيث اشتغل بالقضاء في وسط وادي حضرموت وجانبه الشرقي، وصارت إليه رئاسة الفتوى في هذه المنطقة(٤).

(١) مرباط العلوي: المراد به المرباط القريب من ظفار القديمة، التي تولى إدارتها محمد بن علي بن محمد الذي عرف بصاحب المرباط.

(٢) محمد عبد القادر بامطرف: المرجع السابق، ١٢٩-١٣٩..

(٣) الشاطري: المرجع السابق، ج١، ط٣، ١٩٩٤م، ص:١٨٦- ١٨٧.

(٤) محمد بن أبي بكر الشلي: المشروع الروي في مناقب السادة الكرام آل با علوي، الهند، طبعة هندية، بدون تاريخ، ج٢، ص:٧٤.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ومنهم القاضي محمد بن حسن بن الشيخ علي بن أبي بكر بن الشيخ عبدالرحمن السقاف الذي تولى القضاء في تريم، وعمل بالتدريس سنة ٩٧٣ هـ/ ١٥٦٥م.[١] وقد تولى عدد منهم مهاماً إدارية في عهد السلطنة الكثيرية.

ويتمتع العلويون بنفوذ روحي قوي خصوصاً من يتم اختياره منهم ليكون (منصباً)، أي رئيساً لجماعة العلويين في منطقة سكنه[٢]، ويُعدُّ أحمد بن حسين العيدروس المؤسس الأول للمنصبة في تريم،[٣] وفي عينات كان المنصب أبا بكر بن سالم بن الشيخ أبو بكر المتوفى سنة ٩٩٣ هـ ١٥٨٥م[٤].

ويتم اختيار المنصب ممن يتميز عن غيره بالوجاهة والشرف، وأن يكون من بيت علم وصلاح وعفة، وأن تكون بيوتهم مفتوحة للضيوف من بدو وحضر[٥].

وكان المناصب ينتشرون في الحواضر والقرى والبوادي، وتُعتبر تريم مركزاً رئيساً لهم، وقد لعبوا دوراً بارزاً في مصالحة القبائل، ونشر العلم وتعاليم الإسلام[٦]، وقد

(١) عمر بن علوي بن الكاف: خلاصة الخبر عن بعض أعيان القرن العاشر والحادي عشر، منتخب من السناء الباهر وعقد الجواهر والدرر، تريم، مخطوطة، محفوظة، مكتبة الأحقاف، ج١، ق:١٥أ-١٧أ.

(٢) صلاح البكري: تاريخ حضرموت السياسي، ج٢، ص:١١٨.

(٣) محمد بن أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ج٢،ط٣، ١٩٩٤م، ص: ٢٨٧-٢٨٩.

(٤) محمد بن عبد الرحمن بن سراج الدين باجمال: بلوغ الظفر والمغانم في مناقب سيدي الشيخ أبي بكر بن سالم، تريم، مخطوطة، محفوظة، مكتبة الأحقاف، ق:١٥أ.

(٥) محمد بن أحمد الشاطري: المرجع السابق، ج٢، ط٣، ١٩٩٤م، ص:٢٨٧- ٢٩١، أحمد حسن العطاس: العرب القاطنون بالجهة الحضرمية، ق ٢أ.

(٦) محمد بن أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ج٢،ط٣، ص:٢٨٧-٢٨٩.

ساعدهم على أداء دورهم هذا حصولهم على بعض الأموال من الأوقاف والوصايا والنذور والهبات، إضافة إلى ما يملكونه من أراضٍ ونخيل[١].

ومن الآثار المترتبة على وجود المناصب ظهور الحُوَط، ومفردها حوطة وهي مناطق سكنية آمنة يعلن عنها المنصب، ويُبلِّغ ذلك لجميع القبائل، فتصبح محمية من الغارات والقتال والسلب والنهب، ويحظى هذا الإعلان باحترام الجميع، ويحدِّد المنصب في العادة حدود الحوطة التي يسكنها هو ومن معه من قبائل الحضر، وتسمى بعض المناطق باسم المناصب الذين سكنوها مثل حوطة أحمد بن زين[٢]، وحوطة الهدار بالقطن[٣]، واتبع العلويون عادات خاصة بهم دون غيرهم في لباسهم وأسمائهم وأنشطتهم الاقتصادية والعلمية[٤].

وكان العلويون يتميزون بترابطهم الاجتماعي، وحسن التنظيم لشؤونهم، وقد أسسوا نقابة تتألف من عشرة أعضاء منتخبين من أعيانهم، يُختَار منهم رئيس لإدارة شؤونهم يسمى النقيب، وكانت النقابة بمثابة رئاسة القبيلة، وقد تأسست هذه النقابة في الثلاثينات من القرن التاسع الهجري (مطلع القرن الخامس عشر الميلادي)، وقد ترأسها

(١) محمد بن أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ج٢،ط٣، ص:٢٧٨-٢٨٨.

(٢) حوطة أحمد بن زين: هي مدينة وادي بن علي شرق شبام، كانت خاضعة لقبيلة السعدي، ولما انتقل إليها أحمد بن زين، وبنى فيها داراً ومسجداً، أعلنها حوطة، وتوفى عام ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م.

(٣) تقع وسط حضرموت، وتسمى حوطة القعيطي وحوطة الهدار، عبد الرحمن السقاف: إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ق:١٠٨أ، ١٢٩أ-١٣٠أ.

(٤) محمد عبدالقادر بامطرف: المعلم عبدالحق، ص:١٩٥، صلاح البكري: تاريخ حضرموت، ص: ١١٩-١٢٠.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

الشيخ أحمد بن علوي باجحدب باعلوي المتوفى سنة ٩٧٣ هـ ١٥٧١م، وتلتزم النقابة بأحكام الشريعة، ولها مصادر مالية من الأوقاف والصدقات والأعمال الخيرية(١).

ويتمتع رئيس نقابة العلويين أحمد بن علوي باجَحْدُب بنفوذ روحي كبير في أوساط المجتمع، وكان له هيبة في قلوب زعماء القبائل والسلاطين، وقد حاول السلطان بدر بوطويرق أن يقرَّبه إليه، عندما قام بزيارته وقدَّم له كمية من الذهب والفضة طالباً منه توزيعها على قرابته ومن يراه من أهل الحاجة، فرد عطية السلطان وردَّ معها ما قدَّمه من البن والعود هدية خاصة، وذلك لكونه لا يقبل هدية من السلاطين.

واستغل الشيخ باجَحْدُب لقاءه بالسلطان فذكَّره بسيرة والده، وتمسُّكه بالعدل، وحثَّه على السير على منهجه، كما طلب منه الاهتمام بالرعية(٢).

وممن كان له نفوذ روحي كبير الشيخ أحمد بن أبي بكر العيدروس باعلوي، الذي تولى التدريس بجامع الشحر، وتفرغ للإفتاء، وتولى رئاسة الفقهاء، وكان يتوسط بين السلـطان بدر بوطويرق وبين بعض قبائل حضرموت في حل بعض المشكلات(٣).

(١) محمد بن أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ج٢، ص:٢٨٥ - ٢٨٧.

(٢) محمد بن أبي بكر الشلي: المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل با علوي، ج٢، ص:٦٩-٧٠، محمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، ص:٥٢.

(٣) عبد القادر بن الشيخ العيدروس: النور السافر في أخبار القرن العاشر، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م، ص: ٩٨-٩٩.

ظلت القبيلة نواة المجتمع الحضرمي العشائري، وتوارث زعماء القبائل مكانتهم الاجتماعية واحتفظوا بأنسابهم ومناطق تمركزهم(١).

وكان زعيم القبيلة يعرف بالمقدَّم(٢)، وتنحصر الرئاسة في فخذ أو بطن من بطون القبيلة(٣)، وتقاس قوة القبيلة بعدد أفرادها، وما تملكه من أراضٍ ونخيلٍ ومواشٍ، ولابد لجميع أفراد القبيلة من الإقرار بالولاء والطاعة لمقدمهم(٤).

وهذه المكانة التي ينالها رئيس القبيلة لا تقوم على أساس من علم أو خبرة وإنما تسير وفق العصبية القبلية وحجم ما يملك من الأموال.

وقد سعى بعض زعماء القبائل إلى زيادة نفوذهم من خلال توسيع علاقاتهم الاجتماعية، الأمر الذي أدى إلى نمو نشاطهم السياسي، وظهور زعامات قبلية انفردت بحكم المناطق التي تمركزوا فيها(٥). وكانت علاقة زعماء القبائل بالدولة الكثيرية تتخذ صورتين:

الأولى: موقف الولاء والطاعة التزاماً بما يوقعونه من اتفاقيات مع السلطان.

---

(١) فرد هوليداي: الصراع السياسي في شبه الجزيرة العربية، السعودية- اليمن (الشمال والجنوب)-عمان، بيروت، ترجمة حازم صياغة وسعيد محيو، بيروت، دار ابن خلدون، ط ١، ١٩٧٥م ص: ١٣.

(٢) محمد بن أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ج٢، ط٣، ١٩٩٤م، ص : ٣٤٦- ٣٤٧.

(٣) صلاح البكري: تاريخ حضرموت السياسي ج ٢، ص ١١٠.

(٤) فضل علي أحمد أبو غانم: البنية القبلية في اليمن، ص : ٤٢ – ٤٣.

(٥) صلاح البكري: المرجع السابق، ج ٢، ص :١١٠. غسان علي نيازي التل: المجتمع العشائري، قضايا ومشكلات، الأردن، دار الكندي للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص:٣٨-٤٠.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

والثانية: موقف المعارضة مما يضطر الدولة الكثيرية إلى إخضاعهم بالقوة، الأمر الذي يفقدهم التأثير الاجتماعي ويقلص نشاطهم السياسي(١).

ويتولى المقدم قيادة القبيلة، وإدارة شؤونها والمحافظة على مصالحها وممتلكاتها وما يرتبط بحياتها، وحل منازعاتها، وإبرام الاتفاقات وتوقيع الصلح، كما يتولى الدخول في الاتحادات القبلية، أو التحالفات القبلية(٢).

وغالباً ما يستعين مقدم القبيلة بمجلس القبيلة الذي يتألف في العادة من رؤساء الفخائذ والبطون، وغيرهم من ذوي الصفات الشخصية التي تؤهلهم لذلك. وينعقد المجلس بدعوة من مقدم القبيلة لبحث الأمور المهمة، و تكون السيطرة في المجلس والتحكم في قراراته لمن امتلك قدرة التحدث والإقناع(٣)، ويلتزم أفراد القبيلة في العادة بما يصدر عن رئيس القبيلة باعتباره يمثل المرجعية الأساسية في إدارة شؤون القبيلة في السلم والحرب(٤)، ولا يترددون عن الاستجابة لأمره إذا دعاهم لمواجهة أي خطر يهدد القبيلة(٥)، خصوصاً وأن المجتمع الحضرمي لا يخلو من الحروب والغارات التي تمارس فيها أعمال العنف والوحشية.

---

(١) عادل الكسادي : التنظيم القبلي والاجتماعي التقليدي في حضر موت، ١٩٠٠ – ١٩٦٧م ، ص : ١٢٢.

(٢) محمد عبد الكريم عكاشة : قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري في حضرموت، ص: ١٧ – ٢١، فضل علي أبو غانم : البنية القبلية في اليمن، ص : ١٩٦.

(٣) غسان علي نيازي التل: المجتمع العشائري، قضايا ومشكلات، ص : ٤٠ -٤٢.

(٤) عبد القادر الصبان: لمحة عن حياة البادية، ص: ٢٥-٣٢..

(٥) عادل الكسادي: المرجع السابق، ص:١١٢، ١٢٢.

وقد يعظم شأن المقدم بين القبائل وتلجأ إليه لحل منازعاتها مع غيرها من القبائل أو مع الدولة. وممن نال شهرة كبيرة المقدم محمد بن علي بن فارس آل عامر، والمقدم علي بن محمد بامدرك، اللذان توسَّطا في حل الخلاف بين السلطان بدر وأخيه السلطان محمد(١).

وسنورد أسماء عدد من الزعماء القبليين لبعض القبائل التي كان لها أثر في الأحداث السياسية في الفترة التي نحن بصدد الحديث عنها، ومن أبرز هؤلاء:

المقدم محمد بن فارس مقدم قبيلة آل عامر، ومن زعماء العوابثة المقدم أحمد عمر باعمر، والمقدم علي بن عبدالله بن محفوظ الكندي، والشيخ عثمان بن أحمد العمودي، والمقدم سليمان بن أبي بكر با هبري من زعامات سيبان، والمقدم سعيد بن عبد الله بن عفرار من زعماء المهرة، والمقدم عبدالله بن على الدوفي، والمقدم علي بن محمد با مدرك رئيس قبيلة كندة(٢). ومن بني ظنة عمر بن جسار بن ظنة، ومن آل يماني محمد بن أحمد بن سلطان بن يماني(٣).

ويعتمد زعماء القبائل في معيشتهم على ما تنتجه أراضيهم الواسعة التي يتولى العمل فيها بعض المزارعين، كما يعتمدون على الغنائم التي يحصلون عليها في عملية السلب والنهب أثناء الحروب والغارات(٤).

(١) عبدالقادر الصبان: لمحة عن حياة البادية، ص:٢٥-٣٢، محمد عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:٢٢٤-٢٢٦،عادل الكسادي: المرجع السابق، ص:٢١٢، ٢٢٢.

(٢) سالم بن محمد بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:١٦١، ١٨٩، ١٩١، ١٩٧،

(٣) محمد عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق: عبد الله الحبشي، ص:٧٩، ١٢٢، ٢٨١، ٢٩٣، ٢٩٤.

(٤) سالم بن محمد بن حميد : المرجع السابق، ص : ١٦٠ – ١٦١.

للنسخة الورقية زز WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وهؤلاء ينحدرون من قبائل حضرمية مختلفة، وقد اتجهوا نحو الاهتمام بعلوم الشريعة واللغة والفقه في الدين، ويمثلون أحد المكونات الاجتماعية في حضرموت[١].

والمعروف تاريخيًا أن لقب شيخ كان سائدًا في حضرموت في القرون الثلاثة الهجرية الأولى، وكان هؤلاء المشائخ يتصدرون المجتمع حتى القرن الرابع الهجري القرن العاشر الميلادي عندما دخل العلويون الذين نافسوهم وأبعدوهم عن الصدارة الاجتماعية[٢].

ويظهر التباين بين المشائخ لاختلاف النسب القبلي، وتفاوت المكانة الدينية، ومدى معرفتهم بالعلوم الدينية و الأحكام الشرعية، والتفرغ لهذا الجانب و مدى التفوق فيه[٣]، حيث نجد صغار المشائخ يقتصر دورهم على عقد أنكحة ومواثيق الزواج والطلاق، والتحكيم في نزاعات الأرض وكتابة الوثائق، وقد يتولى بعضهم القيام ببعض الوظائف في المساجد[٤].

أما كبار المشائخ الذين يتمتعون بلقب العلماء و الفقهاء فيتولون شئون القضاء وأعمال المساجد من أذان وصلاة وخطابة، إضافة الى ذلك تعليم مبادئ القراءة، والكتابة، والحساب، وعلوم الدين في الكتاتيب، أو في المنازل أو زوايا المساجد، ومقابل ذلك يتقاضون أجورًا وإكراميات وتبرعات نقدية وعينية ونذورًا وهبات وغير ذلك،

(١) محمد بن أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ج٢، ط٣، ١٩٩٤م، ص: ٢٩٩ - ٣٠٠، ٣٨١ - ٣٨٣.

(٢) محمد عبد القادر بامطرف: المعلم عبد الحق، ص:١٩٦.

(٣) محمد بن أحمد الشاطري: المرجع السابق، ج٢، ط٣، ١٩٩٤م، ص:٢٥٢ - ٢٥٣.

(٤) سعيد عوض باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص : ١٠١ - ١٠٣، ١٥١.

وكذلك يساهمون في حل بعض المشكلات الاجتماعية كالإصلاح بين القبائل والأفراد، وحل النزاعات على الأرض، مع التوقيع على الوثائق الخاصة بالبيع و الشراء، كما يتولون بعض الوظائف الإدارية، في الدولة الكثيرية[١].

أما لقب شيخ فيصبح حقاً مكتسباً للشخص المتفرِّغ للعلوم الشرعية والدينية، وتكتسب قبيلته كلها هذا اللقب فتتمتع بمكانة روحية مرموقة[٢]. والمشايخ أقل تعصباً من العلويين، وأقل شعوراً بالكبرياء، والترفع على القبائل الحضرمية[٣].

أما مكانة المشايخ الاقتصادية فإنهم لم يكتفوا بما قد ذكرنا من الأجور والهبات على أعمالهم، بل كانوا يبحثون عن مصادر أخرى للرزق؛ إذ اشتغلوا بالتجارة والزراعة وامتلكوا أراضي واسعة[٤].

كما تقرَّب المشايخ من السلاطين، كما فعل آل باعباد الذين تولوا القيام بالترويج الإعلامي للدولة الكثيرية[٥]، كما ساندوا السلطان بدر بن عبدالله بن جعفر الكثيري بوطويرق فمنحهم بذلك أراضي واسعة[٦].

---

(١) سعيد عوض باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي،، ص:١٠١-١٠٣.

(٢) محمد بن هاشم: حضرموت، تاريخ الدولة الكثيرية، ص:٣، محمد بن أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ج١، ص:١٨٧، ج٢، ص: ٢٥٥ - ٢٥٧.

(٣) صلاح البكري: تاريخ حضرموت السياسي، ج٢، ص:١١٩.

(٤) سعيد عوض باوزير: المرجع السابق، ص:١٠١-١٠٣، ١٥١.

(٥) محمد بن هاشم: المرجع السابق، ص:٣، ٦، ١٣

(٦) سعيد عوض باوزير: المرجع السابق، ص:٩٥،٩٦، د. عادل الكسادي: التنظيم القبلي والاجتماعي التقليدي في حضرموت، ص:١٢٥.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ومعظم المشائخ والفقهاء فضَّلوا ترك السلاح والاتجاه إلى التزوُّد بالعلوم الشرعية، لذا فقد نالوا احترام المجتمع لهم، ويبدو أن الاهتمام بأمور الدين وتوسيع الثقافة من الأمور التي تحتاج إلى التفرغ الذاتي، والبعد عن مشكلات المجتمع، وصراعاته[١].

وتمتع المشائخ والفقهاء بمكانة اجتماعية مميزة، وكان لهم تأثير روحي بين قبائل حضرموت المختلفة[٢]. واشتهر كبار رجال المشائخ والفقهاء بلقب مَنصِب، ويعني الزعيم الديني والاجتماعي للقبيلة، ويتم اختياره من قبل أفراد القبيلة ليتولى رعاية شؤون القبيلة، ويمارس نشاطه الاجتماعي داخل القبيلة أولاً، ويوسع نفوذه الروحي والاجتماعي بين قبائل حضرموت[٣].

ومن المشائخ والفقهاء الذين كان لهم تأثير روحي كبير بين أوساط الأهالي الشيخ معروف بن عبد الله بن محمد باجمال، من مواليد شبام يوم الجمعة الحادي والعشرين من رمضان سنة ٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م[٤].

---

(١) عبدالرحمن عبيدالله السقاف: إدام القوات في ذكر بلدان حضرموت، ق:١٠٨أ، عبد القادر الصبان: عادات وتقاليد بالأحقاف، ص:٤٢-٤٣، علوي بن طاهر الحداد: الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها، ص:١٥٣، محمد بن أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ج٢، ص:٢٩٩- ٣٠٠، ٣٤٧-٣٤٨

(٢) سعيد عوض باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص: ١٥٠-١٥١، عبد القادر محمد الصبان: المرجع السابق، ص: ٤٢-٤٤.

(٣) صالح بن علي الحامد: تاريخ حضرموت، ج٢، ص: ٧٨٧-٧٩٢، د. عادل الكسادي: التنظيم القبلي والاجتماعي التقليدي في حضرموت، ص: ١٢٤-١٢٦.

(٤) جمال الدين محمد بن عبد الرحمن بن سراج الدين باجمال: مواهب الرب الرؤف في مناقب الشيخ معروف (مخطوطة)، ق:٣٣، ٣٤، ٣٩أ.

ولقد كان تأثير الشيخ معروف كبيراً على الخاصة والعامة، ومن بين من تأثر به وتقرب إليه علي بن عمر بن جعفر الكثيري، أحد أبرز زعماء آل كثير في حضرموت، الذي كان أحد جلسائه(١).

ونظراً لحبه للشيخ معروف، وعلاقته الوطيدة به أصبح محبوباً عند الناس، ولهذا لم يجد صعوبة حين أعلن الانفراد بحكم شبام في جمادى الأولى سنه٩٤٣هـ/ ١٥٣٦م خصوصاً وأن الشيخ كان صوته الإعلامي الذي يحث الناس على طاعته والالتفاف من حوله(٢). ولهذا السبب كان الشيخ معروف موضع سخط وغضب السلطان بدر بوطويرق.

ولما فشل علي بن عمر الكثيري في الانفراد بحكم شبام، وغادر إلى بادية آل كثير، غادر الشيخ معروف أيضًا إلى سور آل عامر، ثم عاد بعد سنة إلى شبام، غير أن السلطان بدرًا لم يكن مطمئناً لبقائه في شبام نظراً لعلاقته الوطيدة بعلي بن عمر الكثيري وتأثيره في الناس واعتقادهم المفرط به. ولهذا نفاه أكثر من مرة، كانت المرة الأخيرة إلى بضة سنة ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م، وأسرف في إهانته بين أهالي شبام وتوفي سنة ٩٦٩هـ/ ١٥٦٣م (٣).

ومن أشهر المشايخ أيضًا الشيخ عمر بن عبد الله بن أحمد بامخرمة، وهو من مواليد الهجرين بوادي دوعن يوم الثلاثاء الثالث عشر من رمضان سنة ٨٨٤هـ ١٤٧٩م(٤)،

(١) محمد بن هاشم: حضرموت تاريخ الدولة الكثيرية، ص:٥٠.

(٢) محمد عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:٢٤٠.

(٣) جمال الدين محمد بن عبد الرحمن بن سراج الدين باجمال : مواهب الرب الرؤوف في مناقب الشيخ معروف (مخطوطة)، ق١٢٠أ،٢٠٠- ٢٠٦أ.

(٤) محمد عمر با فقيه: المرجع السابق، ص: ٢٤٠.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

وقد دخل هذا الشيخ في خلاف مع السلطان بدر بوطويرق، عند قيامه بضم قرية الهجرين إلى ممتلكات الدولة الكثيرية، فأخذ الشيخ بامخرمة يتفوَّه بكلمات ناقدة شديدة لسياسة السلطان بدر بوطويرق، بل وتصل أحياناً إلى المساس بكرامة السلطان بدر، ومن مطالب الشيخ بامخرمة أن يظل حكم الهجرين لحاكمها ابن محفوظ، فنفاه السلطان بدر إلى الساحل، ثم سمح له بأن يعود إلى الهجرين، ثم ساءت العلاقة مرة أخرى، فنفاه السلطان ووضعه بسجن مريمة، ثم أفرج عنه وأعطاه سكناً في سيئون قريباً منه حتى يظل تحت مراقبته، وظل في سيئون إلى أن توفي في ٢٠ذي القعدة٩٥٢هـ/ ١٥٤٥م.

وتجدر الإشارة إلى أن ابنه الفقيه عبدالله بن عمر بامخرمة كان سكرتيراً للسلطان بدر[١].

ومن الزعامات الدينية والاجتماعية الشيخ عمر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سالم باوزير، ولد بقرية حورة في منطقة الكسر، ولم نقف على تاريخ ميلاده أو وفاته، نشأ الشيخ عمر وتعلم وحفظ القرآن، وتفقه في العلوم الشرعية واللغة العربية، وكان معاصراً لفترة حكم السلطان بدر بو طويرق، وأشار با وزير أن للشيخ عمر بن عبد الله بعض المواقف الاجتماعية الإيجابية، منها: وساطته بين فروع قبيلة بني هلال في قرية هينن مع السلطان بدر في سنة ٩٣٧هـ / ١٥٣١م، فقد طلب الشيخ من السلطان بدر أن يعطيهم الأمان، فأجابه السلطان إلى ذلك بشرط أن لا يسكنوا مجتمعين في هينن، فوافقوا على شرطه، وظلت علاقة الشيخ عمر متحسنة مع السلطان بدر بوطويرق[٢].

(١) محمد بن هاشم : تاريخ الدولة الكثيرية، ص : ٥١.

(٢) سعيد عوض با وزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص: ١٠٤-١٠٧.

ويحدثنا المؤرخ ابن حميد عن الإمام عفيف الدين عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي بكر بلحاج الحضرمي، الذي كان عالماً آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، وكان مجتهداً في العلم، وهو من رجال العلم الصالحين، واتصف بالورع، ويحظى باحترام كبير عند الزعامات القبلية، وكان يتوسط بين سلاطين حضرموت وقبائلها، وتوفي بالشحر سنة ٩١٨هـ/ ١٥١٢م وأصبح قبره مشهوراً بها ويزار ويتبرك به[١].

وفي هذا الجانب ينتقد المؤرخ الشاطري بعض العلماء والفقهاء والمشايخ الذين وقعوا في بعض الأخطاء؛ حيث مارس بعضهم الشعوذة، وأصبحت بيوتهم مشهورة باستقبال المرضى، الذين يقومون بزيارتهم طلباً للشفاء، وساعد على انتشار مثل هذه المعتقدات الفاسدة، حالة الجهل بتعاليم الإسلام التي كانت متفشية بين عامة الناس، وتقصير بعض العلماء بالقيام بجوانب النصيحة ومحاربة العقائد الباطلة[٢].

وهم الذين يقومون بعملية البيع والشراء من خلال رؤوس الأموال التي يملكونها[٣]، ولم يكن الاشتغال بالتجارة مقصوراً على قبيلة دون غيرها، فالباب مفتوح على مصراعيه لمن يملك الاستعداد و الرغبة في هذه المهنة[٤]، غير أن بعض العلويين والمشايخ والفقهاء لا يفضّلون العمل في التجارة[٥].

(١) سالم بن حميد : تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص : ١٦٢.

(٢) محمد بن أحمد الشاطري : أدوار التاريخ الحضرمي، ص : ج١، ص : ١٧٢.

(٣) محمد عبد القادر بامطرف: المعلم عبد الحق، ص:٢٢٥- ٢٢٦.

(٤) قائد نعمان الشرجبي: الشرائح الاجتماعية التقليدية، ص : ٢٠١ – ٢٠٣.

(٥) سعيد عوض باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص : ١٠١ – ١٠٣.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

ويتباين التجار تباينات اقتصادية و اجتماعية بين تجار القرية و تجار المدينة والتجار الوسطاء[١]. وتحتضن مدينة الشحر معظم كبار التجار من داخل حضرموت وخارجها، كما يقول بامطرف: "أشتات من كل قالب لغة"[٢]، مهرة وعمانية وحضارمة ودواعنة وشبامية وبدو ويمانية وحجـازية ومغاربية وهنود وسواحلية[٣].

أما بالنسبة للتجار الوسطاء فمعظمهم من الحضارمة وهم يقومون بدور الوسيط بين التجار المورِّدين(تجار الجملة) وبين أصحاب الحوانيت صغار التجار (تجار التجزئة)، وينشط التجار الوسطاء في توفير طلبات التجار المحليين في المناطق المختلفة في الساحل والوادي[٤].

ويتركز وجود التجار الوسطاء في بعض المدن الحضرمية، مثل الشحر بشكل أكبر، وتليها شبام، ثم تريم، وسيئون، والخريبة، وعينات، وقعوضة؛ إذ تعتبر أسواقاً لسكان البوادي والحواضر.

(١) قائد نعمان الشرجبي: الشرائح الاجتماعية التقليدية، ص ٢٠٣ – ٢٠٦.

(٢) المراد بذلك: أشتات من الناس من أصول مختلفة يتاجرون في الشحر، ويتحدثون بلغات مختلفة.

(٣) محمد عبد القادر بامطرف : الشهداء السبعة، ص :٣٠-٣١.

(٤) نفس المرجع، ص:٣١-٣٢.

أما صغار التجار فهم أقل مكانة اقتصادية واجتماعية من كبار التجار والوسطاء، ويتركز تواجدهم في المناطق الريفية المختلفة في القرى والمدن الصغيرة والوديان؛ حيث يقومون بتوفير البضائع التي تلبي الاستهلاك اليومي من حبوب وسمن وبهارات والجازولين[١].

ويحتل التجار مكانة اجتماعية مرموقة في المجتمع الحضرمي وترجع أصول التجار إلى القبائل الحضرمية المختلفة والعمل بالتجارة متاح أمام مختلف القبائل الحضرمية.

يتمتع المزارعون بمكانة اجتماعية مرموقة في المجتمع الحضرمي[٢]، وهم يشكلون أوسع المكونات الاجتماعية من الناحية العددية؛ حيث تعمل معظم القبائل الحضرمية الصغيرة بشكل دائم في مجال الزراعة؛ لأنها الأساس الاقتصادي الذي لا غنى لها عنه في تحسين ظروف معيشتها[٣].

(١) قائد نعمان الشرجبي: المرجع السابق، ص:٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٦، محمد بامطرف: المرجع السابق، ص: ٣١-٣٢.

(٢) محمد عبد القادر بامطرف: المعلم عبد الحق، ص:٢٢١.

(٣) علي بن عقيل: التراث في مجال الزراعة والري، مجلة التراث، ص:١٩٣، ٢٠٧. عبد الرقيب سعيد: استخدام الأرض في محافظة حضرموت، المكلا، بحث مقدم للندوة العلمية، كلية التربية، جامعة عدن، ١٩٨٧م، ص:١٩٣.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

كما تميز الحضارمة بحبهم للأرض مثلما عرفوا بحبهم للتجارة و الهجرة، لذلك نجد جميع المكونات الاجتماعية والقبلية ذات ارتباط وثيق بالأرض وزراعتها[١]، ومن الملاحظ عند هطول الأمطار الموسمية وتدفق السيول أن معظم القبائل الحضرمية يشتغلون بالزراعة، إلى جانب ما يمارسونه عادة من الحرف والأعمال الأخرى في سائر فصول السنة، ورغم أن الجمع بين الزراعة وغيرها من المهن في هذه المواسم فيه قدر كبير من التعب والمعاناة فإنَّ هذا أمر مألوف وشائع لدى الحضارمة، حرصاً منهم على اغتنام مواسم الأمطار، وما فيها من الخير الوفير[٢].

وبحكم أن المزارعين في غالبهم من البسطاء الذين ينتمون إلى قبائل حضرمية مختلفة، فإن أدوارهم ومواقفهم في الحياة السياسية العامة ترتبط بمواقف قبائلهم[٣]، خصوصاً أن الجهل يمثل ظاهرة متفشية بين أوساطهم تحول بينهم وبين المشاركة الفاعلة في الحياة العامة[٤]. والاشتغال بمهنة الزراعة مسألة ميسرة اقتصاديًا واجتماعيًا لجميع قبائل حضرموت المختلفة[٥].

---

(١) سالم عمر الخضر: الطابع الاقتصادي العفوي والانتفاضات القبلية في حضرموت في الفترة من ١٩٤٨-١٩٦١م، المكلا، وثائق الندوة العلمية حول المقاومة الشعبية في حضرموت، ١٩٠٠- ١٩٤٨م، جامعة عدن، كلية الآداب، ١٩٨٩م، ص:١٠١-١٠٥.

(٢) محمد عبد القادر بامطرف: المعلم عبدالحق، ص:٢٢١، محمد بن أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي،ط٣، ١٩٩٤م، ج١، ص:١٨٤، ج٢، ص: ٢٦٦.

(٣) د. عادل أحمد الكسادي: التنظيم القبلي والاجتماعي التقليدي في حضرموت، ١٩٠٠-١٩٦٧م، ص:١١٢، ١٢٢.

(٤) محمد عبد القادر بامطرف: المرجع السابق، ص:٢٢١.

(٥) محمد بن أحمد الشاطري: المرجع السابق، ج٢، ص:١٢٩.

تعد مهنة الملاحة البحرية من الحرف الرئيسة في ساحل حضرموت، وهي مهنة مفتوحة تعتمد على المعرفة بتقلب الأحوال المناخية، وتأثيراتها على الملاحة البحرية[١]، إلى جانب المعرفة بفنون الملاحة. وعرف الساحل الحضرمي بناء المراكب الشراعية الصغيرة والسفن الكبيرة، التي يملكها بعض البحَّارة والتجَّار، أو يستأجرونها، حيث استخدمت في نقل البضائع والمسافرين وصيد الأسماك[٢].

ونبغ الملاحون الحضارمة في علوم البحار، وأصبحوا على معرفة بأسرار البحر وعمقه من خلال تلون مائه، وبعد شاطئ البحر من خلال الأعشاب التي تطفو على سطحه، ومعرفة أنواع الأسماك من خلال معرفة الظواهر الطبيعية، والتنبؤ بالأحوال الجوية[٣]، ومن خلال النجوم يهتدون إلى الطريق ويعرفون الاتجاهات في أعالي البحار.

وقرية الحامي هي أكثر قرية اشتهرت في ساحل حضرموت بالبحارة المهرة والملاحين المشهورين، وهي قريبة من الشحر إلى جهة الشرق؛ حيث عرف سكانها بحب العمل في البحر للصيد أو الملاحة البحرية[٤].

(١) د. عادل الكسادي: التنظيم القبلي والاجتماعي التقليدي في حضرموت، ١٩٠٠-١٩٦٧م، ص: ١٢٧-١٢٨.

(٢) د. محمد عبد الكريم عكاشة: قيام السلطنة القعيطية، ص:١٤، ٢٥.

(٣) حسن صالح شهاب: أضواء على تاريخ اليمن البحري، ص:٢٨٦.

(٤) محمد عبد القادر بامطرف: الشهداء السبعة، ص:٥٠، ٥١.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

أما الصيادون فقد شكلوا الغالب من سكان ساحل حضرموت، والصيد هو الحرفة الاقتصادية الرئيسة التي يعتمدون عليها في معيشتهم، وبدورهم يقومون بتوفير حاجة الناس من الأسماك بأنواعها المختلفة[١].

والصيادون يتدرجون في حرفتهم هذه، فمنهم من يعمل في قاربه الخاص، ويتولى بيع صيده بنفسه، ومنهم عمال أجراء يعملون بالأجر اليومي العيني أو النقدي أو بالحصة.

والصيادون مثل أصحاب المهن والحرف اليدوية الأخرى تعود أصولهم إلى قبائل حضرموت[٢].

كما امتهن حرفة الصيد بعض قبائل البدو مثل: المناهيل والحموم والمهرة وآل كثير وكندة وغيرهم، واهتموا بصيد الأسماك على طول ساحل البحر العربي، وفضلوا الاستقرار على الساحل بدلاً من التنقل في الصحاري والمرتفعات[٣].

إلى جانب الصيادين يوجد مالكو سفن الصيد وقواربه، وهم يتفاوتون في مقدار ما يملكون، فهناك التاجر الذي يملك سفينة صيد بمفرده، وهناك مجموعة الشركاء من البحارة الذين يملكون سفينة صيد بالاشتراك.

وفي الوقت نفسه يقوم تجار الأسماك بعقد بعض الاتفاقات مع بعض الصيادين، وفيها يتولى التجار تمويل الصيادين بالطلبات اللازمة لصيد الأسماك كالشباك وصنارات

(١) محمد عبد الكريم عكاشة: قيام السلطنة القعيطية، ص:١٣.

(٢) سالم عمر الخضر: الطابع الاقتصادي العفوي والانتفاضات القبلية بمحافظة حضرموت، ص:١٠٢.

(٣) د. عادل الكسادي: التنظيم القبلي والاجتماعي التقليدي في حضرموت، ١٩٠٠-١٩٦٩م، ص:١٢٨.

الصيد وغيرها، ويأخذون بالمقابل حصة من الأسماك، بل قد يتنازل الصيادون في حالات كثيرة عن الأسماك التي اصطادوها بمقابل أن يقوم التاجر بتسديد ما على الصيّاد من ديون. وقد تفرض على الصيادين ضرائب من قبل زعماء القبائل مقابل السماح لهم بالصيد في مناطقهم أو الإقامة فيها[١].

يشكل أصحاب المهن والحرف اليدوية نسبة متوسطة من سكان القرى والمدن والأرياف، وهؤلاء تعود أنسابهم إلى عدد من القبائل الحضرمية[٢]، ويحتل هؤلاء التكوينات الاجتماعية والقبلية التي تلي التجار والمزارعين، وفي داخل هذه المرتبة تبرز التباينات والفروق الاجتماعية والاقتصادية، ويعود ذلك إلى الانتماء القبلي، وطبيعة الحرف والمهن التي يزاولونها، ووظيفتها في المجتمع[٣]، فالنجارون وعمال البناء والحدادون والحاكة وصانعوا الفخار والخزف والصاغة، هم أعلى مرتبة في نظر المجتمع من الذين يمارسون بعض المهن التقليدية، كالدباغة والطباخة والجزارة والحجامة، غير أن هذه النظرة أخذت تتقلص، وأصبح معظم أصحاب الحرف اليدوية في مرتبة واحدة، لا يتفاضلون فيما بينهم إلا على الأساس القبلي[٤]، ومع مرور الأيام أخذ ارتباط الحرفي بحرفته يطغى على

(١) سالم عمر الخضر: الطابع الاقتصادي العفوي والانتفاضات القبلية في محافظة حضرموت، ص:١٠٢-١٠٣.

(٢) محمد بن أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ج٢، ص:١٤٢-١٤٥، حمزة علي لقمان: تاريخ القبائل اليمنية، صنعاء، دار الكلمة، ج١، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، ص: ٣٦٠-٣٦١.

(٣) د. عادي الكسادي: التنظيم القبلي والاجتماعي التقليدي في حضرموت ، ١٩٠٠ – ١٩٦٧ م، ص:١٢٩.

(٤) قائد نعمان الشرجبي: الشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني، ص:٢٣٥-٢٣٨.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

ارتباطه بقبيلته، مما أضعف العامل القبلي في التمايز، وأصبح التصنيف لا يعبر عن معنى تفاضلي، بل يشير إلى تصنيف مهني مجرد[١].

وبحكم العرف السائد في حضرموت يتوارث الأبناء الحرف والمهن عن آبائهم، ونادرًا ما تتغير المهنة، وإذا حصل تحسن في الوضع المعيشي، وتغيرت المهنة التي يمارسها بعض الأفراد، فإن هذا لا يؤثر على لقبه الذي يعرف به في قريته، أو منطقة سكنه حيث يظل هذا اللقب مستمراً مرتبطاً بالمهنة التي كانت تمارسها أسرته سابقاً[٢].

أما إذا تساءلنا عن المستوى الثقافي والمعيشي للحرفيين، فتغلب عليهم الأمية، وتقتصر معارفهم على أمور دينية بسيطة، وتتركز حول الصلاة والزكاة وما يتعلق بالفرائض الإسلامية، وهم يعانون من صعوبة الحياة، فمعظمهم فقراء، فبالرغم من المجهود الذي يبذلونه في أعمالهم اليدوية، فإنهم يجدون صعوبة كبيرة في توفير ما يحتاجون إليه في حياتهم المعيشية اليومية[٣].

وتبرز أهمية الحرفيين في المجتمع كقوة اجتماعية منتجة تفي بحاجة الناس من المنتجات والمصنعات المحلية، لذلك لا يمكن الاستغناء عن أعمالها، وخدماتها المختلفة، ولهذا ظلت تحتفظ بمكانتها الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع الحضرمي وتزداد هذه المكانة بمقدار تحسن مستواهم العلمي[٤].

---

(١) نفس المرجع، نفس الصفحتين.

(٢) د. عادل الكسادي: التنظيم القبلي والاجتماعي التقليدي في حضرموت، ص:١٢٨، قائد نعمان الشرجبي: الشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني، ص:٢٣٢.

(٣) محمد عبد القادر بامطرف: الإقطاعيون كانوا هنا، عدن، دار الهمداني، ١٩٨٥م، ص:١٣، ١٤.

(٤) قائد نعمان الشرجبي: المرجع السابق، ص:٢٣٤.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هناك عادات حضرمية أخرى يتوافق فيها أصحاب المهن والحرف مع المكونات الاجتماعية والقبلية الأخرى، والتي ترتبط بالمظاهر العامة للمجتمع الحضرمي[١].

ويأتي الدلل من ضمن المكونات الاجتماعية والقبلية في حضرموت مثل الحرفيين، وهم يشكلون مجموعة محدودة العدد نسبياً، ولا تختلف في مستواها الثقافي والعلمي عن الحرفيين، ويكثر تواجدهم في المدن التي تتميز بالنشاط التجاري كالشحر وشبام وتريم وهينن وغيرها[٢] نظراً لأن نشاطهم الأساسي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتجارة؛ حيث يلعبون دور الوسيط الذي يسعى إلى إتمام الصفقات التجارية بين البائع والمشتري[٣].

ويتفانى الدلل بشكل خاص في خدمة أهل البادية عند قدومهم إلى أسواق حضرموت المختلفة، حيث يقدمون لهم خدمات الضيافة، كما يساعدونهم في إتمام صفقات البيع والشراء التي قدموا من أجلها، ويقدمون النصائح والمعلومات المتعلقة بالأسعار والبضائع وغير ذلك، مما يحتاجون إليه في عمليات البيع والشراء، وبذلك تعمقت العلاقة الاجتماعية بين البدو والدلل، ومما ساعد على تمتينها أن الدلل يتميزون في الغالب بطلاقة اللسان ولباقة الحديث[٤].

وإلى جانب هذا النشاط فإن ما يتمتع به الدلل من الجرأة والقدرة على المواجهة، والحديث وسط المحافل والحشود مكَّنهم من القيام بدور إعلامي كبير، حيث يقومون

(١) عبد القادر محمد الصبان: عادات وتقاليد بالأحقاف، ص:٣١-٤١.

(٢) محمد عبد القادر بامطرف: المعلم عبد الحق، ص:٢١١.

(٣) سالم عمر الخضر: الطابع الاقتصادي العفوي والانتفاضات القبلية في حضرموت، ص:١٠١.

(٤) عبد القادر الصبان: عادات وتقاليد بالأحقاف، ص:٤٤.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

بنقل الأخبار والأحداث، كما تسند إليهم بعض القبائل مهمة الإعلان عما تود إعلانه من الأخبار، كالتبرؤ من بعض أفرادها أو غير ذلك من الأخبار، وفي أحيانٍ كثيرة يتسبب هذا الدور في إيقاظ نار الفتنة بين القبائل بسبب تضخيم الخلافات والتصرف في الأخبار، ونقلها بطريقة توقظ الضغائن، وتوغر الصدور وتشعل الحروب، وقد تلجأ بعض القبائل إلى من يتمتع بالحكمة والقدرة على التأثير منهم للقيام بدور الوساطة بين القبائل المتنازعة لإخماد نار الفتنة وعقد اتفاقات المصالحة(١).

نظراً لحاجة المجتمع إلى جماعات تقدِّم خدمات مهنية عامة، فقد ظهر الخدم والصبيان، فالخدم عمال مهنيون من الرجال والنساء، وأكثر نشاطهم في الأعمال المنزلية(٢)، وهم من سكان البلاد، ينتمون إلى مختلف القبائل الحضرمية، وقد أجبرتهم ظروف الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، أن يعملوا كخدم في البيوت التابعة لبعض الزعامات القبلية والروحية(٣).

ويقوم الخدم كذلك بخدمة الناس في المناسبات المختلفة كالزواج والوفاة وغيرها من الخدمات العامة الأخرى(٤).

(١) محمد عبد القادر بامطرف، المعلم عبدالحق، ص:٢١١، ٢١٣.

(٢) سالم عمر الخضر: الطابع الاقتصادي العفوي والانتفاضات القبلية في حضرموت، ص:١٠١-١٠٣.

(٣) د. عادل الكسادي: التنظيم القبلي والاجتماعي التقليدي في حضرموت، ص:١٢٨-١٣١.

(٤) قائد نعمان الشرجبي: الشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني، ص:٢٣٩-٢٤١، عبد القادر محمد الصبان: عادات وتقاليد بالأحقاف، ص:٤٤-٤٥، سالم عمر الخضر: المرجع السابق، ص:١٠١-١٠٣.

أما الصبيان فربما ترجع أصول بعضهم الى أفريقيا والبعض الآخر إلى قبائل حضرمية، ويقال أن بعض هؤلاء هم من بقايا عبيد الدولة الكندية الحضرمية، ويعمل الصبيان عادةً بحراثة الأرض وغراسة النخيل في دويان حجر وميفع غرب المكلا، ووادي المسيلة شرقي حضرموت بالقرب من المهرة، كما يقومون أيضًا ببعض الأعمال الأخرى(١). وقد سكن بعض الصبيان في وادي دوعن ووادي العين وبعض الأودية الأخرى(٢).

عَرَف سكان ساحل حضرموت الاشتغال في الملاحة و النقل البحري، وأصبحت سفن الحضارمة تصول وتجول في سواحل شرقي أفريقيا وغيرها من سواحل جنوب شرقي آسيا(٣)، وقد سهلت هذه المسألة المهمة أمام التجار الحضارمة في نقل أعداد من الأفارقة والنوبيين، وغيرهم من سواحل أفريقيا والهند وبعض البلدان الأخرى إلى حضرموت، والمتاجرة بهم، وظهرت أسواق مشهورة، منها سوق العبيد بالشحر، حيث تدفقت إلى هذه الأسواق أعداد من العبيد من أفريقيا والهند وبعض البلدان الأخرى(٤).

وفي أثناء الحملات البرتغالية على السواحل العربية الجنوبية والشرقية، ظهرت أعمال القرصنة البحرية، فكانوا يأسرون البحارة ويبيعونهم بيع الرقيق كما حدث لسفن

(١) علوي بن طاهر الحداد: الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها، ص:٧٤-٧٥.

(٢) سالم عمر الخضر: المرجع السابق، ص:١٠١-١٠٣.

(٣) حسن صالح شهاب: أضواء على تاريخ اليمن البحري، ص:١٢٢، ٢٣٣، ٢٥٣.

(٤) د. عادل الكسادي: التنظيم القبلي والاجتماعي التقليدي في حضرموت، ص:١٣٠، محمد عبدالقادر بامطرف: الإقطاعيون كانوا هنا، ص:١١، ١٣، ١١٠.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

أهل الحامي التي تعرضت لقرصنة البرتغاليين الذين قاموا بحرقها، وأسر بحارتها وبيعهم في أسواق المغرب العربي[١].

واستفادت الدولة الكثيرية والقبائل الحضرمية من الأفارقة وغيرهم خصوصاً في المجال العسكري لاتصافهم بالشجاعة والإقدام، حيث تم إشراكهم في الغارات والحروب التي قد تنشأ بين القبائل، وأسندت إليهم حراسة الممتلكات، والخدمة في البيوت التابعة لعدد من الزعامات القبلية والدينية[٢]، بالإضافة إلى بعض الأعمال في الزراعة وغيرها من الأعمال، وبذلك تعززت روابط العلاقة بين القبائل الحضرمية والعبيد، حتى أصبح العبد كواحد من أفراد الأسرة؛ حيث إنهم يحملون أسماء قبائل أسيادهم، بل قد نجد أن بعض زعماء القبائل يقوم بمنح العبد بعضًا من الأرض في حياته أو يوصي له بها في وصيته[٣]، والبعض الآخر من الأسياد يقوم بإطلاق حرية عبيده[٤]، وبهذا الأسلوب تحرر بعض العبيد وإن ظل مرتبطًا بوضعه الاجتماعي السابق أما البعض الآخر فقد اندمج مع الخدم والصبيان أو غيرهم من أصحاب المهن والحرف الأخرى.

ومما لا شك فيه أن تحرير العبيد يدل على قوة الترابط الاجتماعي بين الأسياد والعبيد كما يدل على زيادة الوعي بتعاليم الإسلام الحنيف ومع هذا فقد ظل العبيد يشكلون قوة

(١) حسن صالح شهاب: أضواء على تاريخ اليمن البحري، ص:٢٨٧.

(٢) سالم بن محمد بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق عبد الله الحبشي، ج٢، ص:١٧٤.

(٣) محمد عبد الكريم عكاشة: قيام السلطنة القعيطية، ص:٣٥.

(٤) د. عادل الكسادي: التنظيم القبلي والاجتماعي التقليدي في حضرموت، ١٩٠٠-١٩٦٧م، ص:١٣١.

اجتماعية تتبع في حالات كثيرة الزعامات القبلية والدينية وقد تعددت وتنوعت مهامها الاجتماعية والاقتصادية فهي تختلف عن أصحاب المهن الأخرى التي ترتبط بنشاط اقتصادي معين[1].

(١) علوي بن طاهر الحداد: الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها، ص:٧٦-٧٧. محمد عبدالقادر بامطرف: الإقطاعيون كانوا هنا، ص:٧٦.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

الفصل الخامس

علاقات السلطان بدر بالدولة العثمانية والحكام اليمنيين

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

علاقات السلطان بدر بالدولة العثمانية والحكام اليمنيين

بدأت محاولات الاتصال بالضباط المماليك في عهد السلطان محمد بن عبدالله الكثيري سنة ٩١٣هـ/ ١٥٠٧م، عن طريق التجار المغاربة والأتراك، الذين كان لهم تعامل تجاري مع الشحر، وفيما بعد عن طريق الضباط المماليك الموجودين في ضمن القوة المملوكية التي كانت تسيطر على زبيد وأجزاء من ساحل اليمن سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م[١].

وهذا الأمر يوجب علينا قبل الشروع في الحديث عن علاقة السلطان بدر بالدولة العثمانية أن نعود قليلاً إلى الوراء بحثاً عن الإشارات التاريخية التي تشير إلى علاقة الدولة الكثيرية بدولة المماليك في مصر.

ولعل السبب الأبرز الذي يدفع بهذين الطرفين وغيرهما من الأطراف العربية والإسلامية الأخرى إلى تعزيز العلاقات يتمثل في الخطر البرتغالي المشترك الذي يهدد الجميع ويقوِّض مصالح الجميع.

وتعتبر دولة المماليك إحدى الدول الإسلامية الرئيسة الثلاث في هذه الفترة، إلى جانب الدولة العثمانية والدولة الصفوية، وتحتل دولة المماليك أهمية استثنائية كونها

(١) محمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، ص: ٣٥-٣٧، سعيد عوض باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص: ١٢٠-١٢١.

تسيطر على مساحة واسعة من الأراضي، ذات الأهمية الخاصة في قلب العالم الإسلامي، تشمل مصر والشام والحجاز، وكونها تتولى حماية الحرمين الشريفين[١].

وخلال عهد السلطان المملوكي قانصوه الغوري (٩٠٦- ٩٢٢هـ/ ١٥٠١-١٥١٦م) تعرضت مصر للقرصنة الأوربية في مياه البحر الأبيض المتوسط وموانئه، وتزايد الخطر البرتغالي على المشرق العربي والإسلامي بشكل عام ومصر بشكل خاص[٢]، واتسمت سياسة البرتغاليين بالعدوانية، فقد أخذت السفن البرتغالية تسعى إلى تدمير الأسطول المصري التجاري، والقضاء على المراكز التجارية العربية الهامة، وإغلاق المنافذ البحرية الرئيسة في وجه السفن العربية والإسلامية، بغية إحكام السيطرة على مصادر التوابل والبضائع الشرقية، وحرمان البلاد العربية والإسلامية، ومصر على وجه الخصوص من العوائد والرسوم التي كانت تحصل عليها بسبب سيطرتها على تجارة الشرق منذ زمن بعيد[٣].

هذه السياسة العدوانية دفعت السلطان قانصوة الغوري إلى التهيئة لمواجهة هذا الخطر إنقاذاً لاقتصاد مصر، وحفاظاً على مركزها التجاري، ومما عزز هذا الدافع لديه وشجعه إلى المضي قدماً نحو اتخاذ خطوات عملية في هذا الاتجاه تلك المراسلات التي

(١) د. فالح حنظل: العرب والبرتغال في التاريخ، ٩٣-١١٣٤هـ/ ٧١١-١٧٢٠م، أبو ظبي، منشورات المجمع الثقافي، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص: ١٣٨.

(٢) أحمد محمد عبيد بطي: الصراع البرتغالي العثماني في القرن السادس عشر الميلادي، دبي، ندوة الثقافة والعلوم، ط١، ١٩٩١م، ص:١٣٢.

(٣) د. السيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول لليمن، ١٥٣٨-١٦٣٥، ص: ٥٩-٦٠.

للنسخة الورقية زز WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

كانت تصله من أمراء الهند المسلمين كسلطان كجرات، وسلطان كاليكوت وغيرهم ممن كان يستنجد به ويستنصره ويحثه على التصدي لهذا الخطر الداهم الذي يهدِّد الجميع باعتبار مصر -يومئذ- دولة إسلامية كبرى، تمتلك من الدوافع الذاتية، والقوة التسليحية ما تؤهلها للقيام بهذا الواجب العظيم[1].

انطلاقاً من هذه الدوافع، واستجابة لهذه النداءات جهز السلطان حملة عسكرية تتألف من المماليك والتركمان والمغاربة والأحباش بقيادة الأمير حسين الكردي، وأبحرت باتجاه الهند من ميناء السويس على متن ثلاث عشرة سفينة في السادس من جمادى الآخرة سنة٩١١هـ/ ١٤٩٥م.

ومن الأعمال التي قام بها قائد الحملة حسين الكردي أثناء سير الحملة تحصين سواحل البحر الأحمر، وتثبيت أقدام الدولة المملوكية هناك؛ حيث بنى سوراً ضخماً ذا أبراج عالية حول ميناء جدة بالحجاز، كما بنى بعض التحصينات الدفاعية بسواكن بالسودان، وخلال توقف الحملة في عدن تم تزويد الحملة بما تحتاجه من المؤن اللازمة وغيرها.

وفور وصول الأسطول المصري إلى الهند استطاع بمساعدة الأمراء المسلمين في الهند أن يحقق انتصارين على الأسطول البرتغالي؛ الأول في ميناء (ديو) التابع لسلطنة كجرات، والثاني في عرض البحر؛ حيث اشتبك أثناء سيره باتجاه سلطنة كاليكوت في معركة بحرية بالقرب من ميناء شيول سنة ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م.

(١) نفس المرجع، ٦٠-٦٢، فالح حنظل: المرجع السابق، ص: ٢٥١-٢٥٢.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

عاد الأسطول المصري إلى ديو مع حليفه الهندي مكلَّلين بالنصر، بينما تخوف البرتغاليون أشد التخوف من أن يتسع نطاق هذا الحلف، ويشمل جميع الدويلات الإسلامية في الهند، ولهذا سارع دالميدا نائب الملك البرتغالي بالهند بالرد؛ حيث قاد الأسطول البرتغالي المكون من تسع عشرة سفينة بنفسه، وباغت الأسطول المصري وحليفه الهندي في ميناء ديو، واستطاع أن يحقق انتصاراً كاسحاً ومدمراً أجبر القائد حسين الكردي على مغادرة الهند(١).

والذي يهمنا، ويتعلق بموضوعنا في أمر هذه الحملة أن بعض المراجع التي تناولتها أشارت إلى أن الحملة توقفت في الشحر على اختلاف بين المؤرخين حول موعد هذا التوقف؛ حيث يذكر البعض أن ذلك كان أثناء ذهابها إلى الهند، بينما يذكر البعض الآخر أنه كان عند العودة(٢).

ورغم أن هذا التوقف لا يكفي للتدليل على ضم بعض الجنود من القوة المملوكية إلى جيش الدولة الكثيرية فإنه يمكن أن يكون بداية لعلاقة مثمرة مع المماليك لمواجهة الخطر البرتغالي الذي يهدد الجميع، وليس من المستبعد أن يستغل السلطان الكثيري هذه الفرصة السانحة فيتقدم إلى الأمير حسين الكردي بطلب المساعدة ببعض الجنود والضباط لتعزيز قدراته في مواجهة هذا الخطر المشترك.

(١) د. السيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول لليمن، ١٥٣٨-١٦٣٥، ص: ٦٠-٦٣.

(٢) محمد بن عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق الحبشي، ص: ٤٦،
R. B. Serjeant: the Portuguese Off the Souht arbian Coast ,p. 42-43.
حسن صالح شهاب: أضواء على تاريخ اليمن البحري، ص: ١٤٥.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

لم يركن السلطان قانصوه الغوري إلى الراحة، ولم يستسلم للهزيمة الكبيرة التي لحقت بأسطوله في الهند، فقد شرع يبني أسطولاً بحرياً جديداً في ميناء السويس، غير أن بناء هذا الأسطول، وإرساله قد تأخر بسبب الظروف العصيبة التي تواجهها مصر، فقد اشتدت في هذه الفترة القرصنة البحرية الأوربية في البحر المتوسط، كما أن التقارب الذي طرأ على علاقة البندقية بالدولة الصفوية أخذ يشكل تهديداً لمصالح الدولة المملوكية، وأخذت الحالة الاقتصادية في مصر تتجه نحو مزيد من التدهور بسبب شدة وطأة الحصار البرتغالي التجاري.

هذه الظروف العصيبة جعلت السلطان قانصوة الغوري يتجه بأنظاره صوب الدولة العثمانية طلباً للمساعدة، ولم تتردد الأخيرة عن الاستجابة لطلبه؛ حيث صدرت أوامر السلطان العثماني بايزيد الثاني في شوال سنة ٩١٦هـ/ ١٥١١م بمساعدته ودعمه بما يحتاج إليه في بناء أسطوله كهدية مجانية، كما وصل إليه ألفان من البحارة العثمانيين.

واتخذ السلطان قانصوة الغوري ترتيبات احتياطية عاجلة ريثما يستكمل بناء الأسطول؛ حيث أرسل ثلاثمائة جندي إلى السويس، وعدداً آخر إلى جدة بقيادة حسين الكردي لاستكمال التحصينات الدفاعية[1].

وعندما استكمل بناء الأسطول جهز حملته الثانية، وغادرت صوب الهند في رجب سنة ٩٢١هـ/ أغسطس١٥١٥م، وعين سليمان الريس قائداً للأسطول، على أن يتولى قيادة الحملة عند وصولها إلى جدة القائد حسين الكردي، وقد تألفت هذه الحملة من

(١) د. السيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول لليمن ١٥٣٨-١٦٣٥، ص: ٧٦-٧٩.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

حوالي عشرين سفينة، تحمل على متنها حوالي ستة آلاف جندي من البحارة العثمانيين والمغاربة والتركمان والمماليك، وقد تضمَّنت خطة المماليك اتخاذ عدن والموانئ اليمنية الأخرى قواعد بحرية للتصدي للهجمات البرتغالية[١].

لم تستطع هذه الحملة أن تصل إلى الهند كما هو مخطط لها، ويعتبر السلطان عامر بن عبد الوهاب الطاهري هو السبب الأول الذي حال دون ذلك؛ بسبب رفضه التعاون مع هذه الحملة خوفاً من أن يتحول هذا التعاون إلى ضريبة سنوية يطالب بها المماليك[٢].

هذا الموقف الرافض اضطر المماليك إلى أن يدخلوا معه في صراع مرير وحروب طاحنة بالتعاون مع بعض الحكام اليمنيين كالإمام شرف الدين يحيى إمام حجة، وأمير جيزان عزالدين بن دريب وغيرهما. ورغم أن هذه المعارك أسفرت عن سيطرة المماليك على معظم المدن الساحلية اليمنية والسيطرة على مدينة زبيد في ١٩ جمادى الأولى سنة ٩٢٢هـ/ ٢١ يوليو١٥١٦م، فإنهم لم يتمكنوا من الدخول إلى عدن نتيجة لموقف الدولة الطاهرية مما اضطرهم إلى الانسحاب إلى زبيد في رجب من العام نفسه، والاكتفاء بالاستيلاء على السواحل اليمنية؛ لتكون قاعدة بحرية ضد البرتغاليين كخط دفاعي أول والعودة إلى جدة واتخاذها خطاً دفاعياً ثانياً[٣].

(١) نفس المرجع، ص: ٨٠-٨١، د. فالح حنظل: العرب والبرتغال، ص: ٢٥١.

(٢) قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي: البرق اليماني في الفتح العثماني (تاريخ اليمن في القرن العاشر مع توسع في أخبار الجراكسة والعثمانيين لهذا القطر، تحقيق حمد الجاسر، الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة، ط١، ١٩٦٧م، ص:٢٠، د. السيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول لليمن١٥٣٨-١٦٣٥م، ص: ٨٢-٨٣.

(٣) د. السيد مصطفى سالم: نفس المرجع، ص: ٨٨-٩١.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وأخذ الحاكم المملوكي في زبيد (برسباي) يعمل على تثبيت أقدام الدولة المملوكية في تهامة غير أن الأنباء وردت من مصر بسقوط دولة المماليك على يد العثمانيين فسارع المماليك في اليمن إلى الاعتراف بالسيادة العثمانية.

ودخل المماليك في اليمن في دورة جديدة من الصراع مع السلطان عامر بن عبد الوهاب انتهت بمقتله مع أخيه عبد الملك في ٢٣ ربيع الآخر سنة ٩٢٣هـ/ ١٥مايو ١٥١٧م، واستيلاء المماليك على صنعاء[١].

وأشارت بعض المراجع إلى أن بعض السفن المملوكية وصلت إلى الشحر، وهي تحمل على متنها بعض الضباط والجنود بعد أن تمكنت من إحكام قبضتها على بعض المناطق اليمنية والقضاء على عامر بن عبد الوهاب، كما أشارت إلى أن السلطان بدرًا قابل المماليك وتفاوض معهم وطلب المساعدة لمواجهة الغزو البرتغالي، وطلب دعمه بالجنود ليجندهم في جيشه[٢].

وخلاصة القول فيما يتعلق بعلاقة الدولة الكثيرية بالدولة المملوكية إن الإشارات التي وردت أثناء الحديث عن الحملة المملوكية الأولى أو الثانية تكشف بوضوح أن هماً مشتركاً يجمع هاتين الدولتين مثلما يجمعهما بغيرهما من الدول العربية والإسلامية يتمثل في المد البرتغالي الداهم، هذا الخطر هو السبب الذي حتم قيام مثل هذه العلاقات وتمتينها، وتقديم المصالح والمنافع المتبادلة. وإذا كانت هذه العلاقات قد بدأت مع الحملة الأولى

(١) نفس المرجع، ص: ٨٩-٩٢.

(٢) سالم بن محمد بن حميد: تاريخ حضرموت العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ١٦٤.

كبداية محدودة غير أن الإشارات التي وردت مع الحملة الثانية تبين بوضوح المدى المتطور الذي وصلت إليه.

وقد شكلت علاقة الدولة الكثيرية بالمماليك بداية طيبة، ومدخلاً جيداً مهد الطريق لتطوير علاقة الدولة الكثيرية بالدولة العثمانية وتعزيزها.

أما عن علاقة السلطان بدر مع الدولة العثمانية فقد كانت بدايتها خلال فترة حكم المماليك لزبيد، وقد تباينت آراء المؤرخين حول هذه البداية؛ حيث يرى ابن حميد أن هذه العلاقة بدأت يوم أن وصل الجنود الترك على سفنهم الحربية إلى سواحل حضرموت، ودخلوا الشحر، وقابلوا السلطان بدرًا قبل تولِّيه الحكم رسمياً، وكان ذلك سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م.

ومن الواضح أن ابن حميد يعني الجنود الأتراك الموجودين في ضمن القوة المملوكية[١]، التي سارعت بالاعتراف بالسيادة العثمانية بعد سقوط دولة المماليك في مصر، وظلت هذه القوة المملوكية صاحبة السطيرة الفعلية في السواحل اليمنية[٢].

ويعتقد ابن هاشم أن علاقة السلطان بدر مع العثمانيين سبقت الوجود الفعلي للجنود الأتراك في جيش السلطان بدر، الذي بدأ في عام ٩٢٦هـ/ ١٥١٩م، وأكد على أن وصول الجنود الأتراك إلى الشحر في جمادى الآخرة ٩٢٦هـ/ ١٥١٩م، بناءً على مراسلات متبادلة بين السلطان بدر والضباط الأتراك أثناء فترة وجودهم في ضمن القوة المملوكية، التي كانت تسيطر على زبيد وغيرها من المناطق اليمنية[٣].

(١) نفس المرجع، نفس الصفحة.

(٢) د. السيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول لليمن، ١٥٣٨-١٦٣٥م، ص: ٨٩-١٣٣.

(٣) محمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، ص:٣٥-٣٧.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ونلاحظ أن بعض المراجع الحضرمية تعتقد أن هذه الفترة هي بداية علاقة السلطان بدر بالعثمانيين، في الوقت الذي وصلت فيه حملتا المماليك الأولى إلى الهند والثانية إلى اليمن، وتسمي هذه المراجع الجنود المماليك بالأتراك، ونحن لا ننفي أن من بين أفراد هاتين الحملتين جنوداً أتراكاً، ونرى أن بداية علاقة السلطان بدر بالعثمانيين كانت امتداداً لعلاقته بالضباط المماليك في زبيد.

وعقب سقوط دولة المماليك على أيدي العثمانيين، وخضوع اليمن سلمياً للسيادة العثمانية، تفتحت آفاق واسعة، وتهيأت ظروف مواتية، لتمتين العلاقة بين الدولة الكثيرية والدولة العثمانية[1]، خصوصاً في عهد السلطان بدر الذي تولى حكم السلطنة الكثيرية رسمياً سنة ٩٢٦هـ/ ١٥١٩م؛ حيث أخذت هذه العلاقة تتطور حتى وصلت في نهاية الأمر إلى الاعتراف المتبادل، الذي حدد طبيعة هذه العلاقة، وفتح الطريق أمامها لتتعزز وتتخذ أشكالاً متعددة[2].

ففي ظل التقارب بين الطرفين استعان القائد التركي مصطفى بيرم خلال حملته على عدن سنة ٩٣٥هـ/ ١٥٢٨م بالسلطان بدر، فسارع إلى مساعدته ببعض المراكب.

جهَّز مصطفى بيرم حملة بقيادته متجهة إلى الهند في ذي الحجة من عام ٩٣٦هـ/ ١٥٢٩م، لكنها اضطرت للتوقف في الشحر؛ بسبب الأجواء الملاحية التي لم تمكنهم من الإبحار، فنزلوا في الشحر، واستأذن الضابط صفر سلمان من السلطان بوطويرق قبل

(١) د. سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول لليمن، ١٥٣٨-١٦٣٥م، ص:٨٩، ٩٥، ١٣٥، ١٣٧.

(٢) سالم محمد بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة، تحقيق عبدالله الحبشي، ص:١٦٤.

دخوله مدينة الشحر ينتظر على ظهر سفينته، وقد حمل صفر سلمان خلعة وكساءً، هدية للسلطان بدر ومعاونيه من الأمراء؛ حيث استقبلهم السلطان وأحسن ضيافتهم، وخلال مقابلتهم للسلطان، طلبوا منه السماح للمركب الذي يحمل نساء الضباط الأتراك وأبناءهم، ومن بينهم أبناء الأمير سلمان الرومي بالإقامة في الشحر، فنزلوا برعاية السلطان[١].

ولم تتمكن حملة بيرم من مواصلة رحلتها إلى الهند، فرجعت في الثلاثين من المحرم سنة ٩٣٧هـ/ ١٥٣٠م، وخرج السلطان لاستقبالهم بخيله وجنده، ودخلوا الشحر في موكب عظيم، وكان لهذا الاستقبال أثره في توثيق العلاقة بينهما[٢].

وانطلقت حملة بيرم في الثالث عشر من ربيع الآخر من العام نفسه، وبقي صفر سلمان ومعه مائة جندي من الأتراك ليساعدوا السلطان بدرًا في إخضاع بعض القبائل في منطقة الكسر[٣].

وهكذا استطاع السلطان بدر استثمار علاقته مع الأتراك، التي أخذت تسير بشكل واضح؛ فقد استعان بالأتراك ضد خصومه من آل عامر، والانتصار عليهم في الرابع من صفر في العام ذاته، وبقي أثر هذه العلاقة فاعلاً بشكل دائم، كما استطاع بمساعدتهم تكوين قوة بحرية قادرة على الدفاع عن سواحل الشحر، وحماية المراكب الراسية في

(١) محمد عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:١٨٩، ١٩٣، ١٩٤، سالم محمد بن حميد: تاريخ حضرموت، العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:١٦٤.

(٢) محمد عمر بافقيه: نفس المرجع،ص: ١٩٦-١٩٧.

(٣) سالم محمد بن حميد: المرجع السابق، ص: ١٦٩.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الميناء من هجمات البرتغاليين، وكانت بعض سفن القوة البحرية مزودة بالمدافع والبنادق النارية، وكان من قوادها يوسف التركي الذي اجتهد في محاربة البرتغاليين، وحماية البلاد من غزوهم(١).

واستمرت علاقة السلطان بدر مع الأتراك في النمو، وبدأت المكاتبات تتواصل مع السلطان العثماني ونائبه في مصر سليمان باشا الخادم، ومن المؤكد أنها تضمنت الدعوة لمحاربة البرتغاليين، وفي ١٢ من ربيع الأول عام ٩٤٤هـ/ ١٥٣٧م، وصل رسول سليمان باشا الخادم فرحات الصوباشي يحمل كتابين وخلعتين إلى السلطان بدر الذي أحسن استقباله(٢).

وبهذه المناسبة دعا السلطان بدر إلى اجتماع مهيب، في جامع الشحر في ٢٠ من ربيع الأول من العام ذاته، وحضره الأمراء وعمال الدولة وتقدم فرحات، وسلم السلطان بدرًا المرسومين، فقرأهما الفقيه عبد الله بامخرمة، وعند القراءة وقف السلطان بدر وجميع الحضور تعبيراً عن احترام الأوامر الصادرة إليهم، ثم خلع فرحات على السلطان بدر خلعتي السلطان العثماني تكريماً له، وكان المرسوم الأول يتضمن الأمر بتجهيز الحملة العثمانية عدة وعتاداً، وتضمن المرسوم الثاني التأكيد على اهتمام نائبه بمتابعة تجهيز الحملة، وقيادتها بنفسه لمجاهدة البرتغاليين.

(١) محمد عمر بافقيه: المرجع السابق، ص: ٢٠٥-٢٠٨.

(٢) R. B. Serjeant: the Portuguese Off the Souht arbian Coast , p. 76.

رحَّب السلطان بدر بضيفه كأول رسول للدولة العثمانية، وأمر الخطباء بالدعاء للسلطان العثماني، وأرسل خطاباً شافياً، وهدية ثمينة للسلطان العثماني، وقدم هدايا أخرى لرسول السلطان ومن معه[١].

وفي ٨ من جمادى الأولى من العام نفسه وصلت أول السفن التي تحمل المؤن والعتاد؛ ليتم إيداعها في ميناء الشحر لوقت الحاجة، ونظراً لارتفاع تكاليف الحملة، وعدم استكمال تجهيزها، أمر السلطان نائبه حاكم مصر بالعودة لاستكمال التجهيز المطلوب، وجرت مكاتبات بين السلطان بدر والسلطان العثماني وحاكم مصر بخصوص هذا الأمر[٢].

وفي العشرين من المحرم عام ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م، جاء السلطان بدراً كتابٌ يفيد بخروج الحملة من تركيا، ووصولها إلى السويس، ثم جاءه كتاب آخر يفيد بوصولها إلى عدن في ٨ ربيع الأول من العام نفسه.

وتابعت الحملة سيرها لتصل إلى ميناء الشحر في جمادى الأولى سنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م، وأعلم السلطان بقدومها، وطلب منه أن يجهز سفينتين والاحتفاظ بسفينة صغيرة في ميناء الشحر وتم تجهيز الأتراك بما طلبوه[٣].

أبحرت الحملة في ٢٣ من ربيع الأول في السنة ذاتها متجهة إلى الهند، وكان قوامها ثمانين سفينة، تحمل قرابة أربعين ألف جندي، وسرعان ما عادت الحملة العثمانية من

(١) محمد عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:٢٤٤-٢٤٥،
R. B. Serjeant: Ibid: pp. 76-78.

(٢) محمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، ص:٤٤.

(٣) محمد عمر بافقيه: المرجع السابق، ص:٢٥٣-٢٥٤.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر أو كلم WWW.DARALWEFAQ.NET +20010081702225

الهند بعد فشلها في تحقيق أهدافها، ولعل أهم أسباب هذا الفشل هو عدم مؤازرة مسلمي الهند للعثمانيين بسبب ما وصلهم من خبر غدر الأتراك بحاكم عدن[١].

بعد عودة الحملة العثمانية وفشلها في الهند أصبح هدف سليمان باشا هو استكمال السيطرة الفعلية على السواحل اليمنية، وعند وصوله إلى ميناء الشحر ميناء حضرموت الرئيس أصدر أمراً بتولي السلطان بدر بوطويرق حكم حضرموت تحت السيادة العثمانية الاسمية[٢]، كما فرض مبلغ عشرة آلاف ريال أشرفي عليه، وأكد سليمان باشا أن الدولة العثمانية سترسل فرماناً بعقد الولاية للسلطان بدر من باب المندب إلى ظفار، وأكد أيضاً بأن السلطان بدرًا من حلفاء الدولة العثمانية وأصدقائها[٣]، وأن تنفيذ هذه الخطوة تعد جزءاً من الخطة العثمانية بأن تكون حضرموت تابعة للدولة العثمانية اسمياً.

وأشارت بعض المراجع بأن السلطان بدرًا دخل تحت سلطان الدولة العثمانية في هذه الفترة[٤].

وهكذا يسعى الأتراك إلى تثبيت مراكزهم في موانئ حضرموت؛ بهدف فرض السيادة العثمانية على سواحل البحر الأحمر والسواحل العربية الجنوبية، ومطاردة

---

(١) محمد عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:٢٥٣-٢٥٦.

R. B. Serjeant: the Portuguese Off the Souht arbian Coast ,p. 84-85.

قطب الدين محمد أحمد النهروالي: البرق اليماني في الفتح العثماني مع توسع في أخبار الجراكسة والعثمانيين في هذا القطر، تحقيق حمد الجاسر، ص:٨٠.

(٢) د. السيد مصطفى سالم: الفتح العثماني لليمن ١٥٣٨-١٦٣٥م، ص: ١٤٩.

(٣) R. B. Serjeant: Ibid:,pp. 85-86. ، محمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، ص: ٤٥.

(٤)إسماعيل سيرهنك: تاريخ الدولة العثمانية، بيروت، دار الفكر الحديث (د. ت)، ص:٩٢.

البرتغاليين، والحيلولة دون استيلائهم على هذه المنطقة[١]، وظلوا يراقبون سفنهم. وقد وقع في رمضان من عام ٩٥١هـ/ ١٥٤٤م، اشتباك بينهم وبين مركب برتغالي قتل فيه أحد البرتغاليين، وأسر آخر. وفي رجب سنة ٩٦٨هـ/ ١٥٦٠م، تحركت ثلاث سفن تركية واتجهت شرقاً لتشتبك مع سفينة برتغالية، وتمكنت من أسر قبطانها وعشرة من القراصنة الذين كانوا على متنها[٢].

وقد وقعت حوادث متفرقة بين السفن التركية وأهالي حضرموت كما وقع في قشن، وحيريج وغيرها، حين قام الأتراك بالقبض على عدد من زعماء القبائل، منهم عبود بن خروان، وأحمد بن علي المحمدي، ومحمد بن عبد الله بن عفرار حاكم سقطرى، وكان السلطان بدر يعالج هذه الحوادث على الفور، ولذلك لم تترك هذه الحوادث أثراً على علاقته بالدولة العثمانية، بل ظلت هذه العلاقة في أحسن حالاتها[٣].

وحرص العثمانيون على إطلاع السلطان بدر بشكل مستمر على مستجدات صراعهم مع البرتغاليين، وغدت الشحر محطة تستقبل الأتراك وتدعمهم وتقدم لهم الرعاية والمساندة، وصارت حضرموت إحدى الولايات التابعة للدولة العثمانية اسمياً، وارتبط السلطان بدر بعلاقات مع السلطان العثماني[٤].

---

(١) د. السيد مصطفى سالم: المرجع السابق، ص:١٥١-١٥٢.

(٢) سالم بن محمد بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق: عبد الله الحبشي، ص: ١٩٦-١٩٧، محمد بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، ص:٤٥.

R. B. Serjeant: the Portuguese Off the Souht arbian Coast. pp. 109-110.

(٣) محمد عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:٣٢٣، ٣٦٥، ٣٩٥.

(٤) R. B. Serjeant: Ibid ,p.106-109.

للنسخة الورقية زز WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

ظهرت الدولة الطاهرية إلى الوجود في عدن سنة ٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م، عندما انفرد السلطان عامر بن طاهر بن معوضة بحكم عدن معلناً خروجه على الدولة الرسولية التي كان عاملاً لها على لحج وعدن[١].

وقد بدأت العلاقة بين الشحر والدولة الطاهرية عندما حاول محمد بن سعيد بادجانة الكندي الاستيلاء على عدن، لكنه فشل في ذلك، وتم سجنه في عدن، وتنازل عن حكم الشحر للدولة الطاهرية، وسبق أن أشرنا إلى أن السلطان بدر بن محمد بن عبد الله الكثيري استغل الأوضاع في الشحر بعد سقوط دويلة بادجانة، وكاتَبَ آل طاهر ليكون نائباً عنهم في الشحر، لكن عمه السلطان بدر بن عبد الله أرسل جيشاً، دخل به الشحر من غير قتال، وكان ذلك سنة ٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م[٢].

ويعتبر السلطان عامر بن عبدالوهاب بن عامر بن طاهر أبرز سلاطين الدولة الطاهرية؛ حيث استطاع خلال فترة حكمه الممتدة ٨٩٤-٩٢٣هـ/ ١٤٨٩-١٥١٧م، أن يثبت دعائم الدولة، وينفرد بحكم معظم مناطق اليمن لما تمتع به من دهاء وحنكة سياسية[٣].

---

(١) صالح بن علي الحامد: تاريخ حضرموت، ج٢، ص:٥٧٠-٥٧٣.

(٢) أحمد بن عبد الله شنبل: تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:١٨٨-١٩٩، علوي بن طاهر الحداد: الشامل في تاريخ حضرموت، ص:١١٦.

(٣) ابن الديبع الشيباني الزبيدي: الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار زبيد، تحقيق يوسف شلحد، صنعاء مركز الدراسات والبحوث اليمني، دار العودة، ط٣، ١٩٨٣م، ص:١٧٣، ٣٧٠.

وفيما يتعلق بحضرموت فإن نفوذ الدولة الطاهرية العسكري والسياسي لم يمتد فعلياً إلى هناك، لكن سلاطين الدولة الكثيرية قبل عهد السطان بدر بوطويرق كانوا يدينون لها بالتبعية الاسمية، ويرسلون الإتاوة السنوية إلى عدن تعبيراً عن هذه التبعية، كما ذكر ذلك بامطرف نقلاً عن المؤرخ سالم بن عوض باسباع في مخطوطته (بهجة السمر في أخبار بندر سعاد المشتهر)[١].

ونظراً لما كانت تتعرض له عدن من غزوات خارجية، فقد وقفت حضرموت موقف المؤازر لها في المحن، وسعت إلى شد أزرها في الخطوب، وفي عهد السلطان محمد بن عبدالله الكثيري طلب أمير عدن مرجان الطاهري بواسطة الشيخ عبد الكريم بن محمد بانافع من السلطان محمد إرسال قوة للمساعدة في الحفاظ على الأمن في عدن، حتى يستكمل بناء قلعتها الدفاعية، وتحصيناتها المختلفة.

ولم يتردد السلطان محمد في إرسال المعونة المطلوبة المالية والعينية، كما أرسل نجدة كبيرة قوامها إحدى وثلاثون سفينة، تحمل على متنها ألف مقاتل من أبناء حضرموت، وقد وصلت هذه النجدة في سنة ٩٢٢هـ/ إبريل من عام ١٥١٦م، وكان لها دور كبير في صد الهجمات التي تعرضت لها عدن من قبل المماليك في رجب ٩٢٢هـ/ أغسطس ١٥١٦م بقيادة الأمير حسين الكردي[٢]، ثم كرروا الهجوم على عدن بقيادة سليمان الرومي غير أن الهجوم فشل[٣].

(١) محمد بامطرف: الشهداء السبعة، ص:١٢٧، ١٣٠.

(٢) قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي: البرق اليماني في الفتح العثماني، تحقيق حمد الجاسر، ص:٢٢-٣٢. محمد بامطرف: الشهداء السبعة، ص:٦٩، ٧٠، ٧٥، ٧٦.

(٣) د. السيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول لليمن ١٥٣٨-١٦٣٥م، ص:٨٧.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وحين بدأ البرتغاليون يتجهون بأنظارهم صوب عدن، وأخذ خطرهم يتزايد، وهجماتهم تتضاعف، طلب السلطان عامر بن داود الطاهري من الشيخ عبدالله العيدروس أحد فقهاء تريم أن يرسل له قوة من حضرموت لمساندته في حربه ضد البرتغاليين[١]، وتمكن العيدروس من تجميع قوة من حضرموت والمهرة لهذا الغرض، وما إن استعدت هذه الحملة لمغادرة ميناء قشن حتى باغتها البرتغاليون بهجوم مفاجئ أسفر عن مقتل خمسين شهيداً سنة ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م[٢].

وخلاصة القول: إن علاقة الدولة الكثيرية بدولة آل طاهر كانت متينة، ولا سيما في مجال التعاون العسكري، نظراً لما تعرضت له عدن من هجمات بسبب موقعها الاستراتيجي، ولذا ظلت في حاجة دائمة إلى الإسناد الرسمي والشعبي الذي تقدمه حضرموت، غير أن هذه العلاقة انتابها شيءٌ من الفتور في عهد السلطان بدر بوطويرق.

وتجدر الإشارة إلى أن مؤازرة الدولة الكثيرية لدولة آل طاهر في عدن كانت سبباً يضاف إلى جملة الأسباب التي دفعت البرتغاليين إلى الهجوم على الشحر تأديباً لها وسعياً نحو تحقيق الهدف الاستعماري الاستراتيجي للبرتغاليين، والذي يتمثل في السيطرة على تجارة الشرق، وفرض المزيد من الحصار البحري على التجارة العربية والإسلامية، مما دفع بعض المؤرخين البرتغاليين إلى الاعتقاد بأن الشحر خاضعة للدولة الطاهرية، ومن المؤكد أن حضرموت لم تخضع لحكم آل طاهر خلال حكم آل كثير، إلا ما ذكر من التبعية الاسمية.

---

(١) محمد بامطرف: نفس المرجع، ص:١١٣.

(٢) محمد عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:٢٣١.

R. B. Serjeant: the Portuguese Off the Souht arbian Coast , p. 71.

ومن غير المؤكد أن السلطان بدر بوطويرق استمر في إرسال الأتاوة السنوية إلى عدن؛ حيث انفرد بالإشارة إلى ذلك محمد عبدالقادر بامطرف الذي استقى معلوماته من مخطوطة (بهجة السمر) للربان باسباع الذي سبق ذكره، ومما يقلل من صحة هذه المعلومة ما سبق ذكره من أن السلطان بدرًا أرسل سفناً لمساندة الحملة العثمانية التي قادها مصطفى بيرم للسيطرة على عدن عاصمة الطاهريين في ذي القعدة ٩٣٥هـ/ ١٥٢٨م [١].

ومما يعزز ما نذهب إليه أن السلطان عامر بن داود الطاهري لم يطلب المساعدة من السلطان بدر، بل لجأ إلى الشيخ العيدروس الذي لم يرسل النجدة عبر ميناء الشحر، بل أرسلها عبر ميناء قشن، ولا شك في أن هذا يشير بوضوح إلى الفتور في العلاقة بين السلطان بدر والدولة الطاهرية.

وما أن بدأت الأخطار الداخلية والخارجية تتكالب على الدولة الطاهرية كتمرد الإمام المتوكل على الله شرف الدين يحيى شمس الدين في حجة سنة ٩١٢هـ/ ١٥٠٦م، وهجمات البرتغاليين ومحاولات المماليك، ثم الأتراك[٢] حتى بدأت السلطنة الكثيرية تحاول التخلص من مظاهر الارتباط بدولة بني طاهر في عدن، خصوصاً حين تسلَّم السلطان بدر مقاليد السلطنة الكثيرية في سنة ٩٢٦هـ/ ١٥١٩م، ورأى أنه في وضع أفضل من سلاطين الدولة الطاهرية، مما دفعه إلى المبادرة بالتخلص من صلاته بالدولة الطاهرية، واتجه إلى تقوية علاقاته بالدولة العثمانية.

(١) محمد بن عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:١٨٩-١٩٣.

(٢) د. سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول لليمن ١٥٣٨-١٦٣٥م، ص: ٣٩، ٥٨- ٥٩، ٧١ - ٧٣، ٩١، ١٢٥.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ولد الإمام شرف الدين في ١٧ رمضان سنة ٨٧٩هـ / ٢٦ يناير سنة ١٤٧٥م، ولقب بالإمام المتوكل على الله شرف الدين، وهو يسمى يحيى بن الإمام أحمد، ويعتبر من الأئمة المجتهدين في المذهب الزيدي.

أعلن الإمام شرف الدين إمامته في (حجة) في ١٠ جمادى الأولى سنة ٩١٢هـ / ٢٨ ديسمبر ١٥٠٦م، وهو من الشخصيات التي لعبت دوراً مهماً في بداية تاريخ اليمن الحديث، وظهر هذا الدور بشكل واضح بعد سقوط السلطان عامر بن عبد الوهاب سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، فقد انتقل من حجة إلى ثلا، وتطورت الأحداث بشكل سريع فقد دخل في صراع مع المماليك وتمكن من الدخول إلى صنعاء في ٨ شوال سنة ٩٢٣هـ/ ٢٤ أكتوبر ١٥١٧م[1].

ظل الإمام شرف الدين مشغولاً بصراعاته مع المحاور الرئيسة في اليمن، منها: صراعه مع سلطان الدولة الطاهرية عامر بن عبد الوهاب ومن خلفه في الحكم من آل طاهر، وصراعه مع المماليك في السواحل اليمنية وبعض المناطق الداخلية خاصة صنعاء، وبعد ذلك صراعه مع العثمانيين، وصراعه مع أئمة صعدة وأشراف الجوف.

هذه الصراعات لم تعطِ الإمام شرف الدين فرصة لتوسيع علاقاته مع سلطان حضرموت السلطان بدر بوطويرق، وقد استطعنا الحصول على مكاتبة بين الإمام شرف

(١) د. سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول ١٥٣٨-١٦٣٥م، ص: ٣٩، ١١٥ .

الدين والسلطانين محمد وبدر ابني عبدالله بن جعفر الكثيري، يعود تاريخها إلى سنة ٩٣١هـ/ ١٥٢٥م، وأهم ما تضمنته هذه المكاتبة الأمور التالية:

استعراض الانتصارات الكبيرة التي حققها الإمام شرف الدين في منطقة همدان، والتي أصبحت خاضعة لحكمه، كما حاول الإمام في مكاتبته هذه التذكير بحقوق الأئمة المتمثلة في الموالاة لهم والمراسلات، ومعاهدتهم، وتقديم الهدايا لهم، وذكر أن تلك العلاقة كانت قديمة من عهد الآباء.

وفي الوقت نفسه أهدى فرسين نجيبين جيدين إلى السلطانين محمد وأخيه بدر، وقد أظهر الإمام في كتابه هذا رغبته في استطلاع الأنباء في حضرموت.

وبعث السلطان بدر بوطويرق كتاب جواب إلى الإمام شرف الدين، وأهم ما جاء فيه ذكره أن الإمام هو إمام المسلمين، وأن محبتهم واجبة، وقد خصهم الله بذلك في كتابه الكريم بحكم النسب إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وأكد أنه لا زال مقام الإمام سامياً ورفيعاً ونافذ الأمر، ومن اتصل بالإمامة فقد نجا، ومن انقطع عنهم ضل وغرق،وتضمن هذا الجواب من السلطان تقديم التهاني من السلطان إلى الإمام بالنصر على خصومه، وقد وصفهم بالطائفة الشيطانية.

وأظهر جواب السلطان بدر النهج الذي يدير به البلاد، وطريقته في الحكم، فهم بحبل الدين معتصمون، بمقتضى الشريعة الإسلامية عاملون بما جاء في الكتاب والسنة، وبالعدل يحكمون.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

وغلب على الكتابين المتبادلين بين الإمام شرف الدين والسلطان بدرالمدح الكثير لكل منهما، وتبادلا الشعر الذي لا يخلو أيضاً من المدح، والإشادة والتهاني بالانتصارات التي تحققت.

حاول الإمام شرف الدين من خلال هذا الكتاب الذي أرسله إلى السلطانين كسب ولائهما له، واستمرار المراسلات بينهما وتقديم الهدايا، أما جواب السلطان فقد أظهر فيه تعاطفه مع الإئمة، ولم يضع على نفسه أي التزامات أو تعهدات في إطار علاقته مع الإمام، وكان جوابه عاماً حول مكانة الإئمة بين المسلمين[1].

و بعد هذه المكاتبة انقطعت هذه المراسلات ولم نحصل على معلومات تؤكد امتدادها وتطورها، وتفسيرنا الوحيد لذلك هو أن الإمام شرف الدين أعطى اهتماماً متزايداً لبناء الدولة الزيدية ساعياً للتوسع في ممتلكات الدولة الطاهرية، وخاصة في المناطق الشمالية، أضف إلى ذلك انشغاله بتلك الصراعات التي أشرنا إليها آنفاً.

لاشك في أن هذه الأوضاع الداخلية التي واجهها الإمام شرف الدين كانت على حساب علاقته مع السلطان بدر بوطويرق، وتظهر لنا بعض الأحداث التاريخية أن الإمام شرف الدين لم يحاول التدخل في شئون الدولة الكثيرية في عهد السلطان بدر بوطويرق، فحدث أن لجأ المقدم محمد بن علي بن فارس يستنجد بالإمام ضد السلطان

(١) وثيقة مكاتبة بين المتوكل على الله يحيى شرف الدين والسلطانين محمد وبدر ابني عبد الله بن جعفر الكثيري سنة ٩٣١هـ، مخطوطة، محفوظة بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء، تحمل رقم (٢١٩٣)، ق: ٢٠٣ أ ـ ٢٠٩أ.

بدر بوطويرق، غير أنه عاد بخفي حنين، ولم يقدم له الإمام أي مساعدة أو في الأقل إرسال كتاب إلى السلطان بدر يطلب فيه عدم التعرض لقبيلة نهد بأي أذى[١] .

بالإضافة إلى ذلك موقف الإمام شرف الدين السلبي من الشيخ عثمان بن أحمد العمودي عندما لجأ إليه يطلب مساندته ضد السلطان بدر الذي يحاول توطيد علاقته مع العثمانيين، وهذه السياسة لم تَرُقْ للشيخ العمودي بالإضافة للاختلافات الأخرى مع السلطان[٢].

ولكن السلطان بدر بوطويرق احتضن الشريف ناصر بن أحمد بن حسين البهال المعارض لحكم الإمام شرف الدين وابنه المطهر، وهناك مواقف مختلفة توضح موقف السلطان بدر المساند للشريف ناصر سنأتي إليه عند الحديث عن علاقة السلطان بالشريف ناصر.

(١) محمد بن عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق : عبد الله الحبشي، ص: ٢٨٦ ـ ٢٨٧، سالم بن حميد تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة ، تحقيق : عبد الله الحبشي ص: ١٩٠ ـ ١٩١ .

(٢) سعيد عوض باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص: ١٥٣.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وصل الشريف ناصر بن أحمد حاكم الجوف إلى مدينة الشحر سنة ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م، بعد أن تمكن الإمام شرف الدين يحيى من انتزاع الجوف منه، وكان بصحبته أربعون فارساً من الأشراف الزيدية(١)، وكان في استقبالهم السلطان بدر الذي أكرم وفادتهم(٢)، وكان يريد أن يضمهم إلى قواته، ويستفيد منهم في تثبيت أركان دولته(٣).

وكانت أول مهمة كُلِّفَ بها الشريف ناصر وجماعته تتمثل في إخضاع حيريج للسلطنة الكثيرية؛ حيث تقدَّم على رأس فرقة من الأشراف مكونة من ثلاثين فارساً بالإضافة إلى أربعمائة من قبيلة معاضَّة اليمنية الزيدية، وتمكنت من إنجاز مهمتها على أكمل وجه، كان ذلك في ٦ جمادى الأولى سنة ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م، كانت مشاركة الشريف ناصر والأشراف في هذه الحملة التي يقودها السلطان بدر بنفسه قد جعلته يثق بالشريف ناصر وفرقته(٤).

ثم كلَّفه السلطان بمهام أخرى منها التوسط بينه وبين قبيلة نهد، ولكنه لم ينجح في مهمته فأمره بقيادة قوة عسكرية ضمت عدداً من الأشراف ورجالاً من بادية آل كثير والمهرة، فأغار على نهد وسلب ثلاثمائة ناقة، وقتل ستة من رجالهم(٥)، وإمعاناً في إهانتهم

(١) محمد بن عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:٢٢٢، ٢٢٦.

(٢) سالم بن محمد بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ١٧٩-١٨٠، محمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، ص:٤٠.

(٣) محمد بن عمر بافقيه: المرجع السابق، ص:٢٣١.

(٤) سالم محمد بن حميد: المرجع السابق، ص:١٧٩-١٨٠.

(٥) نفس المرجع، ص:١٨٧.

وتأديبهم كلَّف السلطان الشريف ناصرًا بإدارة شؤون ثلاثٍ من القرى الرئيسة في منطقة الكسر التابعة لنهد وهي هينن، والمخينيق، والعجلانية[١].

ورغم تفاؤل السلطان بدر وثقته بقدرات الشريف ناصر فإنه كان يُدرِك صعوبة المهمة التي تواجهه في منطقة وسط وادي حضرموت وغربه لوجود أعتى قوتين تناهضان الدولة الكثيرية، والمتمثلة في قبيلة نهد ومشيخة العمودي، ولذا فقد وضع السلطان بدر بين يدي الشريف ناصر كل الإمكانات اللازمة لتنفيذ هذه المهمة العسرة، فأمده بالأموال الطائلة التي قدرت بثلاثمائة أوقية من الذهب، إضافة إلى كميات من الفضة وقطع الحرير ومجموعة من أجود الخيول، وعهد إليه بإدارة منطقة هينن عاصمة غرب حضرموت، وما يحويه حصنها من عُدَّة وعتاد، وترك له التصرف في إيراداتها الزراعية[٢]، وأرسل إليه ستة آلاف ريال أشرفي، وطلب منه أن يجند أعداداً كبيرة من الأشراف الزيدية، ويجهِّز قوة ضاربة تمكنه من إحكام السيطرة على هذه المنطقة، وتحقيق الأمن والاستقرار فيها[٣].

ولما أدرك الشريف ناصر صعوبة المهمة قرر الاعتذار عن مواصلة القيام بها، ورغم كل محاولات السلطان في استبقائه فإنَّ الشريف ناصر سلَّم هينن في المحرم سنة ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م، ورحل إلى الجوف حاملاً معه جميع ما في الحصن من أموال[٤].

(١) صالح بن علي الحامد: تاريخ حضرموت، ج٢، ص:٦٢٢-٦٢٣.

(٢) محمد عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ٢٧١.

(٣) سالم محمد بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بـ(العدة المفيدة)، تحقيق عبد الحبشي، ص:١٨٧-١٨٨،

(٤) محمد عمر بافقيه: المرجع السابق، ص: ٢٧٤-٢٧٥.

للنسخة الورقية زز WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وقد حاول الأتراك الاستفادة من الشريف ناصر، وتكليفه بمهمة إشغال الإمام شرف الدين في منطقة الجوف التي أخرجه منها، وقد وصل الشريف لهذا الغرض إلى هينن واجتمع بمبعوث السلطان العثماني، ووافق على القيام بالمهمة، وتسلّم خلعة السطان، ومبلغ ألف ريال أشرفي، ثم توجه الاثنان إلى قيدون؛ حيث تم استقبالهما من قبل السلطان بدر.

وفي هينن قضى السلطان بدر مع ضيفيه أيام عيد الفطر سنة ٩٤٨هـ/ ١٥٤٢م، وعند مغادرة مبعوث السلطان العثماني حمل معه رسائل وهدايا قيِّمة للباشا مصطفى نشار في زبيد[١]، وهذا يدل على مباركة السلطان بدر على ما تم الاتفاق عليه في اجتماع هينن، محاولاً بذلك تعزيز علاقته بالعثمانيين في اليمن، على حساب علاقته بالإمام شرف الدين الذي لا يرى مصلحة في تطوير علاقته معه.

ولمّا علم الإمام شرف الدين بما دُبِّر له في اجتماع هينن أبدى امتعاضه من السلطان بدر لاحتضانه هذا الاجتماع، وقرر إفشال هذه الخطة، فبادر في العام نفسه وجهز جيشاً عظيماً بقيادة ابنيه شمس الدين وعز الدين، وتمكنا من إخضاع منطقة الجوف، وتخريب منطقة الزاهر، وهي قرية الشريف ناصر، كما أسرا عدداً من أتباعه يقال لهم آل صالح، كما خربا وادي أبراد المتاخم لمأرب الذي تسكنه قبيلة عبيدة، وبه قرى كثيرة، ومزارع لعبيدة[٢]، وفرَّ الشريف ناصر وجماعته إلى جبل دهمة، وهو جبل وعر يصعب الوصول إليه، ووقَّع أهل الجوف اتفاق صلح مع الإمام شرف الدين[٣].

(١) نفس المرجع، ص:١٩٢.

(٢) محمد بن عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:٢٨٩، ٢٩٤.

(٣) يحيى بن الحسين بن قاسم: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق سعيد عاشور، القاهرة، دار الكتاب العربي، ج١، ط١، ١٩٦٨م، ص:٦٨٦.

وقد هدفنا من ذكر هذه التفاصيل عن علاقة السلطان بدر بالشريف ناصر إلى تسليط الضوء على علاقة السلطان بدر بالأتراك؛ حيث تنازل السلطان عن مصلحته في الإفادة من الشريف ناصر -مع حرصه على ذلك- للأتراك، الذين احتاجوا إليه في بعض المهمات. وأردنا أن نشير إلى حالة الاستياء التي عمّت المحيطين بالسلطان بدر من جراء إغداق الأموال الطائلة على الشريف ناصر.

والحق أن علاقة السلطان بدر مع الشريف ناصر أخذت بعداً اجتماعياً، حيث زوَّج السلطان بدر ابنته من الشريف ناصر، كما زوَّج ابنة أخيه محمد للشريف أحمد، وكان ذلك في المحرم سنة ٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م، لكن هذه العلاقة لم تدم طويلاً، فسرعان ما وقع الطلاق بعد شهر واحد من عقد النكاح[1]، مما أثار الدهشة والاستغراب، وأعطى الفرصة لانتشار التكهنات حول أسباب هذا الطلاق، وليس لدينا ما يؤكد وقوع خيانة ضد السلطان بدر.

وإذا أردنا أن نقيِّم علاقة السلطان بدر بالشريف ناصر من خلال استعراض المنجزات التي حققها الشريف ناصر للدولة الكثيرية سنجدها قد انحصرت في أمرين: أولهما: انتصاره في حيريج. وثانيهما: تقوية جيش السلطان بدر بعناصر جديدة.

ولم تكن هذه الإنجازات المتواضعة تستحق كل ما بُذل من أموال طائلة، تسببت في إحداث حالة من الاستياء واتساع هوة الخلاف بين السلطان بدر وأخيه محمد وآل كثير، وتفاقم العداوة بينه وبين قبيلة نهد ومشيخة العمودي، ولو أن جزءاً من هذه الأموال أنفق على المحيطين بالسلطان بدر لكان ذلك أجدى وأكثر ثمرة، ولَتمكَّنَ من تجهيز جيش قوي، وبناء أسطول حديث، يعينه على تحقيق أهدافه.

(١) محمد بن عمر بافقيه: المرجع السابق، ص:٢٩٨.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الفصل السادس

النشاط البرتغالي على سواحل حضرموت والسواحل العربية الجنوبية والمقاومة الوطنية بزعامة السلطان بدر بوطويرق

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

النشاط البرتغالي على سواحل حضرموت والسواحل العربية الجنوبية والمقاومة الوطنية بزعامة السلطان بدر بوطويرق

بذلت البرتغال جهوداً مضنية من أجل الوصول إلى الشرق، بهدف السيطرة على تجارة الشرق، ونشر المسيحية، ولم يكن المعيري مبالغاً حينما قال: ((إن بغيتهم العظمى، ومهمتهم الكبرى قديماً وحديثاً تغيير دين المسلمين، وإدخالهم في النصرانية[١])). فقد صرح ملك البرتغال عمانويل الأول (١٤٩٥–١٥٢١م) بهذين الهدفين، في خطبته التي ألقاها بمناسبة إرسال أول حملة بحرية برتغالية إلى الشرق في عهده[٢].

وينطوي الهدف الديني المعلن في الحقيقة على جملة من الأهداف، فإن الشعور الوطني لديهم يمتزج بالحماس الديني، وتغذّيه خلفيات الصراع مع المسلمين، في شبه جزيرة إيبريا في العصور الوسطى[٣]، مما يزيد من تعصبهم وحقدهم، ويذكي لديهم الرغبة في

(١) زين الدين بن عبد العزيز المعيري: تحفة المجاهدين في أخبار البرتغاليين، تحقيق دكتور أمين توفيق الطيبي، طرابلس، كلية الدعوة الإسلامية (د. ت)، ص: ٩٠.

(٢) د .سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول لليمن ١٥٣٨–١٦٣٥م، ص : ٤٦ – ٤٧

(٣) ك . م. بانيكار: آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عباس توفيق جاويد، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد، ١٩٦٢، ص:٢٤-٢٥،

الانتقام من المسلمين، وإذلالهم، وتدنيس مقدساتهم وتهديمها، وتحطيم حضارتهم، ونهب خيراتهم بالتعاون مع ملك الحبشة[١].

وقد حظيت هذه الحملات بمباركة الكنيسة، وحرصها على إظهار الوجه الصليبي لها؛ حيث أصدرت المراسيم البابوية بتأييد تلك الحملات، ومنحها الحق في غزو جميع الشعوب التي يسودها أعداء المسيح[٢]**، كما صدرت الأوامر البابوية برسم صورة الصليب على أشرعة السفن، وملابس المشاركين، وغيرها من المظاهر التي تعلن الهدف الصليبي، وتبرز الوجه الكالح، وتؤجج المشاعر الحاقدة**[٣].

أما الهدف الاقتصادي فيتمثل في رغبتهم في السيطرة على تجارة الشرق، وكسر احتكار المسلمين في مصر وموانئ البحر الأحمر والمحيط الهندي لها، ويعني هذا فيما يعنيه تحطيم الدعامة الاقتصادية التي يعتمد عليها الاقتصاد في مصر والبلدان العربية والإسلامية[٤].

---

(١) يسري عبدالرازق الجوهري: الكشوف الجغرافية، دراسة لتاريخ الكشوف الجغرافية ولتطور الفكر الجغرافي، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٦٧، ص: ١٢٨- ١٣١، عبد العزيز محمد الشناوي: المراحل الأولى للوجود البرتغالي في شرق الجزيرة العربية، الدوحة، البحوث المقدمة إلى مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة، تدوين تاريخ قطر، ١٩٧٦م، ص: ٦١٥-٦١٦.

(٢) محمد عدنان مراد: صراع القوى في المحيط الهندي والخليج العربي، جذوره التاريخية وأبعاده، دمشق، دار دمشق للطباعة والنشر، ١٩٨٤م، ص:١١٨.

(٣) عبد العزيز محمد الشناوي، المراحل الأولى للوجود البرتغالي في شرق الجزيرة العربية، ص:٦١٥-٦١٦.

(٤) نفس المرجع، نفس الصفحتين، ك. م. بانيكار: آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عباس توفيق جاويد، ص:٢١-٢٣.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ولا يخلو هذا الهدف من أبعاد دينية؛ حيث إن حرمان المسلمين من هذا المورد الاقتصادي المهم سيضعف من قدرتهم في الحفاظ على هويتهم وحضارتهم، وإرادتهم، ومواجهة الأعداء المتربصين بهم.

وفي سبيل تحقيق هذا الهدف كثف البرتغاليون من جهودهم لاكتشاف طريق بحري مباشر يربط أوربا بالهند، مصدر التوابل وغيرها من السلع من غير المرور بالبحر الأحمر وخليج عدن أو الخليج العربي.

وإلى جانب هذين الهدفين اللذين أعلن عنهما عمانويل الأول كما أشرنا، هناك هدف سياسي يسعى البرتغاليون إلى تحقيقه، ويرتبط تحقيق هذا الهدف بتحقيق الهدفين السابقين؛ إذ من الواضح أن كشف الطريق البحري الجديد إلى الهند يحقق هدفاً رئيساً للسياسة الاستعمارية البرتغالية، ويتمثل ذلك في تأسيس إمبراطورية برتغالية استعمارية في إفريقيا وآسيا، تشمل الساحل الشرقي للقارة الإفريقية، والهند، والساحل الجنوبي للجزيرة العربية وسواحل الخليج العربي كمرحلة أولى[١].

أما المراحل التي تليها فهي احتلال عدن وسواحل البحر الأحمر الشرقية والغربية، ويعني ذلك إخضاع تلك الشعوب للاستعمار والسيطرة البرتغالية الكاملة[٢].

فالهجمة البرتغالية الموجهة ضد العالم الإسلامي تستهدف تدميره وإخضاعه واستعماره.

(١) محمد عدنان مراد: المرجع السابق، ص: ١٥٦-١٥٧، وليد محمد جردات: الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضي والحاضر، الدوحة، دار الثقافة، ١٩٨٦م، ص: ٩٠-٩١.

(٢) د. بدر الدين عباس الخصوصي: دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، الكويت، منشورات ذات السلاسل، ط٢، ١٩٨٤م ، ص: ١٣.

ولا شك في أن الحملات الاستكشافية تؤكد رغبة البرتغاليين في التوسع، بعد أن أدركوا صغر مساحة دولتهم المطلة على المحيط الأطلسي، وبحكم وقوع أسبانيا في الشرق والشمال، فلا يمكن التوسع داخل الجزيرة، ومن هنا كان من المؤكد أن يتم التوسع بحراً[١].

ومن هنا بدأ الملاح فاسكوداجاما رحلته الاستكشافية سنة ٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م على رأس حملة بحرية، انطلقت من لشبونة، وسارت بمحاذاة الساحل الغربي لإفريقيا، وذلك لمواصلة نجاحات بارثولوميودياز، الذي وصل إلى ما كان يعرف برأس العواصف في جنوب القارة الإفريقية ودار حوله[٢].

وقد وصل فاسكوداجاما إلى موزمبيق سنة ٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م، ورحب به أهلها في بادئ الأمر، ثم تغير موقفهم عندما عرفوا حقيقة أمره، وكانت أخباره قد وصلت إلى كلو ومباسة اللتين قوبل فيهما بالجفاء من أهلها، ونتيجة للخلاف بين حكام هذه الإمارات الإسلامية فقد تعاون حاكم مالندي معه[٣].

ومع نهاية العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة حدث تحول تاريخي؛ حيث تمكن البرتغاليون من الدوران حول رأس العواصف، الذي سماه ملك البرتغال برأس الرجاء الصالح، ووصل فاسكوداجاما إلى الهند سنة٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م[٤].

(١) د . السيد مصطفى سالم : الفتح العثماني الأول لليمن ١٥٣٨–١٦٣٥م، ص: ٤٦.

(٢) ك.م. بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، ص: ٢٩.

(٣) وليد محمد جرادات: الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضي والحاضر، ص: ٩٠ – ٩١.

(٤) قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي المكي: البرق اليماني في الفتح العثماني، تاريخ اليمن في القرن العاشر الهجري مع توسع في أخبار غزوات الجراكسة، والعثمانيين لهذا القطر، تحقيق حمد الجاسر، ص: ١٨ – ١٩.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

وقد مهدت تلك الخطوة الطريق أمام البرتغاليين لتكوين إمبراطورية استعمارية لهم في الشرق[١].

ولهذا تتابعت خطواتهم، وتواصلت حملاتهم، لتعزيز حامياتهم في الهند[٢]، وتثبيت أقدامهم على سواحلها، وقد تمّ لهم ذلك سنة ٩١١هـ/ ١٥٠٥م؛ حيث تمكنوا من تأسيس حكومة لهم هناك[٣].

وبهذا حققوا خطوة أخرى مهمة، ثم شرعوا في السعي نحو تحقيق السيطرة الكاملة على الهند وجنوب شرق آسيا، وكذا السيطرة على المفاتيح الرئيسة للتجارة في الشرق، وهي: ملقا عند مضايق سنقافورة، وعدن عند مدخل البحر الأحمر، وهرمز عند مدخل الخليج العربي[٤]، وبذلك حققوا جزءاً مهماً من أهدافهم في منع وصول التجار العرب إلى مصادر التوابل، وكسر احتكارهم للتجارة بين آسيا وأوربا[٥].

وقد حاولت بعض الدول الإسلامية مجابهة هذا الخطر البرتغالي الداهم، فقد أرسلت الدولة الطاهرية حملة لهذا الغرض ٩١٢هـ/ ١٥٠٦م، غير أنها كانت لقمة سائغة للبرتغاليين، كما أرسل المماليك في مصر حملتهم سنة ٩١٥هـ/ ١٥٠٩م إلى الهند، لكنهم هزموا في معركة ديو[٦].

(١) وليد محمد جرادات: الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضي والحاضر، ص: ٨٩، ٩١، ٩٤.

(٢) عبد العزيز الشناوي: المراحل الأولى للوجود البرتغالي، ص٦٢١-٦٢٢.

(٣) ك. م. بانيكار: آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عباس توفيق، ص٤٣-٤٩.

(٤) نوار عبد الوهاب قاسم القيسي: الخليج العربي، الأهمية الإستراتيجية وملامح السياسة البرتغالية، رأس الخيمة، أبحاث ندوة الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي، مركز الدراسات والوثائق، الديوان الأميري، ج١، ٢٩-٣١ أغسطس ١٩٨٧م، ص:٣٠٣-٣٠٤.

(٥) د. صلاح العقاد: التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة، مكتبة الانجلو مصرية، ١٩٧٤، ص: ١٥.

(٦) د. السيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول لليمن، ١٥٣٨-١٦٣٥م، ص:٥٨، ٥٩، ٦١، ٦٣.

لم يكتف البرتغاليون بالنجاحات التي حققوها في الهند، فإنها لا زالت في غاية التواضع بالنظر إلى الجهود التي بذلوها، والأموال التي أنفقوها، والأهداف التي تحركوا من أجلها، ففي الجانب الديني لم يتمكنوا بَعدُ من الوصول إلى الأماكن المقدسة في الجزيرة العربية، وتحقيق ما يحلمون به من تدنيس وتهديم وانتقام وإذلال، وفي المجال السياسي لم يتمكنوا من إقامة إمبراطوريتهم الكبرى التي تسيطر على السواحل الإسلامية في جنوب الجزيرة والبحر الأحمر والخليج العربي والساحل الشرقي الإفريقي، وما تحقق لهم في المجال الاقتصادي لا يزال دون ما يحلمون به بكثير، فحركة الملاحة العربية في المحيط الهندي لا تزال حيّة ونشطة رغم القوة البحرية الهائلة التي حشدوها فيه للقيام بأعمال القرصنة ضد المراكب العربية والإسلامية، وهدفهم الاستراتيجي في السيطرة على البحر الأحمر شريان المواصلات البحرية بين القارات الثلاث، والذي ترتبط مشروعاتهم الاستعمارية بإحكام سيطرتهم عليه لم يتحقق بعد، كما أنهم لم يتمكنوا بعد من السيطرة على مدخل الخليج العربي.

كل تلك الحقائق دفعت البرتغاليين إلى التوجه بأنظارهم صوب السواحل العربية والأفريقية الشرقية، خصوصاً وأن تلك الفترة شهدت ظهور الدولة العثمانية كقوة منافسة تسعى إلى بسط سيطرتها على ممتلكات المماليك في مصر[1].

(١) د. جمال زكريا قاسم: تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، المجلد الأول، القاهرة، دار الفكر، ١٩٩٧م، ص:٤٢، ٤٨.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

شعر البرتغاليون بالخطر العثماني الذي يهدد أطماعهم في المنطقة العربية، التي لم يتحقق لهم منها بسيطرتهم على التجارة في الهند إلا النزر اليسير، ولذلك اتجهوا بأنظارهم إلى هناك للتصدي لذلك الخطر واستكمال خطتهم الاستعمارية.

وقبل البدء في اتخاذ أولى الخطوات لاستكمال تنفيذ هذه الخطة برز خلاف بين نائب الملك في الهند الدون فرانسسكو دي الميدا من جهة والفونسو دا البوكيرك من جهة أخرى؛ حيث يرى الأول أن إمكانات البرتغال البشرية محدودة، لا تسمح بالتوسع وإقامة الحصون والقلاع والمستعمرات، ولهذا فإن التصرف الممكن في نظره لتحقيق الأهداف الاستعمارية البرتغالية يتلخص في نقطتين:

الأولى: الاكتفاء بتأسيس الوكالات التجارية في الهند؛ للحفاظ على العلاقات التجارية.

الثانية: إحكام القبضة على الساحل؛ لتحقيق السيطرة البحرية، وهذه الخطوة كافية للقضاء على التجارة العربية[1].

ويرى الثاني أن إقامة الحصون والقلاع في المراكز الاستراتيجية ضرورية؛ لتكون بمثابة قواعد عسكرية بحرية تحمي السواحل، والمراكز التجارية، وتُخضِع الحكام وتُجبِرهم على الاعتراف بسلطة البرتغاليين.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّ الملك عما نويل يميل إلى رأي البوكيرك، ولذا حثَّ على سرعة اختيار أحسن الأساليب السياسية و العسكرية في تنفيذ المخطط البرتغالي، والذي

(١) ك. م. بانيكار: آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبد العزيز توفيق، ص:٤٣-٤٤، جمال زكريا قاسم: المرجع السابق ، المجلد الأول، ص: ٤٨-٤٩، ٦٤.

يقضي بإنشاء إمبراطورية ضخمة في الشرق[١]، كما حثَّ على سرعة إرسال الأسطول البرتغالي مباشرة للسيطرة على سقطرة، ثم يواصل الأسطول رحلته إلى الهند، وتتأخر بعض القطع البحرية لتنفذ المهمة في المرحلة الثانية، والمتمثلة في السيطرة على المداخل الرئيسة للبحار العربية، وإغلاقها في وجه التجارة العربية[٢].

ويأتي اهتمام البرتغاليين بجزيرة سقطرة بسبب موقعها مابين الخليج العربي و البحر الأحمر، فمن خلال موقعها المواجه لساحل بحر العرب، والقريب من الموانئ المنتشرة على الساحل العربي، يسهل التحكم في مدخل البحر الأحمر الجنوبي[٣]، وهذا يساعد على تحقيق الأهداف الإستعمارية.

ولهذا بدأ البرتغاليون هجومهم على الجزيرة في شهر أبريل سنة٩١٢هـ/ ١٥٠٧م؛ حيث قصفتها المدفعية، وكان البرتغاليون يتوقعون أن يتم الترحيب بهم من سكان الجزيرة؛ لأن من بينهم مسيحيين، لكنهم فوجئوا بمقاومة عنيفة تزعمها زعماء قبائل المهرة الحاج إبراهيم بن عفرير المهري والمقدَّم عامر بن طوعري بن عفرير المهري، ولم تنفع محاولات الترغيب والترهيب البرتغالية في إسكات المقاومة[٤].

(١) سونيا. ي. هاو: في طلب التوابل، ترجمة محمد عزيز رفعت، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ١٩٥٧م، ص: ٢١٥.

(٢) السير أرنولدت ويلسون: الخليج العربي، مجمل تاريخي من أقدم الأزمنة حتى أوائل القرن العشرين، ترجمة: عبد القادر يوسف، الكويت، مكتبة الأمل، ١٩٧٩م، ص: ٢٠٤-٢٠٥.

(٣) د .صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي، ص : ١٥.

(٤) د. محمد علي البار: سقطرى الجزيرة السحرية، بيروت، صنعاء، مكتبة العصر الحديث، مكتبة المركز العربي، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص: ٧٢-٧٥.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

وقبل دخول البرتغاليين إلى سواحل الجزيرة دارت معركة أظهر فيها الغزاة تفوقهم الحربي بما لديهم من إمكانات، مقارنة بما يمتلكه أهالي سقطرة من أسلحة تقليدية، واستشهد قادة المقاومة وإلى جانبهم مائتان وسبعة عشر رجلاً من رجال المهرة، وبعد أن أحكم الغزاة قبضتهم على جزيرة سقطرة قاموا ببناء قلعة للحامية البرتغالية المرابطة في الجزيرة، وفرضوا على السكان تزويدها ببعض المؤن اللازمة(١).

وبعد إكمال هذه المهمة واصل الأسطول البرتغالي سيره نحو الهند، بينما بقي البوكيرك على رأس ست سفن لمهاجمة السفن العربية عند ساحل حضرموت في عرض بحر العرب والمدخل الجنوبي للبحر الأحمر، وقرر البوكيرك الاتجاه نحو ساحل عُمان(٢).

وكانت الحالة السياسية في عُمان عند مجيء البرتغاليين تتميز بالتجزئة السياسية؛ حيث يتقاسم حكمها عدد من الملوك والأئمة، وأبرز هؤلاء الحكام محمد بن إسماعيل الإسماعيلي (٩٠٦-٩٤٢هـ) (١٥٠٠-١٥٣٥م)، وعاصمته صحار(٣).

وعند وصول الأسطول البرتغالي إلى ساحل عُمان قام بمهاجمة المدن العُمانية، واحتلها الواحدة تلو الأخرى، وهي مسقط، وصحار، وصور، وقلهات، والقريات، وارتكب البوكيرك بعض الأعمال العدوانية الوحشية، فقد ارتكب عدداً من المجازر البشعة ضد أهالي عُمان، وجدع الأنوف وقطع الآذان لعدد من السكان العمانيين،

(١) محمد عبد القادر بامطرف : الشهداء السبعة، ص : ٥٩.

(٢) د. السيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول لليمن، ١٥٣٨-١٦٣٥م، ص:٦٥.

(٣) د. فالح حنظل: العرب والبرتغال في التاريخ، ص: ١٦٠.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وأحرق مراكب صيد الأسماك والسفن العُمانية الراسية في عدد من الموانئ العُمانية، وأنشأ عدداً من الحصون في المدن العُمانية لتوطيد النفوذ البرتغالي[١].

وقد عجزت المقاومة العُمانية عن المواجهة نظراً للتفوق الحربي المتقدم، الذي يتميز به البرتغاليون؛ حيث يمتلكون المدافع الكبيرة والأسلحة النارية، التي لم تكن معروفة في عُمان والبلدان العربية الأخرى[٢].

واصل البوكيرك تنفيذ خطة البرتغاليين التي تهدف إلى السيطرة على المنافذ البحرية المهمة والمراكز التجارية المهمة، فاتجه الأسطول البرتغالي نحو جزيرة هرمز، التي تخضع لحكم آل قيصر من عُمان، وبحكم موقع هذه الجزيرة الاستراتيجي الهام فقد اكتسبت أهمية كبيرة، وتصاعدت فيها حركة النشاط التجاري مع السواحل العربية والأفريقية والهندية والصينية، مما أكسبها نفوذاً سياسياً واسعاً، امتد إلى ساحل عمان والبحرين والقطيف والبصرة[٣].

وقرر البوكيرك الاتجاه نحو مضيق هرمز، وتمكن من الاستيلاء عليه، وعلى بعض الجزر في سواحل الخليج العربي سنة١٥٠٧م[٤]، وقبل أن يتمكن البوكيرك من دخول هرمز واجهته مشكلتان رئيستان؛ أولهما: المقاومة الوطنية العنيفة، الثانية: تمرد الجنود

(١) محمد صابر وآخرون: قيام دولة اليعاربة وجهود ناصر بن مرشد في توحيد البلاد، مجموعة بحوث مقدمة إلى كتاب عُمان في التاريخ، لندن، وزارة الإعلام، سلطنة عُمان، دار أمبيل للنشر، ١٩٩٥م، ص:٣٧٢-٣٧٣.

(٢) د. محمد صابر وآخرون: المرجع السابق، ص: ٣٧١-٣٨٢.

(٣) د. فالح حنظل: العرب والبرتغال في التاريخ، ص: ١٦١-١٦٢.

(٤) السير أرنولدت ويلسون : الخليج العربي، مجمل تاريخي من أقدم الأزمنة حتى أوائل القرن العشرين، ترجمة عبد القادر يوسف، ص : ٢٠٥، ٢١٢.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

البرتغاليين، ومعارضتهم لسياسته التوسعية، لكنه تغلب على ذلك[١]، وعندما فرض البوكيرك سيطرته على مضيق هرمز، ألزم حكامها بتوقيع اتفاق تضمن الشروط الآتية:

١- دفع غرامة مالية.

٢- دفع إتاوة سنوية كبيرة.

٣- إعلان التبعية للبرتغال.

٤- فَرْضُ حظرٍ على السفن العربية التجارية من مزاولة نشاطها إلا بإذن.

٥- إعفاء البضائع البرتغالية من الرسوم[٢].

ولا شك في أن احتلال جزيرة هرمز وساحل عُمان يعد تهديداً لسواحل الخليج العربي بشكل عام.

ومما يلفت النظر حقاً موقف الدولة الصفوية الشيعية السلبي من الخطر البرتغالي تجاه الخليج العربي، وهي دولة مجاورة، وتبسط نفوذها على إيران وأجزاء من العراق، وتعد إحدى الدول الكبيرة القوية في مطلع القرن العاشر الهجري القرن السادس عشر الميلادي، وليس من الصعب أن نجد تفسيراً معقولاً لهذا الموقف السلبي، فالدولة الصفوية تطمح في الحصول على حليف قوي يساندها في حربها ضد الدولة العثمانية، ويهيئ لها السبيل في إزالة العوائق التي تحول بينها وبين تحقيق أطماعها التوسعية في العراق[٣]، وقد

(١) نفس المرجع، ص : ٢١٠ – ٢١٢.

(٢) د. بدر الدين عباس الخصوصي : دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ص: ١٥ – ١٧.

(٣) محمد حميد السلمان: الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج، أبو ظبي، مركز زايد للتراث والتاريخ، ط١٤٢٠،١هـ/ ٢٠٠٠م، ص:٨٢-٨٣.

تحدثت المراجع التأريخية حول اتصالات مكثفة وعلاقات قوية بين الشاه إسماعيل الصفوي والبوكيرك، تم فيها تبادل السفراء، وتبادل الرسائل التي تتضمن الاتفاق على تشكيل حلف صفوي برتغالي ضد الدولة العثمانية، وتظهر رغبة البوكيرك في قيام الدولة الصفوية بدور فاعل في تنفيذ الاستراتيجية البرتغالية تجاه السواحل العربية والإسلامية(١).

وبحكم تطابق وجهتي النظر بين الملك البرتغالي عمانويل والبوكيرك وعدم رغبة الملك والحكومة البرتغالية في بقاء أي موظف في هذا المنصب فترة طويلة لذلك رُقِّي القائد البرتغالي دا البوكيرك إلى منصب نائب الملك البرتغالي في الهند سنة ٩١٥هـ/ ١٥٠٩م في كوشن خلفاً للفونسو دالميدا(٢)، وبذلك تبدأ المرحلة الثانية من عهده. وأهم الخطوات التي قام بها البوكيرك خلال هذه الفترة تتمثل في السيطرة على أهم المراكز التجارية المهمة؛ فقد سيطر على عدد من الموانئ في الهند خلال عامين (٩١٦-٩١٧هـ) (١٥١٠-١٥١١م)، منها: جوا، وديو، وملقا(٣)، واتخذ من جوا على ساحل مليبار مقراً له بحكم موقعها المتوسط على ساحل الهند والقريبة من السواحل العربية(٤).

(١) د. فالح حنظل: العرب والبرتغال في التاريخ، ص: ١٦١ ، ١٩١.

(٢) سونيا . ي . هاو: في طلب التوابل، ترجمة محمد عزيز رفعت، ص: ٢١٥. د .صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي، ص : ١٦.

(٣) د. السيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول لليمن ١٥٣٨-١٦٣٥م، ص: ٦٦، ٦٧.

(٤) السير أرنولدت. ويلسون: الخليج العربي، ترجمة عبد القادر يوسف، ص: ٢١١.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وخلال هذه المرحلة ضعفت الجبهة الإسلامية في الولايات الهندية أمام التغلغل البرتغالي، فقد وافقت كجرات على إنشاء محطة تجارية وبناء حصن في ديو، وعقد سلطان كاليكوت صلحاً مع البرتغاليين، ووافق على بناء حصن للبرتغاليين[١].

واتجه البوكيرك إلى الساحل الأفريقي وتمكن من الاستيلاء على المراكز التجارية المهمة في ساحل إفريقيا الشرقي سنة (٩١٥هـ) (١٥٠٩م)، من سوفالا جنوباً إلى براوة شمالاً، كما استولى على زنجبار وموزبيق وبمبا ومافيا.

وتمت اتصالات مباشرة بين إمبراطورة الحبشة هيلينا والبوكيرك؛ حيث بعثت إليه مبعوثاً سنة (٩١٥هـ) (١٥٠٩م) يسمى ماتيوس، وكان يحمل فكرة إعلان الحرب على المسلمين وخاصة دولة المماليك في مصر، ويدعو للتعاون بين البرتغال والحبشة من أجل تحقيق هذا الهدف، ورحب البوكيرك بطلب الحبشة، وأرسل مبعوثاً برتغالياً إلى الحبشة في فترة لاحقة (٩٢٧هـ) (١٥٢٠م)[٢].

وعكف البوكيرك على تنفيذ الخطط الاستعمارية البرتغالية، التي تهدف إلى مهاجمة السواحل العربية، وخاصة المداخل الرئيسة في الخليج العربي والبحر الأحمر، وكشف محاولاته للسيطرة على عدن في عام ٩١٩هـ/ ١٥١٣م، وتابع خلفاؤه الخطة نفسها من سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، ٩٢٩هـ/ ١٥٢٣م، وجميع هذه المحاولات باءت بالفشل[٣]؛

(١) د. السيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول لليمن ١٥٣٨-١٦٣٥م، ص:٦٧-٦٨.

(٢)نفس المرجع، ص: ٦٨-٦٩.

(٣) السير آرنولدت. وبلسون: الخليج العربي ، محمل تاريخي ، ترجمة عبد القادر يوسف ، ص: ٢١٢-٢١٨، محمد عبد اللطيف البحراوي : فتح العثمانيين عدن وانتقال التوازن الدولي من البر إلى البحر، ص:٧٧-٨١.

بسبب مقاومة أهالي عدن بزعامة الأمير مرجان الطاهري، والمساندة الرسمية والشعبية التي قدمتها حضرموت[١].

ومنذ وصول البوكيرك كثف البرتغاليون هجماتهم على سواحل الجزيرة العربية وموانئها، ومنها ميناء جدة، لكن محاولاتهم باءت بالفشل، ولم يستطيعوا الاستيلاء عليه، فعمدوا إلى زيادة أعمال القرصنة في البحار[٢].

وقد هدفت محاولاتهم تلك إلى السيطرة على البحر الأحمر، ومهاجمة الأماكن المقدسة، ونبش قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والوصول إلى بيت المقدس، وقطع التواصل والمساندة بين مسلمي الهند والمنطقة العربية، واستعانوا على ذلك بدولة الحبشة المسيحية منذ ٩١٥هـ/ ١٥٠٩م[٣].

وتحمل البوكيرك جزءاً كبيراً من تنفيذ هذه السياسة، غير أنه تُوُفِّي قبل إكمال مشروعاته المتمثلة في بناء إمبراطورية في الشرق، وكانت وفاته بالقرب من ساحل جوا سنة٩٢١هـ/ ١٥١٥م، ثم عيَّن الملك البرتغالي عمانويل القبطان لوبوسوريز في منصب نائب الملك بالهند.

وتبنى لوبوسوريز سياسة جديدة عقب توليه منصبه مباشرة، فقد سمح للسفن الهندية الأهلية أن تمارس نشاطها بحُرِيَّةٍ تامة، شريطة مساعدتها للسفن الحربية البرتغالية في مطاردة المراكب التجارية العربية والإسلامية، وقام بتعيين موظفين برتغاليين للجمارك

(١) محمد عبد القادر بامطرف : الشهداء السبعة، ص : ٦٢ – ٧٢.

(٢) نفس المرجع، ص : ٧٠-٧٢.

(٣) السير أرنولدت. ويلسون: الخليج العربي، ترجمة عبد القادر يوسف ، ص: ٢١٢-٢١٤.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

في ساحل الخليج العربي، بهدف الهيمنة على شؤون التجارة، وفي عهده أصبح الكثير من القباطنة البرتغاليين تجاراً، وظهرت نتائج هذه السياسة مباشرة بزيادة أعمال القرصنة البحرية البرتغالية(١).

وتجدر الإشارة إلى أنَّ الملك عما نويل أصدر أوامره إلى دي البوكيرك قبل وفاته بتدمير الأسطول المصري المتواجد في البحر الأحمر(٢)، وبوفاة البوكيرك تركت تلك المهمة ومهام أخرى منها مهاجمة جدة، وتوطيد العلاقة مع ملك الحبشة على القبطان لوبو سوريز الذي قاد حملته من جوا في سنة ٩٢٣هـ / فبراير سنة ١٥١٧م، وتألفت من أربعين سفينة حربية ومن ألفين من الرجال المسلحين، وعندما وصلت الحملة إلى عدن طلب قائدها لوبرسوريز من الأمير مرجان الطاهري أن يمده ببعض المؤن وبعض المرشدين البحريين، فأجابه إلى طلبه اتقاءً لشره(٣).

وكان هَمُّ لوبوسوريز احتلال جدة، وتحطيم الأسطول المصري، لكنه عجز عن تحقيق أهدافه، وبعد عودة الأسطول البرتغالي إلى جزيرة كمران هاجم ميناء زبلع، وعاد إلى عدن معتقداً أن أمر دخولها سَهْلٌ، فوجد الظروف قد تغيرت تماماً، فقد تم تحصين عدن، وأغلقت أبوابها، ورفض أمير عدن الأمير مرجان التحدث إلى لوبو سوريز(٤).

(١) نفس المرجع، ص : ٢١٥ – ٢١٧.

(٢) د. فالح حنظل: العرب والبرتغال في التاريخ ٧١١ – ١٧٢٠م ، ص: ٢٦٣.

(٣) د. السيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول لليمن، ١٥٣٨-١٦٣٥م، ص: ١٠٣-١٠٤.

(٤) د. محمد عبداللطيف البحراوي: فتح العثمانيين عدن وانتقال التوازن الدولي من البر إلى البحر، ص:٧٨ – ٨١، السير أرنولدت. ديلسون: الخليج العربي، ترجمة عبد القادر يوسف، ص: ٢١٦-٢١٧.

ولهذا رأى الملك البرتغالي أن سبب فشل السياسة البرتغالية في البحر الأحمر تعود إلى القائد لوبو سوريز، الذي لم يستغل الظروف الصعبة التي تمر بها عدن، والتي تمكنه من الاستيلاء عليها[١].

وبعد ذلك أرسلت حملة أخرى بقيادة دا سكويرا في سنة ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م للأهداف نفسها، وفي هذه الأثناء سنة ٩٢٨هـ/ ١٥٢١م توفي الملك البرتغالي عما نويل، وتولى بعده ابنه يوحنا الثالث، وبعد فشل دا سكويرا في مهمته عيَّن في سنة ٩٢٩هـ/ ١٢ يناير سنة ١٥٢٢م دورات دي متريس نائباً للملك بالهند[٢].

في هذه الفترة أصبح الصراع العثماني البرتغالي على أَشُدِّه؛ فقد عملت الدولة العثمانية على السيطرة على ممتلكات دولة المماليك في مصر منذ سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، وفي الوقت نفسه شددت البرتغال هجماتها على البحر الأحمر للاستيلاء على بعض المراكز الاستراتيجية، قبل وصول الدولة العثمانية إليها. ومن أبرز هجماتهم محاولاتهم المتكررة للسيطرة على عدن غير أنهم ارتدوا عنها خائبين[٣].

(١) محمد عبد القادر بامطرف: الشهداء السبعة، ص: ٨٣-٨٤.

(٢) د. فالح حنظل: العرب والبرتغال في التاريخ، ٧١١-١٧٢٠م، ، ص٣١٥-٣١٧.

(٣) د. سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول لليمن ١٥٣٨-١٦٣٥م، ص: ٩٧، د. محمد عبد اللطيف البحرواي، المرجع السابق، ص: ٧٩-٨١.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

في ظل هذه الظروف التي تزايد فيها الخطر البرتغالي على السواحل العربية تسلَّم السلطان بدر بوطويرق الحكم في السلطنة الكثيرية سنة ٩٢٦هـ/ ١٥١٩م، وكانت الشحر عاصمة الدولة الكثيرية إحدى الموانئ المهمة التي يسعى البرتغاليون إلى الوصول إليها نظراً لما تتمتع به من مكانة تجارية وموقع استراتيجي تطمح له نفس العدوّ، بالإضافة إلى ذلك فقد اعتقد البرتغاليون أن ثمة علاقة بين حاكم عدن وحاكم حضرموت، ويبدو أنهم توصلوا إلى معلومات عن النجدة والقوة الحضرمية التي أرسلها السلطان محمد بن عبد الله الكثيري إلى عدن في سنة ٩٢٢هـ/ الثامن عشر من شهر أبريل سنة ١٥١٦م، وكانت هذه الحملة مؤلفة من إحدى وثلاثين سفينة، على ظهرها ألف مقاتل من رجال حضرموت، بناء على طلب الأمير مرجان، لذلك رأى البرتغاليون أنه لابد من الانتقام من أهالي حضرموت، وتوجيه ضربة إلى ميناء الشحر، والموانئ الأخرى لإضعافها اقتصادياً[1]، ويرى بعض المؤرخين أن البرتغاليين كانوا يبيتون النيّة لمهاجمة الشحر، سواء أساندت عدن أم لم تساندها؛ لأن الهجوم على الشحر جزء من مخطط البرتغاليين[2]،

عيَّن الملك البرتغالي يوحنا الثالث دورات دي متريس نائباً له بالهند، وقد وصلها في سنة ٩٢٨هـ/ يناير من عام ١٥٢٢م، فبادر بتكليف أخيه لويزدي متريس بتجهيز حملة

(١) محمد عبد القادر بامطرف : الشهداء السبعة، ص : ٧٥ – ٧٦.

(٢) عبدالرحمن عبدالكريم الملاحي: الدلالات النضالية للمقاومة الشعبية ضد الغزو البرتغالي على مدينة الشحر، عدن، ندوة الشهداء السبعة، مجلة سبأ، العدد الرابع، كلية التربية، جامعة عدن، اكتوبر ١٩٨٨م، ص: ١٢٨.

عسكرية إلى البحار العربية، لإخضاع المناطق التي ثارت ضد البرتغاليين في الخليج العربي، إضافة إلى مهمته الرئيسة في إكمال تنفيذ مخططات البرتغال الاستعمارية[١].

وقد تحركت سفن الأسطول البرتغالي إلى ميناء الشحر، و رست في الميناء يوم الخميس التاسع من ربيع الآخر سنة ٩٢٩هـ / التاسع و العشرين في فبراير ١٥٢٣م / وتتكون من ٩سفن تحمل ٧٠٠ مقاتل برتغالي وهندي، وفور وصولهم إلى الميناء أرسل قائد الأسطول رسالة مع ثلاثة من البحارة البرتغاليين، تسلمها الأمير مطران بن منصور أمير الشحر[٢]، حيث كان السلطان بدر في وادي حضرموت مشغولاً بمعالجة الأوضاع الداخلية هناك[٣].

وبعد أن عرف الأمير مطران مضمون الرسالة، وقد تمثل في المطالبة بأموال التاجر البرتغالي ألفونسو دي فيجا، الذي تُوُفِّي في مدينة الشحر قبل خمسة أشهر، وقام السلطان بدر بالاستيلاء على أمواله ـ حسب زعم البرتغاليين ـ، وكان رد أمير مدينة الشحر على البرتغاليين مكتوبًا في رسالة بعث بها إلى قائد الأسطول البرتغالي تتضمن نقطتين :

أولهما : أنه ليس له علم بما يدعيه البرتغاليون .

ثانيها: وعد البرتغاليين ببحث الموضوع بجدية مع السلطان عند عودته المنتظرة قريباً.

وفي الوقت نفسه بعث مع البحارة البرتغاليين هدية لقائد الأسطول بعض المأكولات مثل الفاكهة وجوز الهند والحلوى، محاولة منه لتهدئة الموقف، خاصة أن الأمير مطران

(١) د . فالح حنظل : العرب والبرتغال في التاريخ ٧١١ – ١٧٢٠م، ص: ٣١٥.

(٢) محمد عبد القادر بامطرف: الشهداء السبعة، ص: ٨٧-٨٩.

(٣) محمد بن عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ١٥٧-١٥٨.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

قد جاءته الأخبار بما فعل الأسطول البرتغالي من العبث والأضرار البالغة في ميناء الحامي ومزارعها، وهي أفعال تنذر بما يضمره البرتغاليون لمدينة الشحر من شر[١].

كل هذه الحقائق تكشف بجلاء أن البرتغاليين قد بيتوا النية بالفعل للهجوم على الشحر، وأن موضوع التاجر البرتغالي الذي اختلقوه لم يكن إلا ذريعة لذلك، ولهذا قرر عرض الأمر على أعيان المدينة، لدراسته والاتفاق على التدابير والاستعدادات اللازمة لمواجهة الاحتمالات الخطيرة المنتظرة، فدعاهم الأمير مطران ونقل إليهم مطالبة البرتغاليين وشكوى أهل الحامي مما تعرضوا له من قبل البرتغاليين، وكان أهم ما اتفق عليه الجميع هو ترحيل النساء والأطفال إلى القرى المجاورة منها تبالة، ونقل الأموال الثمينة والتي يسهل نقلها، وأبدى الحاضرون استعدادهم مع كل أبناء مدينة الشحر للاستجابة لنداء الجهاد في أية لحظه لمواجهة الغزاة[٢].

ومتابعةً لأحداث الموقف، أُعيدت الهدية إلى الأمير مطران مع رسالة الإنذار الأخيرة التي أعطت مهلة إلى وقت غروب الشمس، لتنفيذ المطالب البرتغالية، ولا شك في أن هذا التصرف من قبل البرتغاليين يفضح نواياهم، ويشهد بعدم جدية مطالبهم، وأن قرارهم قد حسم، وأن أمرهم قد بُيّت بليل: ((لقد قرر لويزدي متريس أن يهاجم الشحر متظاهراً بعذر واهٍ، وهو أن الشحر (مدينة خاضعة لملك عدن)، وفي ذلك خلط واضح ومتعمد بين معنى المساندة ومعنى التبعية والخضوع))[٣].

(١) محمد عبد القادر بامطرف: المرجع السابق، ص: ٨٥، ٨٩.

(٢ نفس المرجع، ص : ٨٨.

(٣) محمد عبد القادر بامطرف: الشهداء السبعة، ص:٨٨

ولقد كان هذا التصرف البرتغالي رسالة واضحة تُنَبِّه الأمير مطران، وتُعطِيه اليقين بالهجوم الوشيك، فدعا إلى اجتماع مرة أخرى بأعيان المدينة، وفي هذه المرة وُزِّعت المهام على الأعيان والفقهاء بالمدينة، لقيادة المقاومة في المدينة، وتسليحها وتجهيزها بالإمكانات البسيطة المتاحة(١).

ولا يغيب عن بالنا أن الدولة الكثيرية كانت يومئذ في طور التكوين، ولم يمض سوى عامين على استلام السلطان بدر بوطويرق مقاليد السلطة، كما أن القوة العسكرية البحرية والبرية لازالت متواضعة، لذلك نلاحظ أن الاستعداد اعتمد بدرجة رئيسة على أهالي المدينة مع العساكر الموجودين لحفظ الأمن بالمدينة(٢).

إضافة إلى ذلك قرر المجتمعون إرسال رسائل مستعجلة، أولها إلى السلطان بدر وإحاطته بالمستجدات التي حدثت، وإعطاؤه تقريراً متكاملاً بما تم اتخاذه، ورسائل أخرى إلى أمراء المناطق، وخاصة أمير منطقة المشقاص الأمير عطيف بن علي بن دحدح، وحثه على الإسراع بإحضار قوة لتساعد في الدفاع عن المدينة(٣).

كما قرروا إرسال وفد للتفاوض مع قائد الأسطول البرتغالي لعله يتمكن من تأخير الهجوم ريثما تستكمل استعدادات المواجهة دفاعاً عن المدينة.

وشاع خبر الهجوم البرتغالي على المدينة فاضطربت أوضاع المدينة، وظل قادة المقاومة في حال اتصال واجتماع دائم بالأمير مطران لمتابعة تطورات الموقف(٤).

(١) نفس المرجع، ص : ٩٠ -٩١.

(٢) محمد بن هاشم : تاريخ الدولة الكثيرية، ص : ٣٥، ٤١.

(٣) محمد عبد القادر بامطرف : المرجع السابق، ص : ٩١.

(٤) R. B . Serjeant: the Portuguese off the south arbian Coast,P. 53

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

ومع فجر يوم الجمعة العاشر من شهر ربيع الآخر سنة ٩٢٩ هـ فبراير ١٥٢٣م بدأ الإنزال البرتغالي على ساحل الشحر، وقُدِّر عدد المسلحين بالبنادق النارية حوالي أربعمائة مقاتل، واصطحبوا بعض السلالم والمعدات الأخرى، وكميات من البارود، ومواد أخرى تساعد على الاشتعال، واقتحموا المدينة، وأشعلوا فيها الحرائق، وسلبوا ونهبوا كل ما وقع في أيديهم، وذبحوا وقتلوا كل من قابلهم(١).

وأبدى الأهالي مقاومة عنيفة بأسلحتهم التقليدية البسيطة، التي تمثلت في السيوف والرماح والفؤوس والعصي والخناجر والأحجار، ودارت معارك متفرقة في حارات المدينة، واستبسل أهل الشحر وعلت روح الفداء والتضحية وجهاد الغاصبين والمعتدين.

والحقيقة أنه لا سبيل إلى المقارنة بين القوتين بالنظر إلى واقع المقاومة، وإمكاناتها المتواضعة، واستعداداتها العاجلة، إضافة إلى غياب التحصينات عن المدينة، مقارنة بما كان عليه العدو من التفوق العسكري في مختلف الجوانب، ولذا فإننا لا نوافق المؤرخ بافقيه عندما أبدى عدم رضاه عن المستوى الذي كانت عليه المقاومة، لأنها لم تستطع أن تمنع العدو من تدنيس أرض الشحر الطاهرة، ولم تستطع أن توقف أعمال السلب والنهب والقتل وإشعال الحرائق التي قام بها البرتغاليون، ((ولم يثبت له أحد من الناس)) حسب قوله(٢).

(١) محمد عبد القادر بامطرف : الشهداء السبعة، ص ٩٤ – ٩٥.

(٢) محمد عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، ص: ١٥٧–١٥٨.

ويكفي دليلاً على ثبات رجال المقاومة، وصمودهم، وفاعليتهم أنهم كبدوا البرتغاليين خسائر كبيرة، وأجبروهم على الانسحاب، بعد ثلاثة أيام من المعارك الطاحنة، مخلفين وراءهم جثث القتلى والجرحى البرتغاليين(١).

ومن الطبيعي أيضاً أن يكون الثمن الذي دفعته الشحر غالياً من الأرواح والممتلكات والمساجد وحصون المدينة والمساكن والمحلات التجارية، فقد قدمت الشحر -كما ذكر بامطرف- قرابة سبعمائة شهيد من خيرة رجالها، وفي مقدمتهم أميرها مطران بن منصور، والفقيه يعقوب الحريضي، والشيخ حسن العيدروس، والشيخ فضل بن رضوان بافضل، والشيخ سالم بن صالح باعوين المهري، وأحمد بن رضوان بافضل(٢).

كما استشهد الفقيه العلامة أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بلحاج با فضل أحد قادة المقاومة، ولد بتريم يوم الجمعة تاريخ ١٥ شوال ٨٧٧هـ/ ١٤٧٤م، تتلمذ على كبار العلماء والمشائخ، وعمل بالتدريس في جامع الشحر(٣)، وأنشأ مدرسة خاصة به، تولى التدريس فيها، ولعب دوراً بارزاً في النهوض بالمقاومة ضد الغزاة البرتغاليين، فقد وقف خطيباً أمام الناس يحثُّهم على القتال، وكتب كتاباً مستعجلاً إلى أهل تريم يستنجدهم ويدعوهم للجهاد ضد الغزاة البرتغاليين، وكان لكتابه أثر في نفوس أهل تريم، فوصل إلى الشحر حوالي خمسة آلاف مجاهد بعد مضي خمسة أيام(٤).

(١) عبدالرحمن الملاحي: الدلالات النضالية للمقاومة الشعبية ضد الغزو البرتغالي على مدينة الشحر، ص:١٢٩-١٣٠.

(٢) محمد عبد القادر بامطرف: الشهداء السبعة، ص: ٩٥-١٠٢.

(٣) محمد عمر با فقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق: عبد الله الحبشي، ص: ١٥٨.

(٤) سعيد عوض با وزير: الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، ص: ١٤٧.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

وتجدر الإشارة إلى أن الأمير عطيف بن علي بادحدح قد لعب دوراً كبيراً في حسم المعركة، حين أسرع مع القوة العسكرية البحرية من المشقاص لنجدة الشحر، مما حال دون ضرب البرتغاليين للمدينة بالمدفعية، وأجبرهم على مغادرة سواحل حضرموت، متجهين إلى دهلك في الساحل الغربي للبحر الأحمر، كما لعب دوراً أمنياً كبيراً، وذلك بقضائه على حالة الفوضى التي عمَّتْ أرجاء الشحر بعد غياب السلطة بمقتل الأمير مطران، وعدد من عساكر السلطان، وقد أصدر السلطان بدر أمراً بتثبيت الأمير عطيف أميراً على الشحر[1].

وقد اتهم الأستاذ بامطرف السلطان بدرًا بالتخاذل في مواجهة الغزو البرتغالي، مستدلاً على ذلك بغيابه عن الشحر خلال أحداث الغزو، وتقصيره في إنشاء التحصينات الدفاعية اللازمة للمدينة[2].

ويبدو لنا أن سبب غياب السلطان بدر عن الشحر في ظل ظروف الغزو البرتغالي عليها إنما كان لانشغاله بترتيب الأوضاع الداخلية في وادي حضرموت، والتي لا تقل في أهميتها وخطورتها عما تواجهه البلاد من المخاطر الخارجية، ولم تكن لدى السلطان بدر معلومات سابقة بأمر الغزو البرتغالي، كما أن المدينة لا تخلو من رجال الدولة الذين ينوبون عن السلطان، ويؤدون واجبهم في حال غيابه على أحسن ما يرام.

وأما فيما يتعلق بتقصيره في إنشاء تحصينات المدينة فلعل ذلك يعود إلى ضعف إمكانات الدولة، خصوصاً وأن هذه الحملة تزامنت مع بداية تسلمه الحكم في السلطنة الكثيرية.

(١) محمد عمر بافقيه : المرجع السابق، ص : ١٥٧–١٥٨.

(٢) محمد عبد القادر بامطرف: المرجع السابق، ص: ٨٥.

والحقيقة أن باوزير في إشارته لنجدة تريم لم يشر إلى أية اتصالات مع السلطان بدر؛ إذ كان موجوداً في وادي حضرموت، خاصة أن تريم تابعة لدولته، وأميرها عُيِّن من قبل السلطان بدر، لذلك لا نعرف هل كان السلطان على علم بتحرك نجدة تريم أم لا؟ ولم تتعرض المصادر والمراجع الأخرى التي استعنا بها لنجدة تريم، وربما أن هناك معلومات لم تظهر بسبب فقدان بعض المخطوطات.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وحتى تتضح الصورة سنواصل الحديث حول مواقف السلطان بدر المتباينة في مواجهة الغزو البرتغالي؛ حيث تراوحت هذه المواقف بين الشدة و المقاومة الشرسة أحيانًا، والصمت وتَجنُّب المواجهة اتقاءً لشرهم أحياناً، والتفاوض والمصالحة أحيانًا، والتعامل التجاري أحيانًا أخرى، بحسب ما تمليه الظروف والإمكانات، وتقتضيه مصلحة الدولة.

فبعد انسحاب البرتغاليين من الشحر مالوا إلى ممارسة أسلوب القرصنة البحرية ضد المراكب الحضرمية التجارية الراسية في بعض الموانئ، ومنها الشحر، بالإضافة إلى التعرض إلى هذه المراكب في عرض البحر وهي قادمة من الهند أو من شرق إفريقيا أو من الطرق البحرية الأخرى.

ففي شهر شعبان سنة ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م تعرضت ثلاث سفن حضرمية محملة بالبضائع قادمة من شرق إفريقيا للنهب من قبل البرتغاليين، كما تعرضت سفن أخرى لذلك، وتعرضت خمسٌ أخرى قادمة من الهند في ٩٣٢هـ/ ١٥٢٥م للنهب، وأسر ملاحوها، وفي سنة ٩٣٣هـ/ ١٥٢٦م أغرقت بعض المراكب في روكب، وأحرقت أخرى في المكلا، كما كانت بعض السفن قد تعرضت للهجوم و أعمال القرصنة البرتغالية، فقد هاجم جماعة من البرتغاليين ميناء قصيعر شرقي الشحر في سنة ٩٣١هـ/ ١٥٢٤م، وأحرقوا عددًا من السفن ولم يتصدَّ لهم أحد، حيث ظل السلطان ملتزماً الصمت و لا يحرك ساكنا[1]، كما تمكنت جماعة برتغالية في ١٩ رجب سنة ٩٣٦هـ/ ١٥٢٩م من دخول ميناء الشحر،

(١) محمد عبد القادر بامطرف : الشهداء السبعة، ص : ١٠٨.

R . B .Serjeant: the Portuguese off the south arbian Coast, P. 53

وكانت تحتجز مجموعة من الأسرى المسلمين، وطلب هؤلاء البرتغاليون السماح لهم بدخول المدينة، وطلبوا الأمان من السلطان، فأجابهم السلطان لما طلبوا، كما سمح لهم بممارسة التجارة فيها خوفًا منهم واتقاء لشرهم، وقد تكرر مثل هذا الموقف في جمادى الآخرة سنة ٩٣٨هـ/ ١٥٣١م[١]. وتعرض مركب تجاري حضرمي كان قادمًا من عدن للنهب من قبل البرتغاليين سنة ٩٣٧هـ/ ١٥٣٠م ولم يتصدَّ له أحد، ربما نتيجة للشعور بالعجز، وعدم القدرة على المواجهة. وفي الثاني عشر من رمضان سنة ٩٣٨هـ١٥٣١م داهمت ميناء الشحر أربع سفن برتغالية و استولت على بعض السفن الراسية في الميناء، وقد تصدى لهم جماعة من الأتراك بقيادة يوسف التركي، وحدث تبادل لإطلاق النار بين البحرية البرتغالية والبحرية التابعة للسلطان. وفي ظل هذه الظروف جاءت أوامر من أمراء السلطان بوقف محاربة البرتغاليين، لكن بعض الجنود الأتراك استمروا في إطلاق المدفعية، ونتيجة لمخالفتهم أمر السلطان بإلقاء القبض عليهم، ووضعوا في السجن، وتعرض بعضهم للجلد[٢].

ولعل سبب هذا الموقف تخوُّف السلطان من استمرار المعارك في سواحل الشحر، مما يدفع البرتغاليين إلى إرسال المزيد من القوات والتعزيزات، وتعرُّض الشحر للهجوم مرة أُخرى، والسبب الآخر تقرُّب السلطان بدر للبرتغاليين لكسب ودهم، وتوقيع صلح معهم اتقاءً لشرهم. وقد أثبتت الحوادث التي أعقبت ذلك أن البرتغاليين

(١) Idid: pp. 53 –56

(٢) محمد عمر بافقيه : تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:٢٠٧.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

استمروا في سياستهم، وكان موقف سكان حضرموت بجميع فئاتهم هو رفض سياسة المهادنة وإظهار الضعف للبرتغاليين، وهو الموقف ذاته الذي اتخذه الأتراك.

من أجل ذلك تعرض السلطان لموجة عنيفة من النقد، وارتفعت حالة السخط والغضب، خاصة عند شرائه لمركب استولى عليه البرتغاليون وأسروا صاحبه، وهو تاجر من تجار الشحر، ودفع مقابل ذلك ثلاثة آلاف ريال أشرفي، وعند مطالبة أصحاب الحق بمركبهم، طلب منهم سبعة آلاف ريال، فدفعوها مضطرين، وبسبب هذه الانتقادات اضطر لإعادة أربعة آلاف ريال لأصحابها، وكان ذلك سنة ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م[١].

ويبدو أن السلطان بدرًا في تعامله مع البرتغاليين لم يقتصر على أسلوب المهادنة وغض الطرف، وإظهار الضعف، بل قام في كثير من المواقف بالتصدي الحازم لأعمال القرصنة التي تمارسها السفن البرتغالية في سواحل حضرموت، ففي سنة ٩٣٧هـ/ ١٥٣٠م قامت سفينة برتغالية بمهاجمة بعض المراكب الراسية في ميناء الشحر ونهب حمولتها فجهَّز السلطان طراداً بحرياً، وأعطى الأوامر السلطانية لقائده صفر سليمان ومن معه من الأتراك والمهرة، بتعقب هذه السفينة التي لاذت بالفرار عند قدوم الطراد. وقد وصلت شكوى من الحامي تفيد أن مركباً تجارياً تعرض للنهب من قبل السفن البرتغالية، فأرسل على الفور طرادين بحريين تمكنا من إنقاذ المركب، والعودة به إلى ميناء الشحر[٢].

(١) محمد بامطرف: الشهداء السبعة، ص :١١٣- ١١٤.

(٢) محمد عمر بافقيه : تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:٢٠٦.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ومما يلفت النظر أن أعمال القرصنة البحرية بلغت ذروتها عام ٩٣٨هـ/ ١٥٣١م، وتصاعدت في الوقت ذاته المقاومة الشعبية المساندة للجهود الرسمية، التي تصدت لأعمال القرصنة، التي كانت تقوم بها سفن البرتغال في سواحل حضرموت.

وكان عدد من الجنود الأتراك والبحارة المغاربة يشاركون بفاعلية في أعمال المقاومة، ولاسيما أن أعمال القرصنة لم تستهدف مراكب التجارة الحضرمية، بل كانت تستهدف كل ما يصادفها من مراكب المسلمين.

ففي جماد الآخرة من عام ٩٣٨هـ/ ١٥٣١م تعرضت سفينة برتغالية لأحد المراكب العربية وأشعلوا فيه النيران، وأوقعوا فيه أضراراً بالغة، وسقط عدد من القتلى والجرحى واستسلم الباقون، وحاولت سفينة أخرى التعرض لمركب عربي بالقرب من الشحر، فتصدَّى لهم جماعة من المغاربة والأتراك، وتمكنوا من إنقاذ المركب(١).

وفي شعبان من العام ذاته تعرضت بعض مراكب الأتراك لهجوم من سبع سفن برتغالية، وطاردتها حتى دخلت ميناء الشحر، وبوصول نجدة من جند الأتراك، وبعض الملاحين المغاربة، أُجبر البرتغاليون على الفرار(٢).

وقد لوحظ ازدياد النشاط التجسسي البرتغالي، مع تصاعد حدة المنافسة والصراع بين البرتغاليين والدولة العثمانية للسيطرة على المنطقة؛ حيث كان البرتغاليون يقومون بالتجسس، وجمع المعلومات عن الشحر، وتحرك الأتراك في المنطقة، وغير ذلك من المعلومات .

(١) R . B. Serjeant: the Portuguese off the south arbian Coast,P. 61 - 64.

(٢) محمد عمر بافقيه : المرجع السابق، ص: ١٩٣-١٩٥، محمد عبد القادر بامطرف: الشهداء السبعة، ص:١١١.

للنسخة الورقية زز WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وصلت إلى الشحر سفينة برتغالية في شعبان من عام ٩٣٧هـ/ ١٥٣٠م بهدف الحصول على معلومات عن الأسرى البرتغاليين، الذين وزّعوا على مناطق عدة في حضرموت.

وبعد ذلك بعامين رست في ميناء الشحر سفينة برتغالية في رمضان سنة ٩٣٩هـ/ ١٥٣٢م، وطلبت التزود بالماء، وسعت للحصول على معلومات عن مدينة الشحر، وتحصيناتها، ودفاعاتها[١].

وصل إلى ميناء الشحر سفينتان برتغاليتان بهدف جمع المعلومات عن تجهيز الحملة العثمانية المتجهة إلى الهند في شوال عام ٩٤٤هـ/ ١٥٣٧م[٢].

ومن الأساليب التي اتبعت لمعالجة الآثار المترتبة على القرصنة ، أسلوب التفاوض سواء كان ذلك من قبل السلطان، أومن قبل أصحاب المراكب، وهو أسلوب قد ينجح أحياناً في إطلاق الأسرى، ورد الأموال المنهوبة، والبضائع المحتجزة، لقاء فدية تدفع للبرتغاليين، وقد يفشل في أحيان أخرى.

احتجز البرتغاليون بعض المراكب القادمة من الهند في عام ٩٤٠هـ/ ١٥٣٣م، وتمكن أصحابها عن طريق التفاوض من استرداد أحد المراكب، وإطلاق البحارة والركاب، وتسليم البضائع العائدة لتاجر حضرمي يدعى ابن منقوش، بينما فشلت المفاوضات مع مختطفين آخرين استولوا على سفينة لتاجر آخر[٣].

(١) محمد بن عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:١٩٨–١٩٩.

(٢) سالم محمد بن حميد : تاريخ حضرموت (العدة المفيدة)، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ١٨٤–١٨٥.

(٣) محمد بن عمر بافقيه : المرجع السابق، ص : ٢١٤ – ٢١٥، ٢٢٠– ٢٢١.

وأما المفاوضات بين السلطان بدر والبرتغاليين فقد كانت البداية من قِبَلِهِمْ حيث استغل بعضُ البرتغاليين وجودهم في ميناء الشحر سنة ٩٣٩هـ/ ١٥٣٢م، وعرضوا على السلطان بدر اقتراحاً مكتوباً بشأن بدء المفاوضات، وجاء في الاقتراح البرتغالي بأن يرسل السلطان من جانبه رسولاً و هدية إلى النائب العام البرتغالي بالهند، ويطلب توقيع صلح معه [١].

ويبدو أن هذا الاقتراح البرتغالي يأتي في سياق الصراع والتنافس بين البرتغاليين والعثمانيين؛ حيث يمكن فهمه على أنه محاولة من جانب البرتغاليين لإقامة علاقة مع السلطان بدر، تهدف إلى زعزعة العلاقة التي يسعى السلطان بدر إلى تطويرها وتثبيتها مع العثمانيين، كما تهدف إلى فرض اتفاق ظالم على الدولة الكثيرية، على نمط الاتفاق الذي فرضه البوكيرك على حاكم مضيق هرمز سنة ١٥٠٧م.

أما من جانب السلطان بدر، فلم يتعجل في الاستجابة لهذا الاقتراح البرتغالي، ويمكن أن يُفَسَّر هذا الموقف بحرصه على علاقته بالعثمانيين، وخشيته من الوقوع في فخ العلاقة مع البرتغاليين، والتي يوحي مضمون الاقتراح البرتغالي، وطبيعته الاستعلائية بأنها ستكون شبيهة بعلاقة الذئب بالغنم.

ويمكن أن يكون هذا تفسيراً لتأخر الاتصال والتفاوض المباشر مع البرتغاليين، الذي بدأ بعد عرض المقترح البرتغالي بثلاث سنوات، عندما وصل إلى الشحر بعض البرتغاليين مع قبطانهم. في شهر ربيع الأول ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م، وقد اجتمعوا مع

(١) نفس المرجع، ص: ٢١٤-٢١٥.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

السلطان بدر، ودار الحديث حول توقيع صلح، وعند مغادرتهم أرض الشحر، كان السلطان بدر في وداعهم، فقدم لهم بعض الهدايا من الخيول والأبقار والأغنام، ورافقهم المبعوث الشخصي للسلطان إلى الهند، واسمه عبدالله بن الزمن، وهو تاجر تركي، وحمل معه خطابًا من السلطان، وعددًا من الخيول من الدرجة الأولى وبعض الخيول الأخرى، بهدف التوقيع على الصلح مع النائب العام البرتغالي بالهند في جوا[١].

ورغم أن السلطان بدرًا أبدى حسن النيّة، وتعامل بإيجابية مع البرتغاليين، وأظهر حرصه على البدء بعقد المفاوضات، فإنَّ هذا لم ينه أعمال القرصنة البرتغالية؛ حيث تأخرت سفينة من السفن البرتغالية المتجهة إلى الهند في ميناء الشحر، ثم اتجهت إلى أحور، وقام قراصنتها بنهب بعض المراكب هناك[٢].

كما شن البرتغاليون في ربيع الآخر ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م هجوماً آخر على عددٍ من المراكب في ميناء قشن، وكانت تحمل على ظهرها عدداً من المجاهدين، من المهرة والحضارمة، يتهيأون للسفر إلى عدن، بطلب من حاكمها الذي يسعى إلى تعزيز قواته، لمواجهة الغزاة البرتغاليين، وقد حدثت في الميناء معركة ضارية، استخدم البرتغاليون فيها المدفعية والبارود، وقد أسفرت هذه المعركة عن استشهاد حوالي خمسين مجاهداً غرقاً أو حرقاً. ثم تواصلت أعمال القرصنة البرتغالية، حول ميناء قشن عقوبة لأهلها، وازدادت وطأتها، نهباً، وإحراقاً، وإفساداً[٣].

(١) محمد بن عمر بافقية : تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي ص:٢٣١،٢٣٠ .

(٢) محمد عبد القادر بامطرف: نفس المرجع ، ص: ١١٢-١١٣.

(٣)محمد عبد القادر بامطرف : الشهداء السبعة، ص: ١١٢-١١٣.

وهذا يدل بوضوح على عدم جدية البرتغاليين في التعامل مع موضوع مفاوضات الصلح الذي نقضوه قبل أن يعقدوه، كما يدل أيضاً على النوايا السيئة التي يُبيتونها، والشر الذي يضمرونه تجاه العرب والمسلمين.

ومن الواضح أن السلطان بدرًا لم يكن غافلاً عن هذه الحقائق، وهو يستقبل البرتغاليين قبل شهر واحدٍ في قصره، ويجتمع بهم، ويكرم وفادتهم، ويودعهم، ويمنحهم هداياه، بل كان على يقين بما يحمله البرتغاليون من الحقد الصليبي ضد الأمة، وما يضمرونه من الشر لها، لكنه عمل بكل الأساليب لتجنُّب الصدام معهم، إدراكاً منه لما يتمتعون به من قوة بحرية ضاربة، ولكن شدَّة القرصنة البحرية البرتغالية، وما تسببت فيه من خسائر مادية وبشرية لأبناء سواحل حضرموت وغيرهم في البلاد العربية، وخاصة في المجال التجاري، أجبرت السلطان بدرًا على القيام باتخاذ إجراءات صارمة ضد البرتغاليين[1].

غير أن السبب المباشر الذي دفعه دفعاً إلى اتخاذ هذا الموقف الصارم كان يتعلق به شخصياً، حيث دبَّر له جماعة من جلسائه المقربين إليه من البرتغاليين مؤامرة لاغتياله، مستغلين ثقته بهم، ويحتمل أن يكون هؤلاء البرتغاليون من الأسرى الذين يستعملهم السلطان في بعض أعمال الدولة أو من التجار الذين يفدون إلى الشحر بين فترة وأخرى. وقد استطاع كشف هذه المؤامرة، عن طريق واحدة من جواريه، همست له في أذنه بما يُدبّر له في الخفاء، فكانت سبباً في نجاته[2].

(١) محمد بن عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ٢٣٥.

(٢) محمد بن أبي بكر الشلّي: المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل باعلوي، ج٢، ص : ١٩٢، محمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية،ص:٤٣.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

هذه المؤامرة البشعة حطمت حاجز الخوف الذي كان يثبِّط عزم السلطان بدر، ويحول بينه وبين الحزم في التعامل مع البرتغاليين، مما دفعه إلى الشروع الفوري في اتخاذ إجراءات صارمة ضدهم، حيث قتل ثلاثين منهم دفعةً واحدة، ووزَّع أربعين سجيناً على وحداته العسكرية، وصادر جميع ممتلكاتهم من النقد والبضائع والعبيد، واستولى على أربع عشرة سفينة برتغالية من مختلف الأحجام، وألقى القبض على عدد منهم في ميناء الشحر، وتعقَّب من حاول الاختباء منهم، وأرسل إلى السلطان العثماني خمسة وثلاثين منهم، وأمر حاكم ظفار بقتل خمسة من البرتغاليين كانوا محتجزين عنده. وكان ذلك في شهر رمضان سنة ٩٤٢م/ ١٥٣٥م[١].

هذه الإجراءات دفعت البرتغاليين إلى السعي لإنقاذ من تبقى من أسراهم في مدينة الشحر، فلجأوا إلى التفاوض ، وقد اتصلت جماعة منهم سنة ٩٤٣هـ/ ١٥٣٦م تطالب السلطان بالإفراج عن الأسرى، فطلب فديةً كبيرة، ورداً على ذلك اتخذ النشاط البرتغالي مسارين متوازيين:

الأول: تكثيف أعمال القرصنة الشريرة، والنشاط التجسسي؛ حيث تعرض ميناء الشحر، وميناء قشن، وبعض قرى أخرى بالقرب من ساحل المشقاص سنة ٩٤٤هـ/ ١٥٣٧م لهذه الأعمال، كما كثف البرتغاليون نشاطهم التجسسي في هذه الفترة بهدف الحصول على معلومات عن الحملة العثمانية المرتقبة على الهند، ساعين في الوقت ذاته إلى الحيلولة دون التقارب بين السلطان بدر وبين الدولة العثمانية[٢].

(٢) محمد عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ٢٣٥،
R. B.Serjeant: the Portuguese off the south arbian Coast,P. 73-75
(٢) Ibid: p p.74,78-79

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

والمسار الثاني باتجاه التفاوض وعقد الصلح؛ حيث وصلت إلى الشحر مجموعة من البرتغاليين، بصحبة عبدالله بن الزمن التركي، الذي قام بدور الوساطة بين السلطان بدر والبرتغاليين، وتم عقد صلح بين الطرفين في سنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م، وبموجبه تمكن البرتغاليون من فك أسراهم، كما حصلوا على ثلث العشر من الإيرادات التجارية، في مقابل عدم التعرض للمراكب الحضرمية، وقد سمح السلطان بدر للبرتغاليين بتعيين كاتب من قبلهم، يقيم في الشحر ليتولى المراسلات والاتصالات فيما بينهم[1].

وفي ضوء البنود التي نص عليها هذا الاتفاق يمكن القول إن سياسة تكثيف أعمال القرصنة والتجسس التي انتهجها البرتغاليون أفلحت في دفع السلطان بدر إلى تقديم تنازلات واضحة للبرتغاليين، من غير أن يحصل على شيء مقابل تلك التنازلات سوى الأمل في أن مجرد التوقيع عليه سوف يبدد مخاوف السلطان من الهجمات وأعمال القرصنة البرتغالية، كما يفتح الطريق أمام تحسين العلاقة مع البرتغاليين.

وتحت تأثير هذا الأمل جنَّد السلطان بدر في جيشه خمسين برتغالياً سنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م[2] غير أن تطورات الأحداث بددت هذا الأمل؛ حيث وصلت إلى ميناء بروم في صفر من عام ٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م حملة برتغالية مكونة من عشرين سفينة، بهدف التحرك إلى عدن، لمؤازرة زعيم ثورة عدن علي بن سليمان البدوي، الذي استطاع إخراج الأتراك من عدن في جمادى الأولى ٩٤٥هـ/ ١٥٤٧م، غير أن الأخبار جاءتهم إلى

(١) محمد عمر بافقيه : تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص : ٢٤٨، ٢٤٩،
R. B.Serjeant: the Portuguese off the south arbian Coast,. 81.

(٢) Ibid: P. 83، محمد عمر بافقيه: نفس المرجع: ص: ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٣.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

بروم باستعادة الأتراك لعدن، وقتل علي بن سليمان البدوي قبل شهر من وصولهم، ولذا اتجهوا مباشرة إلى قشن، لمساعدة سعد بن عفرار، الذي أراد انتزاع قشن من السلطان بدر[١]، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك عند الحديث عن توسعات السلطان بدر.

وتُبيِّن هذه الحادثة أن السلطان بدرًا قد غضّ الطرف كثيراً هذه المرة، ولم يتخذ موقفاً حاسماً لدى وصول هذه الحملة إلى ميناء بروم التابع لدولته، مع أن الحملة انتهكت سيادة دولته، واستهدفت سلطته، كما استهدفت العثمانيين الذين تربطه بهم علاقات طيبة، كما تثبت أن البرتغاليين لا عهد لهم ولا ذمة، فقد وقفوا بقوة مع سعد بن عيسى بن عفرار، رغم أن الأمر يستهدف دولة السلطان بدر، الذي لم يجفَّ بَعْدُ حبر الاتفاق الذي وقَّعوه معه[٢].

(١) محمد عمر بافقيه: نفس المرجع: ص: ٣٢٩-٣٣٠،

R. B.Serjeant: Ibid: PP.108-109.

(٢) محمد عمر بافقيه: المرجع السابق، ص : ٢٤٨، ٢٤٩.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

الفصل السابع

نهاية حكم السلطان

بدر بن عبدالله بوطويرق الكثيري

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

نهاية حكم السلطان
بدر بن عبدالله بوطويرق الكثيري

استهل السلطان بدر عهده بالتوسعات ، وقد اهتم منذ بداية الأمر بإخضاع وادي حضرموت، من خلال إسقاط الكيانات السياسية، والزعامات القبلية، وقد حقق نجاحًا كبيرًا في جعل هذه المنطقة خاضعة للدولة الكثيرية، باستثناء مشيخة العمودي التي ظلت مصدر قلق، فما إن تخضع فترة وتعقد صلحاً معه، حتى تعود للتمرد ثانية، وقد أشرنا إلى ذلك.

غير أن أخطر ما كان يهدد حكم السلطان بدر، ويهدد كيان الدولة الكثيرية برُمَّتها، هو النزاع داخل قبيلة آل كثير نفسها، ولكي نحقق قدراً معقولاً من الإحاطة بهذا النزاع حول السلطة، وفهمه بشكل واضح، سوف نحاول متابعته وبحثه من خلال اتجاهين رئيسين هما:

الأول: النزاع على السلطة داخل الأسرة الكثيرية الحاكمة نفسها، كالنزاع بين السلطان بدر وأخيه السلطان محمد، وما نتج عنه من اتساع الجفوة بينهما، مما أدى إلى ظهور بعض التحالفات القبلية المساندة لطرفي النزاع.

الثاني: النزاع على السلطة داخل القبيلة الكثيرية، ونقصد محاولات بعض الزعامات من آل كثير الانفراد بحكم بعض المناطق التابعة للدولة، أو معارضة السلطان بدر.

وسوف نتعرض في ثنايا الحديث لموقف الزعامات القبلية والروحية من السلطان بدر في غرب حضرموت ووسطها وشرقها، وتأثيرات هذه المواقف على الصراع الداخلي في الدولة الكثيرية، وعلى مصير السلطان بدر في نهاية المطاف.

وقد بدأت بوادر أول معارضة قادها السلطان محمد ضد أخيه السلطان بدر عندما ضم الأخير غيل بن يمين إلى ممتلكات الدولة الكثيرية، وذلك سنة ٩٣٦هـ/ ١٥٢٩م[1]، واتخذ السلطان محمد موقفًا معارضًا لخطوة السلطان بدر، الذي أراد التوسع في ساحل حضرموت، وقد أشرنا إلى ذلك.

ومن المناسب هنا الوقوف أمام هذا الحدث، الذي جاء بعد عشر سنوات من تنازل السلطان محمد عن السلطنة لأخيه السلطان بدر بمحض إرادته في سنة ٩٢٦هـ ١٥١٩م، وكانت أمور السلطنة تسير بهدوء، وقد كانت علاقة الأخوين طيبة، ولم تبرز أية خلافات تعكر الصفاء الذي كان بينهما، غير أن حادثة ضم غيل بن يمين أظهرت ما كان خافياً، فقد رفض السلطان محمد سياسة السلطان بدر التوسعية في ساحل حضرموت، بحجة أن هذه المنطقة واقعة تحت حمايته ، وهذه إحدى الصعاب التي واجهت السلطان بدرًا في توحيد حضرموت الساحل والداخل تحت لواء الدولة المركزية الكثيرية؛ حيث أخرته عن التوسع في الساحل .

(١) محمد عمر بافقيه : تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر ، تحقيق عبد الله الحبشي، ص : ١٩٢ – ١٩٣، سالم محمد بن حميد : تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ١٦٧ – ١٦٨.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

وتكشف هذه الحادثة أن السلطان محمدًا لا زال واقعًا تحت تأثير العقلية العشائرية، التي تؤمن بأن كل قبيلة تتولى حكم منطقتها، والدليل على ذلك أن السلطان محمدًا طلب من السلطان بدر إعادة قرية غيل بن يمين إلى أهلها ، لكن السلطان بدرًا رفض ذلك في بداية الأمر، واعتبر ذلك إعاقة لخطواته نحو تحقيق وحدة مناطق حضرموت.

واستغل السلطان محمد هذا الموقف، وأخذ يتنقل في قرى وادي حضرموت بهدف تجميع الأنصار حوله ، فلم يستجب له إلا آل كثير في قرية بور، وخاصة الذين استبعدهم السلطان بدر بسبب أطماعهم في الحكم، أو معارضتهم لسياساته(١).

وأخذت الوشايات تفعل فعلها، بما يذكي نار الفتنة بينهما، غير أن السلطان بدرًا رأى أن الحكمة تقتضي ألا يجعل موضوع غيل بن يمين سببًا لتعميق الخلاف مع أخيه، فلم تمض سوى فترة وجيزة حتى أعاد بعدها غيل بن يمين لأهله عبر أخيه محمد، في السنة نفسها، رغم أن ذلك يتعارض مع الاتجاه العام لبناء الدولة المركزية الكثيرية(٢).

لم تمضِ إلا فترة وجيزة حتى تجدد الخلاف بين الأخوين ، ففي سنة ٩٣٩هـ١٥٢٢م سار السلطان محمد إلى المشقَاص، واجتمع بقبائل بيت محمد وبيت زياد المهرية، الذين كانوا على علاقة طيبة به، ويشاركونه عدم الرضى عن سياسة السلطان بدر، الذي كان حينها مشغولاً بمتابعة إحكام قبضة الدولة الكثيرية على وادي حضرموت، وسار من المشقاص، بعد أن أعد قوة عسكرية، بلغ عددها ثلاثمائة مقاتل، معظمهم من المهرة، متجهاً بهم إلى الشحر، بهدف الاستيلاء عليها، ودخلت هذه القوة المدينة يوم السبت

(١) محمد عمر بافقيه: المرجع السابق، ص: ١٩٢ –١٩٤.

(٢) سالم بن حميد: المرجع السابق، ص: ١٦٨.

الرابع والعشرين من المحرم سنة ٩٤٠هـ١٥٣٣م، وتمركزت وسط البلد بالقرب من مسجد بن عتيق لكن القوة العسكرية المرابطة في حصن الشحر (النقيب والرماة) أطلقوا عليهم المدفعية، وكادت هذه القوة أن تباد بالكامل، عندئذ أعطى السلطان محمد الأوامر إلى عسكره بسرعة تغيير موقعهم، الذي كان بالقرب من مسجد بن عتيق، وتحركت القوة مباشرة، واقتربت من البيوت لتحتمي بها في الموقع الجديد، ويقع بالقرب من مسجد باسبوعة[١].

لكن عساكر السلطان بدر ظلوا يتابعون تحركات قوة محمد داخل المدينة، فكثفوا من إطلاق البنادق، حفاظاً على سلامة بيوت سكان المدينة، وكانت النتيجة الأولى قتل أحد عبيد بيت زياد، وأدرك السلطان محمد أن الاستمرار بهذا الوضع سيجعل الدائرة عليهم، ويئس من الوصول إلى الحصن، وفي اليوم نفسه أعطى الأوامر بالانسحاب إلى المشقاص[٢].

كان هذا أول عمل عسكري يلجأ إليه السلطان محمد، و يعلن فيه تمرده على السلطان بدر، ويُعِدُّ القوة للاستيلاء على الشحر عاصمة الدولة الكثيرية، ويُعدّ هذا العمل محاولة انقلابية، تم إفشالها نتيجة لإخلاص عسكر السلطان بدر، الذين دافعوا عن عاصمة الدولة بكل ما أوتوا من قوة، ويتضح لنا أن النجاحات التي حققها السلطان بدر لم تعجب السلطان محمدًا، وخاصة توسعاته في وادي حضرموت[٣].

(١) محمد عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ٢١٨، ٢١٩.

(٢) سالم بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة، تحقيق عبدالله الحبشي، ص: ١٧٦..

(٣) محمد بن عمر بافقيه: المرجع السابق، ص: ٢١٨ – ٢١٩، سالم محمد بن حميد: نفس المرجع، ص١٧٦،.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وعلى الرغم من الهزيمة التي لحقت بالسلطان محمد في الشحر، فإنه ظل يميل إلى اتباع أسلوب إثارة النزاع مع أخيه السلطان بدر، فما أن وصل ظفار قادماً من المشقاص في شهر ربيع الآخر ٩٤٠هـ ١٥٣٣م حتى سجن أمير ظفار، وقاضيها المعينين من قبل السلطان بدر، وفرض على الأول غرامةً ماليةً قدرها ثلاثة آلاف ريال أشرفي، وعلى الثاني أربعة آلاف، أما النقيب الذي في الحصن فلم تفرض عليه الغرامة[١]، ورغم رعونة هذا التصرف فإنَّ السلطان بدرًا أرسل من جانبه عبد الله بن علي المرهون الكثيري إلى أخيه السلطان محمد، بهدف الصلح بينهما، في جمادى الآخرة ٩٤٠هـ/ ١٥٣٣م، غير أن الأمور سارت باتجاه معاكس لرغبة السلطان بدر، فلم يستقبل السلطان محمد المرهون الاستقبال اللائق، بل أمر بإخراجه من ظفار، مشككاً في نواياه، زاعماً أنها لا تهدف إلى الصلح، بل تهدف إلى القيام بعملٍ ضده[٢].

لم يتقبل السلطان بدر هذا الموقف من أخيه السلطان محمد، فعجل بالسفر إلى ظفار، واصطحب معه قوة من آل كثير من آل عبد العزيز، وعند وصوله ظفار فرض حصاراً عليها لعدة أيام[٣]، وبدأت في أثنائها المفاوضات، والتي انتهت برفع الحصار عن ظفار، وتم الصلح بين الأخوين، وأهم نقطةٍ تم التوصل إليها هو إعطاء السلطان محمد حكم ظفار، وتنفيذاً للاتفاق أعطى السلطان بدر أوامره الفورية إلى نقيب الحصن بتسليم

(١) محمد عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ٢١٨-٢١٩.

(٢) سالم بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ١٧٦.

(٣) نفس المرجع، نفس الصفحة.

الحصن إلى السلطان محمد بكامل عدته وعتاده، وكان ذلك في سنة ٩٤٠هـ/ ١٥٣٣م[١]، غير أن هذا الصلح لم يحسم مسائل الخلاف بين الأخوين بصورة نهائية؛ حيث تجدد النزاع بينهما مرة أخرى، وسوف نعود إليها فيما بعد.

أما على صعيد العلاقة مع قبيلة نهد فقد حقق السلطان بدر نجاحاً في توقيع صلح معها سنة ٩٣٩هـ/ ١٥٣٢م بموجبه تنازل السلطان بدر لها عن إيرادات وادي دوعن، وبالمقابل تعهدت قبيلة نهد للسلطان أن يكون أفرادها رماة له في الحصون مما ساعد على تحسين علاقته بهذه القبيلة، ثم أضاف إلى ذلك صلحاً آخر في سنة ٩٤٠هـ/ ١٥٣٣م، بموجبه زاد السلطان من توسيع صلاحيات قبيلة نهد؛ إذ سلَّمها قرية الخريبة (ومصنعتها)[٢]، وتعهَّد زعيم قبيلة نهد علي بن فارس آل عامر للسلطان بدر بأن يستجيبوا لدعوة الحرب معه في أية منطقة يتجه إليها، وأن لا يتأخر عن الاستدعاء منهم أحد[٣].

وتمكّن السلطان بدر بتوقيع هذا الصلح من تحقيق جملة من الأهداف:

أولها : أنه ضَمِن تبعية قبيلة نهد وما تسيطر عليه من البلاد للدولة الكثيرية.

ثانيها: أنه ضَمِن تحالف قبيلة قوية ذات شأن كبير إلى جانبه، خصوصاً أن آل عامر هم أشهر فروع نهد، وأقواها، وأكثرها عدداً وتمرساً في الحروب. وبالتالي فإنه بواسطة قبيلة نهد يمكنه إخضاع غرب وادي حضرموت ووسطها، خاصة وأن هذه المنطقة تميزت بكثرة تمردها وعدم الاستقرار فيها.

(١) محمد بن عمر بافقيه: المرجع السابق، ص : ٢١٩، ٢٢٢.

(٢) المصنعة : مبنى مميز عن البيوت ، يجهز للأعمال الحربية وهو بمثابة الحصن، رمز النفوذ ومركز الحكم.

(٣)محمد بن عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص : ٢١٤ –٢١٨، سالم بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:١٧٦.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ثالثها: أنه قَطع الطريق أمام الشيخ العمودي وحرمه إمكانية التحالف مع هذه القبيلة ضد السلطنة الكثيرية.

وأظهرت قبيلة نهد التزامها بهذا الصلح، وتحالفت مع عساكر السلطان ضد الشيخ العمودي، ودلَّت على ذلك بعض الأحداث منها:

محاصرة قرية القرين، والاستيلاء على الحصن، وقتل باحكيم حاكم القرية المتحالف مع الشيخ العمودي في سنة ٩٤٠هـ/ ١٥٣٣م[١].

ولكي يثبت السلطان بدر لقبيلة نهد، وخاصة آل عامر، أنه وفيٌّ بوعوده لهم، فقد سلّم قرية حريضة، بعد أن أخذها من آل عبد الله، الذين عادوا إلى قرية الأحروم وذلك إرضاءً لآل عامر؛ لأن آل عبد الله – وهم فخيذة من نهد – قتلوا في سنة ٩٤٠هـ/ ١٥٣٣م في حريضة علي بن عبد الله بن عندل من آل عامر لِمَا كان بين الفخذين من خلاف[٢].

ولم يكد السلطان بدر ينتهي من عقد الصلح مع قبيلة نهد، حتى بدأت بوادر الخلاف تبرز من جديد بينه وبين أخيه السلطان محمد، الذي ضاق ذرعاً بسياسات السلطان بدر التوسعية، ولا يستبعد أن يكون هذا الموقف قد دفعه إلى التفكير الجدي في استعادة الحكم، بعد أن تنازل عنه لأخيه بمحض إرادته قبل أكثر من عشر سنوات.

وتشير المصادر التاريخية إلى أن سبب تجدد الخلاف أن السلطان بدرًا تسلّم قرية اللسك في شوّال ٩٤٠هـ/ ١٥٣٣م، وأحكم سيطرته عليها، وأخرج أهلها آل أحمد حلفاء السلطان محمد إلى بور، تأديباً لهم، بعد أن قتلوا النقيب المعين من قبله ومن معه

(١) سالم محمد بن حميد : نفس المرجع، ص : ١٧٦.

(٢) محمد بن عمر بافقيه : تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ٢١٦.

في الحصن التابع له في القرية، وبسبب تخوفهم من السلطان بدر انتقلوا إلى السلطان محمد في المشقاص، فأكرمهم، ووعدهم بالجميل.

ولما علم السلطان بدر بانتقال آل أحمد إلى المشقاص خشي أن تُنقل صورة الوضع في اللسك إلى أخيه السلطان محمد على غير ما هي عليه بالفعل، مما يمكن أن يؤدي إلى تفاقم الخلاف بينهما، فبادر بإرسال علي بن محمد بامدرك في ذي القعدة من العام نفسه لتطييب خاطره، والدخول في مراضيه، كما سعى في إتمام الصلح بينهما زعيم قبيلة نهد محمد بن علي بن فارس، وجماعة من آل كثير، وقد توجت هذه المساعي بتوقيع الصلح في قرية غيل بن يمين في صفر ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م[1].

وقد تضمن هذا الصلح تقسيم ممتلكات السلطنة الكثيرية بين الطرفين على النحو التالي:

١- مدينة ظفار و(المسفلة) عند نهاية وادي حضرموت من جهة الشرق، وتشمل تريم وما حولها تخضع لحكم السلطان محمد.

٢- مدينة الشحر وقرية هينن و(المعلاه) أعالي وادي حضرموت، يشمل منطقة الكسر، ووادي دوعن وسط وادي حضرموت وغربه تخضع لحكم السلطان بدر.

وقد نص الاتفاق على تحديد القبائل التي تشملها حماية السلطان محمد، وهي آل أحمد، وآل يماني، وبنو سعد، كما نص على حلفائه وهم: الشيخ عثمان العمودي، وآل عبدالله من نهد، كما نص على أن بيت زياد في صلح السلطان محمد، وبيت محمد في صلح بدر.

(١) نفس المرجع، ص: ٢٢٠-٢٢٤.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ولضمان تنفيذ هذا الصلح نص الاتفاق على وضع الرهائن من قبل الطرفين؛ حيث وضع السلطان بدر مدينة الشحر وثلاثة حصون في أعالي وادي حضرموت، ووضع السلطان محمد مدينة ظفار وثلاثة حصون في المسفلة[1]، وعادة وضع الرهائن مألوفة في حضرموت، وهي تشبه الشرط الجزائي الذي يعتبر عقوبة لمن خالف ما تم الاتفاق عليه.

وبموجب هذا الاتفاق عاد السلطان محمد إلى سدة الحكم من جديد، ومن الواضح أن السلطان بدرًا لم يكن موفقاً في التنازلات التي قدمها في هذا الاتفاق، فالصيغة التوفيقية غير المدروسة التي أسفر عنها هذا الاتفاق لا يمكن أن تساعد على نزع فتيل النزاع بينه وبين أخيه، بل على العكس من ذلك فإن البند المتعلق بالقبائل الحليفة والمشمولة بالحماية يشكل لغماً موقوتاً يهدد بالانفجار في أية لحظة، كما أن صيغة التقسيم التي تعتبر البند الأساس في الاتفاق تنذر بتفاقم النزاع بين الأخوين.

وقد أثبتت الأحداث المتلاحقة فيما بعد أن هذا الاتفاق كان الخطوة الأولى في تفتيت الدولة الكثيرية، فبعد أقل من أربعة أشهر من توقيع الصلح، وبسبب حادثة قتل تعرض لها واحد من قبيلة السعدي، الواقعة تحت حماية السلطان محمد من قِبَلِ واحد من آل عبد العزيز حلفاء السلطان بدر، توتر الموقف مرة أخرى بين الأخوين وذلك في شهر جمادى الآخرة سنة ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م، ولذا اجتمع الأخوان في تريم وتوصلا إلى اتفاق ثنائي مكمل لصلح التقسيم، قضى بأن يُلغى البند المتعلق بالرهائن بين الطرفين، وأن يطلق لكل منهما حكمه في الجهات التي نص عليها الصلح[2]، ورغم أن صلح

(١) محمد بن عمر بافقيه : تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ٢٢٢-٢٢٤.

(٢) سالم بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ١٧٨.

التقسيم الذي تم توقيعه بين السلطان بدر وأخيه السلطان محمد في شهر صفر ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م يحدد بوضوح مناطق كل منهما، والقبائل الخاضعة لحكمه، فإنَّ هذا الاتفاق لم ينه النزاع بينهما؛ لأن السلطان محمدًا لم يكن مقتنعاً، بنظام التقسيم، ولهذا فقد ظلّ على الدوام يتحيّن الفرصة، كلما سنحت له للخروج عن هذا الصلح مستعيناً على ذلك بمن يقف إلى جانبه من قبائل حضرموت[1].

ولعل عدم التوافق في طريقة التفكير بين الأخوين هو الذي يفسر موقف السلطان محمد الذي يتكرر بصورة مستمرة، فالسلطان محمد لم يفهم الهدف الكبير الذي يسعى إليه أخوه، والمتمثل في إقامة دولة مركزية موحدة، ولا يرى في سياساته التوسعية، وسعيه إلى فرض سيادة الدولة في جميع المناطق الخاضعة لحكمها، إلا نوعاً من التصرف الطائش، الذي يبدد قدرات الدولة، ويؤلب عليها القبائل، ويفتح عليها الجبهات من مختلف الجهات، كما لم يغب عن ذاكرته الإجراءات الإدارية التي اتخذها في بداية حكمه كالتنكر لأخيه، والإعراض عن مشاورته، وما فعله مع الأمير مطران وغيره من ذوي الخبرة من رجال الدولة، واستبعاده لبعض البطون من آل كثير، واعتماده بدلاً عن ذلك على القوى الأخرى التي سبق ذكرها.

كل هذه العوامل من المعقول أن تكون هي السبب الذي جعل السلطان محمدًا يشعر بأنه أخطأ يوم أن تنازل عن الحكم لأخيه في سنة ٩٢٦هـ/ ١٥١٦م، ودفعته إلى التفكير في استعادة الحكم، لتصحيح هذه الأخطاء، ومن غير المستبعد أن يكون

(١) محمد بن عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ٢٢٤-٢٢٥.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للمحيطين بالسلطان محمد، المعارضين لسياسات السلطان بدر، دور في تغذية هذا التفكير لديه، والدفع به نحو اتخاذ خطوات عملية في هذا الاتجاه.

ورغم أن السلطان بدرًا هو الأقوى من الناحية السياسية والعسكرية، فإنَّه لم يفضل حل الخلافات المتكررة بينه وبين أخيه بأسلوب القسر والإقصاء، ولذا فقد ظل يقدم التنازلات تلو التنازلات، محاولة منه لكسب رضا أخيه، مع أن ذلك على حساب قضية وطنية أكبر، وهي قضية وحدة حضرموت، التي يهددها ذلك الاتفاق بالتفتيت والضياع.

ولذا فقد ظل يشجع الجهود والمساعي والوساطات التي تبذل بهدف إزالة أية معوقات، والوصول إلى حلول مقنعة، يقبلها الطرفان برضاً واختيار.

وفي شهر شوال ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م توصل الأخوان السلطان بدر والسلطان محمد بجهود ووساطات متواصلة، إلى صلح آخر يحل محل نظام التقسيم، حيث اسْتُحْدِث بدلاً عنه نظام الشراكة، والذي يعني أن يتولى حكم السلطنة الكثيرية سلطانان في وقت واحد (على أن جميع البلدان منصوفة بينهما). وظاهرة الشراكة أو الاقتسام لحكم بعض المناطق ظاهرة انتشرت في حضرموت منذ القرن السابع الهجري، الثاني عشر الميلادي.

وما من شك أن هذا النظام البديل لم يزد الأمر إلا تعقيداً، لما يحمله من مفهوم المناصفة، بمعنى أن كل حصن في أية قرية أو مدينة، يصبح خاضعًا لحكم السلطانين، وكل سلطان يضع نقيبا ورماة مرابطين في الحصن، فضلاً عن وجود عدد من العمال لإدارة شؤون الدولة الكثيرية[1].

(١) محمد عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ٢٢٧.

ولا شك أن ذلك يعد نصرًا للسلطان محمد، ولعل ما أجبر السلطان بدرًا على قبول هذه الحلول هو خوفه من أن تصل الأمور إلى ما هو أسوأ، خاصة إذا حُكِّم السلاح؛ لأن العشائرية القبلية لازالت قوية، ورغبة زعماء هذه العشائر في الانفراد بحكم مناطقها لا تزال قائمة، فإذا تفاقم النزاع في الأسرة الحاكمة، ستزداد الدولة الكثيرية ضعفًا، مما يمكِّن زعماء العشائر من تحقيق هذه الرغبات، فضلاً عن التحالفات القبلية التي تتحين الفرصة المناسبة للتمرد، فكل هذه الأسباب دفعت بالسلطان بدر إلى تحكيم العقل والمنطق حفاظاً على ما يمكن الحفاظ عليه من قوة وهيبة الدولة الكثيرية.

ويعتبر الشيخ العمودي من أخطر الزعامات المناهضة للسلطان بدر، والمؤهلة للقيام بدور خطير في تأجيج النزاع بين السلطان بدر وأخيه، واستثماره فيما يخدم أطماعه في الانفراد بحكم منطقته في غرب وادي حضرموت، وما من شك في أنه كان يراقب باهتمام شديد تحركات السلطان بدر، ويشعر بأن تحالفه مع نهد يشكل خطراً كبيراً، يضيق الخناق عليه، ويحول دون تحقيق أطماعه، لذلك عمل على إيجاد حلفاء، لتوسيع علاقاته مع القبائل المختلفة، من ذلك إعلان مناصرته لحاكم وادي حجر، من قبيلة الأشموس في سنة ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م، كما قام بزيارة لقرية لحروم، وخلال ذلك اجتمع ببعض فخائذ نهد وهم آل عبد الله، وآل عقيل، بهدف التحالف ضد السلطان بدر[1].

ومن أخطر ما قام به في هذا الاتجاه أنه استغل النزاع الذي برز بين السلطان بدر وأخيه السلطان محمد، فوثق علاقاته بالأخير، الذي قام بزيارة إلى قيدون سنة ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م،

(١) محمد عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ٢٢٤-٢٢٧.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ومكث بها عدة أيام، تبادلا خلالها وجهات النظر، واتخذا موقفاً واحداً وشكلا حلفًا يخدم مصلحة الطرفين[١].

وفي هذه الظروف بدأ السلطان محمد تحركاته في وادي حضرموت تنفيذًا لنظام الشراكة في السلطنة الكثيرية؛ حيث شرع في اتخاذ بعض الخطوات التنفيذية، ومن أهمها: بناء حصن في موقع يسمى المنبعث[٢] في منطقة الكسر وسط وادي حضرموت، بمساعدة بعض القبائل المتحالفة معه، وكان هذا في أواخر شهر ذي القعدة ٩٤١هـ١٥٣٤م[٣]، وتوجيه الأوامر لمجموعة من الرماة التابعين له بالتمركز في وسط حصن الشحر، بناءً على ما فهمه من نظام الشراكة الذي سبقت الإشارة إليه، كما وصل السلطان محمد والشيخ العمودي إلى قرية صليع، بهدف بناء حصن بها، الأمر الذي أدى إلى خروج زعيم قبيلة آل عامر محمد بن علي بن فارس إليهم من قرية الهجرين القريبة من صليع، وحدثت معركة بين الطرفين، فكانت نتيجتها قتل أعدادٍ من الطرفين وجرحهم، وكان ذلك سنة ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م، خاصة أنه سبق أن تمكن السلطان محمد من بناء حصن في قرية تسمى (قرن آل عجاج)، بالقرب من قرية سور آل عامر، وهذا كان السبب المباشر لرفض آل عامر لبناء أية حصون من قبل السلطان محمد في هذه المنطقة[٤].

---

(١) سالم بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص : ١٧٨.

(٢) المنبعث: من قرى الكسر، غرب القطن، عبد الرحمن بن عبيد اللاه السقاف: إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ق:١٠٨أ.

(٣) محمد بن عمر بافقيه: المرجع السابق، ص : ٢٢٧.

(٤) سالم بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ١٧٨ – ١٨٣.

كما عمل السلطان محمد على بناء عدد من الحصون المماثلة في عدد من قرى المسفلة شرق وادي حضرموت، بالتعاون مع القبائل المتحالفة معه هناك، وبذل جهودًا لمواصلة العمل على توثيق علاقاته بالقبائل المتحالفة معه، والواقعة تحت حمايته، وتنظيم تحالفاتها[١].

ولم يكتف السلطان محمد بهذه الإجراءات التي تشكل استفزازًا للسلطان بدر، بل قام بما هو أشد تحدياً واستفزازاً وتعطيلاً لجهود التوحيد التي يقوم بها السلطان بدر، كإتلافه للزراعة في بعض الأراضي الخاضعة لنفوذ السلطان بدر في غرب وادي حضرموت[٢]، وموقفه في قضية حيريج والمشقاص، حيث حرّض قبائل المسفلة آل أحمد والصبرات وعبيد آل يماني على عدم المشاركة مع السلطان بدر في حملته على المشقاص، كما أجبره على إعادة حيريج إلى بادجانه، بعد أن انتزعها منه في جمادى الأولى سنة ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م[٣]

ومن الواضح أن هذا الموقف الذي يتكرر من السلطان محمد، يساهم في إضعاف هيبة الدولة الكثيرية، ويعرقل الجهود الرامية إلى التوحيد.

(١) محمد بن عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص : ٢٢٨.

(٢) سالم بن حميد: المرجع السابق، ص: ١٨٢.

(٣) محمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، ص: ٣٢.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

مع تنامي النزاع بين الأخوين انقسمت قبيلة آل كثير إلى حزبين كبيرين، يلتف كل منهما حول قطب من قطبي النزاع في الأسرة الحاكمة، إلى جانب ذلك تجددت صورة أخرى من صور النزاع داخل قبيلة آل كثير، تدفع إليها الأطماع الذاتية لدى بعض البيوت الكثيرية التي كان لها سابق عهد بالسلطة والحكم، وفي الحقيقة إن هذا النزاع بدأ مبكرًا تعود بدايته مع تولي السلطان بدر، وأخذت هذه الأطماع تطفو على السطح منذ سنة ٩٣٣هـ/ ١٥٢٦م، عندما بدأ آل محمد يوسعون نشاطهم المعارض للسلطان بدر، ويحيكون المؤامرات ضده، ويحاولون استعادة حكم شبام، انطلاقًا من هينن التي فروا إليها بعد أن انتزع السلطان بدر حكمها من أيديهم(١)، غير أن السلطان بدرًا استطاع أن يخمد هذه الجبهة، ويلقي القبض على زعمائها، محمد بن بدر بن محمد، و محمد بن عبد الله بن محمد، و يودعهما سجن مريمة في العام نفسه(٢).

ولقد برزت بوضوح النتائج الخطيرة لنظام المناصفة؛ إذ من الواضح أن السلطان محمدًا يفهم هذا النظام على غير ما يفهمه السلطان بدر، فالأول يفهمه على أنه مشاركة حقيقية في الحكم، في كل المناطق التابعة لسلطة الدولة الكثيرية، وأما السلطان بدر فيفهمه على أنه مناصفة شكلية، شبيهة بالرئاسة الفخرية، يظهر فيها السلطان محمد أمام قبائل حضرموت بمظهر الشريك الفعلي الذي يُحترم رأيه، ويمضي قراره.

(١) محمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، ص: ٥٦، ٥٩، صلاح البكري: حضرموت وعدن وإمارات الجنوب العربي، ص:٧٧.- ٧٨.

(٢) محمد بن هاشم: نفس المرجع، نفس الصفحتين، سعيد عوض باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص:١٣١.

وبالفعل مضى كل من الأخوين يخطو خطواته وفقاً وما فهمه من هذا النظام، ولهذا سارت الأمور بشكل أسوأ مما كانت عليه قبل إقرار هذا النظام؛ حيث اتجه كل من الأخوين إلى تعزيز نفوذه، وتأكيد وجوده، كما برز الاتجاه إلى تعزيز الانفراد بحكم المناطق التابعة للدولة الكثيرية، وقد برز هذا الاتجاه بشكل واضح في شبام وظفار، ففي شبام تمكن السلطان محمد من كسب موالاة حكامها من آل كثير له، الأمر الذي أثار خشية السلطان بدر من تفرد أخيه بها، ودفعه إلى الإيعاز إلى علي بن عمر بن جعفر الكثيري بالاستيلاء عليها، وبالفعل تمكن الأخير من تكوين قوة عسكرية. وفي شهر ذي الحجة سنة ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م تجمعت هذه القوة قريبًا من شبام، ووصلت إليها قوة إضافية بقيادة عبد الله بن علي المرهون الكثيري، وقاد هذه القوة الكثيرية كلها علي بن عمر بن جعفر الكثيري وفرضت حصاراً على شبام[1].

ورداً على ذلك وصلت قوة أخرى مضادة، من القبائل الحليفة للسلطان محمد من آل كثير وغيرهم من سيئون وشرق وادي حضرموت لفك الحصار عن القوة المتحصنة بشبام، وحدثت معركة حاسمة، سميت باسم المكان الذي وقعت فيه ((معركة الخِبَّة))، وهزمت القوة المهاجمة، وفر أفرادها إلى هينن، غير أنهم كرروا محاولاتهم، حتى نجحوا في إحدى المرات في السنة نفسها، ولما وصل السلطان محمد والقوة التي حشدها، لمساندة حلفائه في شبام إلى الغرفة، جاءهم الخبر بأن القوة المعادية التي يقودها علي بن عمر بن جعفر الكثيري ومن معه قد تمكنت من الدخول إلى شبام، والسيطرة عليها، ولم تمض

(١) محمد بن عمر بافقيه : تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ٢٣٤ – ٢٣٥.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

سوى فترة وجيزة حتى أعلن علي بن عمر بن جعفر الكثيري الانفراد بحكم شبام سنة ٩٤٣هـ/ ١٥٣٦م، غير أن السلطان بدرًا أعطى أوامره الحاسمة لأمرائه في وادي حضرموت بانتزاعها منه، وتمكنوا بالفعل من ذلك في ذي الحجة من العام نفسه، فلجأ علي بن عمر بن جعفر الكثيري إلى القارة[١] لدى بادية آل كثير. ثم استدعاه السلطان بدر إلى الشحر فعفا عنه وأكرمه[٢].

ومن جهة أخرى أعلن علي بن محمد بن عبد الله الكثيري انفراده بحكم ظفار في شهر رجب ٩٤٣هـ/ ١٥٣٦م، واستبدل النقيب والرماة في حصنها بغيرهم ممن أعلنوا الولاء والطاعة له[٣]. ويظهر أن هذا التصرف كان بإشارة من والده السلطان محمد كرد فعل لما حدث في شبام.

ومن الواضح أن هاتين المحاولتين للانفراد بحكم شبام وظفار من قبل بعض أفراد قبيلة آل كثير، كانتا تلقيان التأييد والمساندة السرية من طرفي النزاع داخل الأسرة على الحكم وذلك يعني أن منازعة السلطان محمد لأخيه على السلطة أعطى الفرصة لبعض من أفراد قبيلة آل كثير، الذين يطمحون في السلطة أن يعلنوا ذلك صراحة، وبهذا انتقل النزاع من داخل الأسرة إلى داخل القبيلة بكافة فخائذها، مما ترتَّبَ عليه إضعاف قدرات الدولة وتهديد وحدة البلاد.

(١) القارة: إحدى القرى التابعة لظفار، سعيد عوض باوزير : صفحات من التاريخ الحضرمي، ص: ١٣١.

(٢) محمد بن عمر بافقيه: المرجع السابق، ص : ٢٣٨ – ٢٤١.

(٣) سالم بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثه، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:١٨٢- ١٨٣.

هذا الواقع المرير الذي أفرزه نظام المشاركة، الذي لم يمض على توقيعه سوى فترة وجيزة، لا تتجاوز ثلاث سنوات أقنع الطرفين اللذين وقعا عليه أنه غير صالحٍ لحل النزاع القائم بينهما، ولذلك اتفقا في شهر ربيع الآخر ٩٤٣هـ/ ١٥٣٦م على العودة مرة أخرى لنظام التقسيم السابق، مع إجراء بعض التعديل الطفيف عليه، حيث نصّ في صيغته المعدلة على أن:

- يتركز حكم السلطان محمد في ظفار والقارة والغيضة وغيل ابن ثعلب[1] وأسفل وادي حضرموت تريم وما حولها.
- يتركز حكم السلطان بدر في الشحر وهينن وأعالي وادي حضرموت، والذي يشمل القرى والمناطق الواقعة في وسط وادي حضرموت وغربه[2].

ومن الواضح أن هذه الصيغة المعدلة لنظام التقسيم لم تضف جديداً، وبالتالي فإنها غير مؤهلة لحل النزاع بين الطرفين، بل على العكس من ذلك، فقد دلت الأحداث السابقة على أنها كانت سبباً في تفاقم هذا النزاع كما بينّا، وإن كانت أقل ضرراً من صيغة المشاركة.

هذا النزاع الذي استمر طويلاً منذ حادثة غيل بن يمين سنة ٩٣٦هـ/ ١٥٢٩م، لم يمنع السلطان بدرًا من مواجهة الخطر البرتغالي على سواحل حضر موت، كما لم يمنعه من بذل الجهود لتوطيد علاقته مع الدولة العثمانية، كما لم يصرف اهتمامه عن بذل الجهود الرامية إلى تثبيت الأوضاع، وفرض هيبة الدولة، فقد كان من أولى اهتماماته السعي إلى عقد صلح مع قبيلة نهد، وبالتوقيع على هذا الصلح الذي سبقت الإشارة إليه أصبح

(١) غيل بن ثعلب : يقع نهاية وادي حضرموت في جهة الشرق.

(٢) محمد بن عمر بافقيه : تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ٢٣٩ – ٢٤٠.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

معظم وادي حضر موت خاضعاً للدولة الكثيرية، فلم تبق إلا مشيخة العمودي التي شكلت واحدة من الصعاب الكبرى التي واجهت السلطان بدرًا، عندما أراد بسط نفوذه على سائر حضرموت؛ حيث لم يستطع السلطان أن يلحق الهزيمة العسكرية الحاسمة بها، كما لم يستطع أن يرغمها على توقيع صلح دائم معه، يعترف فيه العمودي بالتبعية للسلطان، ويدين له بالطاعة، ولكثرة ما كان يقع منه من محاولات التمرد وعدم الالتزام باتفاقيات الصلح فقد ظل مصدر قلق دائم، يستنزف قدرات الدولة الكثيرية المادية والبشرية، ويعرقل جهود السلطان بدر الهادفة إلى توحيد حضرموت تحت لواء دولة مركزية واحده[١].

ولهذا قاد السلطان بدر قواته، واستعان بخمسين من الأسرى البرتغاليين، الذين جنّدهم في جيشه، وسارت القوات حتى صارت على مقربة من بِضَة، وحصرتها، ورأى السلطان أن إمكانية اقتحامها من الصعوبة بمكان، لذلك سارت القوات نحو القناة الرئيسة التي تروي الأراضي، وأحدثت خرابًا بجزء كبير منها، وكان ذلك في ٢٩ من المحرم سنة٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م[٢]،

وعندما لم يستطع السلطان إسقاط بضة، معقل الشيخ العمودي سار بقواته نحو وادي عمد، لمهاجمة تلك القرى التي ارتبط زعماء قبائلها بعلاقات بالشيخ عثمان بن أحمد العمودي، ومنها قرية لحروم وهي تابعة لآل عبدالله وآل بشر من نهد، وقرية نباع لآل

(١) محمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، ص: ٤٧، سعيد عوض باوزير : صفحات من التاريخ الحضرمي، ص : ١٢٩.

(٢) محمد بن عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ٢٥٣.

عبدالله من الجعدة وآل شحبل[١]، كما انتزعت قوات السلطان قرية عنق من آل المظفر من قبيلة آل شحبل.

والخلاصة إنه خلال الفترة الممتدة من ٢٩ من المحرم سنه ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م إلى ٢ جمادى الأولى من السنة نفسها، خاض السلطان بدر مع العمودي عدة حروب، واستطاع خلالها أن يخضع معظم القرى التابعة للعمودي وحلفائه في وادي دوعن ووادي عمد بما فيها قيدون، غير أنه لم يستطع أن يستولي على معقله الأساس (بضة)، رغم أنه فرض عليها الحصار خلال هذه الفترة ثلاث مرات، فاضطر أن يعقد معه صلحاً نص على إعادة قرية قيدون للشيخ العمودي، مقابل إعلانه الولاء والطاعة، ووضع الشيخ قرية الجبيل رهينة ضماناً لتنفيذ الصلح[٢].

بهذا الصلح الذي أبرمه السلطان مع الشيخ العمودي في ٢ جمادى الأولى سنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م تمكن السلطان من حصر نفوذ العمودي في منطقتي بضة وقيدون، ثم واصل خطته لفرض سيطرته العسكرية المباشرة على بقية القرى في وادي دوعن وهي قرى القرين، والخريبة، وشَرَق، ولا يعد هذا نقضاً للصلح الذي عقده لتوِّه مع الشيخ العمودي، فإن هذا الصلح قد حصر نفوذ العمودي بشكل واضح في منطقتي بضة وقيدون، ولم يعترف له السلطان بموجب هذا الصلح بغير ذلك. وأما بقية القرى في

(١) آل شحبل: فرع من قبيلة آل تميم التي تسكن شرق تريم، محمد بن أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ج٢، ص: ٣٥٢، ٣٥٤.

(٢) محمد بن عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:٢٥٣- ٢٥٥،سالم بن حميد : تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثه، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ١٨٦.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وادي دوعن فقد كانت خاضعة للسلطان بدر، تتولى حكمها قبيلة نهد نيابة عن السلطان بموجب الصلح الذي عقده معها سنة ٩٣٩هـ/ ١٥٣٢م. وقد سبقت الإشارة إلى ذلك، ولم يتغير في وضع هذه المناطق إلا أسلوب الحكم الجديد الذي انتهجه السلطان بدر، وقد تمكن من إخضاع هذه المناطق لسيطرته العسكرية بمساعدة زعماء القبائل فيها؛ حيث استمالهم بواسطة المبالغ المالية التي دفعها لهم ثمناً لقبولهم بهذا الوضع، كما اتجه إلى مصالحة بعض قبائل وادي عمد فأعاد آل شحبل وآل عبد الله إلى قراهم في ربيع الأول سنة ٩٤٦هـ/ ١٥٣٩م[1].

هذا الأسلوب الجديد الذي انتهجه السلطان بدر في إخضاع منطقة وسط وادي حضرموت وغربه، من خلال السيطرة العسكرية المباشرة لقواته بدلاً من الاعتماد على قبيلة نهد قد أثار حفيظة نهد، وأدى إلى حدوث خلاف بينها وبين السلطان بدر؛ لأن هذا الأسلوب يعتبر خرقاً للصلح الذي عقده معها في سنة ٩٣٩هـ/ ١٥٣٢م، وقد حرمها بتخليه عنه من مصالح سياسية واجتماعية واقتصادية كبيرة؛ حيث فقدت السند الذي يمنحها النفوذ السياسي والاجتماعي الكبير بين قبائل حضرموت، كما حُرِمَت من الإيرادات الكبيرة التي كانت تحصل عليها مقابل قيامها بالدور العسكري الذي تفرض به هيبة الدولة.

ولعل السبب الذي جعل السلطان بدرًا ينتهج هذا الأسلوب اعتقاده أنه قد وصل إلى مرحلة متقدمة في بناء جيشه، وأن هذا الجيش أصبح قادراً على حماية أراضي الدولة،

(١) محمد عمر بافقيه: نفس المرجع، ص: ٢٥٥، سالم بن حميد: نفس المرجع، ص: ١٨٧.

وبسط نفوذها في جميع الأراضي التابعة لها بعد أن تمكن من تعزيزه بعناصر مدربة من الأتراك والبرتغاليين والأشراف الزيدية وغيرهم، مما جعله يعتقد أنه صار في غنىً عن الخدمات التي تقدمها نهد، خصوصاً وأن الأسلوب القديم الذي يعتمد على القبائل في بسط نفوذ الدولة يكلفه الكثير، إضافة إلى أنه غير مضمون بسبب شدة الولاء للقبيلة، مما يجعل الدولة تحت رحمة زعماء القبائل على الدوام.

ومما زاد الطين بلة أن السلطان بدرًا اختار لمهمة بسط سيطرته على منطقة الكسر غرب حضرموت ووسطه منذ عام ٩٤٦هـ/ ١٥٣٩م وهي المنطقة التي تسكنها نهد الشريف ناصر وعساكره من الأشراف الزيود، وهو الأمر الذي لا يمكن أن تقبله نهد بحال من الأحوال، كما أن السلطان سلّم الشريف ناصرًا أمر ثلاث قرى رئيسة في منطقة الكسر، ولهذا السبب دخل الشريف ناصر ومن معه من الأشراف وعساكر السلطان في اشتباكات كثيرة مع قبائل المنطقة، أدت إلى نمو مشاعر الكراهية بينهم، من ذلك تلك الغارة التي قام بها الشريف ناصر وعساكر السلطان من بادية آل كثير والمهرة، على بادية نهد سنة ٩٤٦هـ/ ١٥٣٩م فقتلوا من نهد ثمانية، ونهبوا ثلاثمائة من الإبل التابعة لهم[١].

ورداً على هذا الإجراء، وما اقترن به من غارات وأحداث اتجهت نهد نحو قبائل المسفلة شرق وادي حضرموت، من آل ظنه جهة تريم وما حولها، لتشكيل حلف قبلي فيما بينهم في شهر صفر سنة ٩٤٦هـ / ١٥٣٩م[٢]، فسعى السلطان بدر إلى استرضائهم

(١) محمد بن عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ٢٦٩ – ٢٧١، محمد بن هاشم : تاريخ الدولة الكثيرية ، ص: ٤٦

(٢) سالم بن حميد : تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ١٨٨.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

والحيلولة دون توقيع هذا الحلف، فأعطى لهم حريضة، واشترط عليهم ترك أهل (المسفلة)، وعدم توقيع الحلف معهم، واشترطوا عليه أن يُرجِع عساكر القبلةِ يقصدون به الشريف ناصرًا وعساكره إلى بلادهم فقبل شرطهم[١].

إن السلطان بدرًا لم يكن جاداً في تنفيذ هذا الشرط وإنما قبله بهدف الحيلولة دون قيام هذا الحلف القبلي، فقد قامت عساكره في شهر ربيع الأول سنة ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م بأخذ وادي عمد من نهد بعد اشتباك قُتل فيه منهم عدد من الرجال، من بينهم المقدم فارس بن عبد الله بن علي آل عامر[٢].

وقد تركت هذه الحادثة أثراً سلبياً على علاقة السلطان بدر مع نهد، التي تحولت من صف الحليف للسلطان بدر إلى صف العدو، وأخذت منذ ذلك التاريخ تبحث عن حلفاء جدد ضد السلطان بدر.

ومن الواضح أن السلطان بدرًا كان مخطئاً عندما تخلى عن نظام العهدة الذي أثبت نجاحه في منطقة غرب وادي حضرموت وسطه، وأنه كان مستعجلاً عندما ظن أنه صار في غنىً عن خدمات نهد، وأن جيشه صار قادراً على بسط نفوذه في منطقة مليئة بالخصوم الأقوياء، فإن هذا الجيش لا يزال حتى تلك الفترة في طور البناء والتكوين، كما أن العقلية القبلية الحضرمية لم تتقبل فكرة الإذعان للجيش النظامي.

(١) محمد بن عمر بافقيه: المرجع السابق، ص : ٢٧٤.

(٢) نفس المرجع، ص: ٢٨٠.

لم تفلح كل الجهود السابقة في نزع فتيل النزاع القائم بين السلطان بدر وأخيه السلطان محمد، بل ظل هذا النزاع يتصاعد حتى وصل إلى مرحلة حرجة، عندما قام السلطان محمد بعقد عدد من التحالفات مع بعض قبائل وادي حضرموت خلال شهر ربيع الآخر سنة ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م، وأهم هذه التحالفات هي :

- توقيع الصلح مع قبائل المسفلة شرق وادي حضرموت أهل مشطة والواسطة وهم الصبرات وآل أحمد، وآل عمر، وعَبِيد آل يماني.
- توقيع تحالف مع قبيلة آل عامر من نهد.
- توقيع تحالف مماثل مع آل باجري من آل كثير من قرية بور.

ونتيجة لذلك تقدم مقدم آل باجري عبد الله بن محمد بن زامل قبيلته واستولى على قرية مقيبل[1] وحصونها[2].

هذه التحالفات رأى فيها السلطان بدر خطراً حقيقياً يقلّص نفوذه، ويقوّض جهوده، ولذلك جوبهت بردود فعل سريعة من جانبه وجانب معاونيه في إدارة شؤون وادي حضرموت كالأمير عطيف بن علي بن دحدح، وعبد الله بن المرهون الكثيري.

ففي البداية أرسل السلطان بدر من الشحر علي بن عمر الكثيري لمعالجة الموضوع، بالتعاون مع حلفاء السلطان ومعاونيه في الوادي، غير أن تطورات الموقف في جمادى

(١) مقيبل: من القرى المجاورة لبور.

(٢) محمد بن عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:٢٨١، سالم بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:١٨٩.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الأولى سنة ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م جعلت أمير وادي حضرموت الأمير عطيف بن علي بن دحدح ومعه علي بن عمر بن جعفر الكثيري، وآل عبد العزيز من آل كثير يشددون على ضرورة حضور السلطان بدر بنفسه إلى وادي حضرموت[١].

استجاب السلطان بدر لذلك، وفي الثاني عشر من الشهر نفسه، سار من الشحر إلى وادي حضرموت، وأهم الخطوات التي قام بها هي: بناء حصن الريدة بقرن العليب لما لهذا الموقع من أهمية حربية، فالمعروف من جغرافية حضرموت أن ريدة الجوهيين وريدة المعارة تتوسط حضرموت في المرتفعات الوسطى، ومنها تتفرع الطرق إلى وادي حضرموت، والسيطرة على هذا الموقع تمكِّن من تأمين هذه الطرق والسيطرة عليها[٢].

وبينما كان السلطان بدر في هذه المنطقة قدمت إليه قبيلة آل يماني، وتم توقيع صلح معها: تضمن أن يكون حكم تريم لآل دويس من آل يماني وهم من بني ظنة، على أن يعلنوا الولاء والطاعة والتبعية للسلطان بدر. كما تم تحديد قرية حيد قاسم[٣] لتكون خاضعة لحكم آل عمر، وعليهم الولاء والطاعة و التبعية للسلطان[٤].

ثم واصل السلطان بدر سيره باتجاه وادي حضرموت إلى سيئون، وفي هذه الأثناء سار السلطان محمد إلى القارة، وانتقل إليه آل باجري، عند ذلك تحرك السلطان بدر يقود قواته، وفرض حصاراً على القارة، وانتزعها بالقوة من أخيه محمد، مما زاد من هُوَّة

(١) سالم بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:١٩٠.

(٢) محمد بن عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ٢٨١ – ٢٨٢.

(٣) قرية حيد قاسم: تقع عند المدخل الجنوبي لمدينة تريم، بسفح الجبل.

(٤) محمد عمر بافقيه، نفس المرجع، نفس الصفحتين.

النزاع بين الأخوين، ودفع بالسلطان محمد إلى تجميع أولاده وأنصاره من بادية آل كثير في ظفار، ودخل بهم إلى قشن، وفيها جَنَّدَ أعداداً من قبائل المهرة، بهدف إعادة القارة من أخيه بدر. وظلت هذه القوة مرابطة مع السلطان محمد من شهر شعبان إلى آخر رمضان سنة٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م، يصرف عليها الأموال، ولكنها لم تنفذ مهمتها، وتطورت الأمور عندما نشأ خلاف بين عساكر السلطان محمد وقبائل المهرة، أدى إلى أن تقاتل الطرفان، وتعرض البعض للإصابات، ونتيجة لذلك تفرقت هذه القوة، وكانت هذه هي المحاولة الأخيرة للسلطان محمد في نشاطه السياسي[١].

ونتيجة لتحالف قبيلة نهد مع السلطان محمد قاد السلطان بدر قواته إلى منطقة الكسر وسط وادي حضرموت وغربه بهدف تأديبهم، فقد أثار تحالفهم مع السلطان محمد غضبه، وتسارعت وتيرة التدهور في العلاقة بين الطرفين، ففي التاسع والعشرين من ذي الحجة سنة ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م أخذ السلطان بدر قرية الهجرين من آل علي بن فارس، وأخرج منها ثابتًا وأولاد أخيه محمد علي بن فارس إلى قرية سور آل عامر تحت حراسة آل كثير[٢]، كما انتزع القرى الواحدة تلو الأخرى من أيديهم حتى أخذ جميع القرى، وكل ما كان تحت أيديهم من ممتلكات، وبنى عليهم حصناً في قرية سور آل عامر، ولم يفلح مقدمهم محمد بن علي بن فارس في مسعاه لدى الإمام شرف الدين يحيى، الذي كان مشغولاً بأمور دولته، ولهذا لم يستجب له، فعاد المقدم بخفي حنين في صفر ٩٤٨هـ/ ١٥٤١م[٣].

(١) محمد بن هاشم : تاريخ الدولة الكثيرية ، ص : ٣٣.

(٢) محمد بن عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:٢٨٢، ٢٨٧، محمد بن هاشم: نفس المرجع، ص: ٤٦- ٤٧.

(٣) سالم بن حميد : تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ١٩٠-١٩١

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ولما وصلت الأمور إلى هذا الحد، اتجه المقدم محمد بن علي بن فارس إلى سيئون، وقابل السلطان بدرًا، وطلب منه أن يسمح للقبيلة بالبقاء فقط في قرية سور آل عامر، من غير الحصول على أية إيرادات أو ميزات أخرى مما كانوا يعتادونه[1].

وبذلك استطاعت قوات السلطان أن تحقق الهدف التأديبي الذي تحركت من أجله، فإن هذه المشاهد المهيمنة توضح مدى الضعف الذي صارت إليه قبيلة نهد، ومدى التدهور الرهيب في علاقاتهم بالسلطان بدر.

وتلاحقت الأحداث بعد ذلك، ووصلت بعض الأخبار إلى السلطان بدر في شهر رمضان ٩٤٨هـ/ ١٥٤١م، أن هناك مشاورات تجري بين نهد والشيخ العمودي وقبائل المسفلة بشأن تشكيل تحالف قبلي، وفي أثر ذلك قاد السلطان بدر قواته إلى وادي دوعن في شهر رمضان من السنة نفسها، ونظراً لما يعلمه السلطان بدر من الطبيعة المتمردة للشيخ العمودي فقد باغته قبل أن يعلن تمرُّدَه، وزحف بقواته واحتل عدداً من القرى التابعة له، واقتحم قيدون ثانيةً، ومارس فيها أعمال السلب والنهب و الإفساد، غير أنه لم يكرر المحاولة لدخول بضة، ولعل الذي منعه من محاولة دخولها ما علمه من تحصيناتها التي كانت سببًا في فشل محاولاته السابقة[2].

بعد هذه المحاولات فكَّر السلطان بدر في طريقة ذكية يستطيع بها سحب البساط من تحت أقدام الشيخ العمودي، وتجريده من زعامة قبيلته، فاتفق في سنة ٩٤٩هـ/ ١٥٤٢م مع آل العمودي في قيدون على أن يسلمهم هذه القرية، شريطة أن تجرَّد من الطابع

(١) نفس المرجع: ١٩١.

(٢) محمد بن عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ٢٨٨ - ٢٨٩.

السياسي والعسكري، وتحتفظ بالطابع الديني فقط، أي تكون (حوطة)، وبالفعل تم تخريب حصنها، واختيار الشيخ عبد الرحمن بن أحمد العمودي منصبًا لهم. وبهذا الأسلوب حقق السلطان هدفه؛ حيث انتقلت زعامة القبيلة من الشيخ عثمان إلى أخيه، وانحصر نشاط القبيلة في الجانب الديني دون الجانب السياسي[١].

هذه النجاحات التي حققها السلطان بدر في القضاء على التحالفات القبلية، التي سعى إلى تشكيلها أخوه السلطان محمد، ثم التحالف الذي سعت إلى تشكيله نهد والشيخ العمودي وقبائل المسفلة لم تكن نهاية المطاف بالنسبة للسلطان بدر، فهو يعلم بحكم التجربة أن المحاولات بشأن إقامة هذه التحالفات لن تتوقف، ولهذا أخذ يعمل بدأبٍ على تهدئة الأوضاع في وادي حضرموت، ومال إلى مصالحة القبائل هناك للحيلولة دون قيام هذه التحالفات.

ففي رجب سنة ٩٤٩هـ/ ١٥٤٢م وقَّعَ صلحًا مع آل عامر من نهد، وأعادهم إلى قريتهم السور، وبنى لهم السور، كما اصطلح في شعبان من السنة نفسها مع قبائل المسفلة شرق وادي حضرموت، ولضمان تنفيذ الصلح وضع آل أحمد قرية اللسك رهينة لهم.

ووضع الصبرات قرية الواسطة رهينة لهم. أما السلطان فقد وضع قرية دمُّون و(حِيد قاسم) رهينته ضماناً لتنفيذ الصلح، وأعطى عبيد آل يماني إيرادات تريم[٢].

ولم يبق إلا الشيخ العمودي الذي فشلت جميع المحاولات التي بذلها السلطان بدر لإخضاعه أو لتوقيع صلح معه، أسوة ببقية قبائل وادي حضرموت الأخرى؛ حيث أن

(١) نفس المرجع، ص: ٢٩٦.

(٢) سالم بن حميد : تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ١٩٣.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الشيخ العمودي امتنع من الصلح. إضافة إلى ذلك فإن الشيخ العمودي كان قد حصن وادي دوعن من جهة ريدة بامسدوس. ومن جهة الخريبة التي بنى بها حصناً منيعاً للحيلولة دون دخول قوات السلطان بدر إليه، الأمر الذي جعل السلطان بدرًا يشنُّ هجومًا قويًّا في شهر ذي القعدة سنة ٩٤٩هـ/ ١٥٤٢م على بعض قرى وادي دوعن منها الخريبة، في جمع كثير من المقاتلين، وحاول أيضًا إحداث خراب في قناة بضة الرئيسة، عند ذلك حدثت معركة بين عسكر السلطان وقوات الشيخ العمودي، وسقط قتلى من الجانبين، وانتهت المعركة من غير أن يحرز السلطان نصرًا على العمودي[1].

لم يمض على الصلح الذي وقعته قبائل المسفلة شرق حضرموت مع السلطان بدر سوى عامين، حتى تحالفت فيما بينها في شهر المحرم سنة ٩٥١هـ١٥٤٤م، وزحفت على اللسك ضد حاكمها عمر بن عبد الرحمن بن جسار، وكذلك قرية العجز وحاكمها ابن الأشرف ـ من عسكر الشريف ناصر ـ، ودارت معركة قتل فيها حاكم اللسك، وبذلك نقضوا صلحهم مع السلطان بدر، لكن قوات السلطان تحركت، يقودها أحمد بن عطيف، وعلي بن عمر الكثيري، فهاجمتْ قرى القبائل المتحالفة، وانتزعتها منها وألحقت بها الهزيمة[2].

وفي غرب وادي حضرموت تحالف الشيخ العمودي مع آل عامر من قبيلة نهد، على خلفية ما حدث في شهر ربيع الأول سنة ٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م، عندما أقدم الأمير محمد بن عمر بحرق، أمير السلطان بدر في وادي حضرموت على اعتقال عدد من آل عامر، وآل

(١) نفس المرجع، نفس الصفحة.

(٢) محمد بن عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ٣٠٣.

مخاشن، ثم بعث برسالة إلى الشحر يخبر السلطان فيها بما فعل، فأمر السلطان بأخذ الخيل لعدد من زعماء آل عامر كانوا عنده في الشحر، وتم تنفيذ الأمر بالفعل، وأما هؤلاء الزعماء أنفسهم فقد لاذوا بالفرار من الشحر(١).

ولما علم السلطان بأمر هذا الحلف جهز حملة عسكرية في شهر ربيع الآخر ٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م لمحاربة هذا الحلف، فاتفق الحليفان على محاربة السلطان، وكانت خطتهما أن يتجه آل عامر لمحاصرة شبوة، ويثور العمودي في دوعن(٢).

وبدأت العمليات الحربية بالفعل في شهر شعبان من السنة نفسها، عندما حاصر جيش السلطان، الذي يقوده القائد يوسف التركي وعلي بن عمر الكثيري الشيخ العمودي في بضة، واستمر هذا الحصار مفروضًا حتى شهر رمضان.

وأما على الجبهة الأخرى فقد قاد السلطان بدر حملته بنفسه إلى شبوة التي يحاصرها آل عامر من نهد، غير أنهم هربوا عند وصول حملة السلطان بدر، ورغم ذلك فضّل السلطان بدر بقاء الحملة لتحقيق سيطرة الدولة الكثيرية على القرى المجاورة لشبوة.

و أما في منطقة الكسر، فقد شنت قبيلة نهد بعد فرارها من شبوة في شهر رمضان من العام نفسه هجوماً معاكساً على تلك المنطقة، وعاصمتها هينن، وتمكنت من أخذ بعض القرى، ومنها قرية حصن الماء، ثم توجهت إلى بضة، لفك الحصار المفروض على الشيخ العمودي، وتمكن هذا الحلف من إلحاق الهزيمة بجيش السلطان، رغم ما لديه

(١) محمد بن عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ٣٣١، محمد بن هاشم : تاريخ الدولة الكثيرية، ص: ٤٧.

(٢) محمد عمر بافقيه: نفس المرجع، ص:٣٣١-٣٣٢، محمد بن هاشم: نفس المرجع، نفس الصفحة.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

من الأسلحة النارية[١]، ثم تجمعت قوات هذا الحلف في منطقة الكسر، ودخلت مع عساكر السلطان في اشتباكات عنيفة، كان أهمها ما حدث في قرية تابعة للمقاريم من نهد، حيث هُزمت عساكر السلطان، و جرح قائدها الأمير عنبر[٢].

هذه الهزائم المتلاحقة كانت مؤشرًا خطيرًا، يدل على أن الضعف بدأ يدب في جيش السلطان رغم ما يملك من السلاح وما يضم من الرجال.

وبعد الانتصارات الكبيرة التي حققتها قوات العمودي وآل عامر على قوات السلطان بدر تعززت الروح المعنوية لديهم، وسعى قادة هذا الحلف القبلي إلى توسيع الحلف من خلال حشد القبائل الأخرى، وضمها إليه وتزويد قواته بأفضل أنواع الأسلحة النارية كالبنادق و المدافع، و أبدى العمودي استعداده لاستيراد هذه الأسلحة، وتحمل نفقات هذه الحملة، وبالفعل تمكن هؤلاء القادة من ضم قبائل آل عبد الواحد من حبان إلى الحلف، كما تم تجهيز قواته بالأسلحة النارية، ثم اتجهت هذه القوات بقيادة العمودي إلى شبوة[٣].

أما على صعيد جبهة السلطان بدر فقد كانت الأوضاع سيئة للغاية؛ حيث كانت تصله أخبار التحالف القبلي المعارض الآخذ في الاتساع عن طريق أميره على وادي حضرموت الفقيه محمد بن عبد الله بحرق، فجاءت توجيهاته بأن يتولى قيادة القوات السلطانية علي بن عمر الكثيري، فبدأ هذا القائد على التو، في بذل محاولاته لتجميع القبائل لمساندة جيش السلطان، الذي هو بصدد التحرك إلى شبوة لمواجهة العمودي

(١) سالم محمد بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:٢٠١

(٢) محمد بن عمر بافقيه: المرجع السابق، ص: ٣٣٢، محمد بن هاشم: المرجع السابق، ص : ٤٩.

(٣) سالم محمد بن حيمد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ٢٠١

وحلفائه، غير أن محاولاته باءت بالفشل؛ حيث رفض بادية آل كثير في المرتفعات الشمالية من حضرموت المشاركة، كما اتخذت الموقف نفسه القوة المرابطة في شبام[١].

ولا يخفى أن هذا التخاذل في موقف آل كثير كان نتيجة طبيعية للنزاع حول السلطة داخل هذه القبيلة، كما أنه يشكل ردة فعل طبيعية ضد سياسات السلطان بدر، القائمة على الاستعانة بغيرهم في جيشه.

وإلى جانب مؤشرات الضعف والتخاذل، برزت أيضًا عوامل أخرى، ساهمت بشكل كبير في التأثير السلبي على معسكر السلطان، ومن هذه العوامل:

- أن الأمير يوسف التركي وعلي بن عمر الكثيري، لم يتفقا على رأي واحد لمواجهة قوة الخارجين عن طاعة السلطان.

- موت الأمير الفقيه محمد بن عبد الله بحرق في هينن، وتأثيره السلبي على معسكر السلطان، حيث أخذ قائدا القوات السلطانية جميع ما في الحصن من أموال، ودروع، وسارا بها إلى شبام، وتركا وديان الكسر وغرب حضرموت وهي تشهد عامئذ موسماً زراعياً جيداً، ويعني ذلك أنهما فرَّطا في حصة الدولة من ريع ذلك الموسم، وأما قوات السلطان فتفرقت بها السبل، وأخذت الأمور تسير من سيء إلى أسوأ، حتى بات السلطان يواجه مستجدات خطيرة تهدد كيان الدولة بالسقوط[٢].

(١) محمد بن عمر بافقيه : تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ٣٣٢ - ٣٣٣، سالم بن حميد: نفس المرجع، ص: ٢٠٢، ٢٠٥.

(٢) محمد بن عمر بافقيه: نفس المرجع، ص: ٣٣٣، سالم بن حميد: المرجع السابق، ص: ٢٠٥.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

في هذه الفترة الحرجة التي مني فيها جيش السلطان بهزائم مريرة على يد العمودي وحلفائه جدَّت تطورات خطيرة داخل قبيلة آل كثير. ففي شهر جمادى الأولى سنة ٩٥٦هـ/ ١٥٤٩م. نشأ تحزب كثيري مناهض لسلطة السلطان بدر بوطويرق، فقد تحالف آل عبد العزيز، وعلي بن عمر الكثيري (قائد قوات السلطان)، وبادية آل كثير، وانضم إليهم آل العامري، من قرية تاربة شرق سيئون[1].

ولما علم السلطان بدر من أمرائه في حضرموت بهذا التحالف الجديد، أرسل الشيخ محمد بن أبي بكر عباد، وجعفر بن محمد بن علي بن رابضة، إلى آل عبد العزيز والعوامر محاولة منه لاحتواء الموقف، والحيلولة دون قيام هذا التحالف الذي يهدف إلى الخروج على سلطانه.

لكن الأمر قد تجاوز حدود السيطرة، و أصبح أكثر خطورة؛ حيث نجح علي بن عمر الكثيري ومن تحالف معه من ال كثير و والعوامر في تكوين تحالف قبلي أوسع، يشمل عددًا من أقوى قبائل وادي حضرموت؛ حيث انضم إلى القبائل المؤسسة للحلف آل باجري وآل عامر من نهد، والشيخ العمودي.

ولذا أسرع الشيخ عباد إلى الشحر، و أطلع السلطان على الواقع الجديد، بينما اتفق المؤسسون لهذا الحلف الواسع في الشهر نفسه على أن يجتمع آل عامر مع قوات الشيخ العمودي في منطقة الكسر ويتمركزوا حول قرية سور آل عامر، على أن تكون مهمتهم بناء سور آل عامر وإعادة بناء بيوتهم في منطقة الكسر، والبقاء فيها، وأما آل عبد العزيز

(١) محمد بن عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ٢٠٥، سعيد عوض باوزير : صفحات من التاريخ الحضرمي، ص : ١٣٠.

وعلي بن عمر الكثيري وآل باجري فمهمتهم اقتحام قرية بور والاستيلاء عليها، وقد نفذ الفريقان ما تم الاتفاق عليه في جمادى الأولى سنة ٩٥٦هـ/ ١٥٤٩م[١].

ولهذا كتب الأمير عنبر من سيئون إلى السلطان بدر بالشحر يخبره بما حدث في بور، فجهز السلطان بدر حملة قوية قادها بنفسه، ووصلت يوم الإثنين الحادي والعشرين من جمادى الأولى من السنة نفسها إلى سيئون، وأخذ يكتب إلى علي بن عمر الكثيري وآل عبد العزيز فلم يستجب له أحد.

عند ذلك سار السلطان بدر إلى بور وقد غادرها الجميع، وتركوها خالية، وتفرقت بهم السبل، فمنهم من سار إلى الكسر، ومنهم من اتجه إلى الهضبة الشمالية حيث تسكن بادية آل كثير، ومنهم من سار إلى تريم، وقام هؤلاء بغارة على تريم مارسوا فيها السلب والنهب وترويع الناس، واشتبكوا مع عساكر السلطان التي تساندها بعض القبائل، فقتل أمير تريم غانم بن عطيف المعيّن من قبل السلطان، وأحد الرماة في حصن تريم، أما القوة المغيرة فمنهم من قتل، ومنهم من جرح، ومنهم من نجا[٢].

وسار السلطان بدر إلى هينن فأرسل كتاباً إلى آل عامر فوقَّع صلحاً وأطلق سراح أولاد آل عامر من حصن الهجرين، كما أطلق سراح آل مخاشن، وأعادهم إلى قريتهم، لكن هذا الصلح لم ينه مسائل الخلاف الرئيسة بين الطرفين، وسرعان ما نقضته قبيلة آل عامر[٣].

(١) محمد بن عمر بافقيه:نفس المرجع، ص: ٣٣٣، سالم بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق عبدالله الحبشي، ص: ٢٠٥، محمد بن هاشم : تاريخ الدولة الكثيرية، ص: ٤٩.

(٢) سالم بن حميد : تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:٢٠٥.

(٣) نفس المرجع، نفس الصفحة، محمد بن هاشم : تاريخ الدولة الكثيرية، ص : ٤٩.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

لم تأخذ قبيلة آل عامر صلحها مع السلطان بدر الذي وقعته في جمادى الأولى سنة ٩٥٦هـ/ ١٥٤٩م مأخذ الجد، ففي بداية شهر جمادى الآخرة من السنة نفسها قامت بتوجيه الدعوة لآل عبد العزيز، واجتمع الجميع في الكسر، وتم الاتفاق على أن تقوم كل قبيلة بالاستيلاء على قريتها، والانفراد بحكمها، وتم بالفعل تنفيذ هذا الاتفاق خروجاً على طاعة السلطان(١).

ولم تكتفِ هذه القبائل بذلك بل انتقلت إلى انتهاج استراتيجية الهجوم، حيث تجمعت وحاصرت هينن، ثم اتجهت شرقاً ونفذت غارة على شبام، ويُعدُّ هذا تحدياً صارخاً لسلطة السلطان(٢).

وعندما علم السلطان بدر بما حدث في هينن وشبام، بادر بالتوجه بقواته غرباً لمواجهة هذا الموقف، غير أنه توقف في الغرفة، ورأى أن قواته ليست قادرة على مواجهة هذه التطورات الخطيرة، فعمل على تعزيز موقفه من ناحيتين:

الناحية الأولى: تعزيز قواته ورفدها بدماءٍ جديدةٍ.

الناحية الثانية: إضعاف تحالف الجبهة المعادية.

فمن الناحية الأولى كتب إلى الشريف ناصر ((صديق الأمس)) يطلب منه أن يمده بمائتين من الخيالة، ليجندهم في جيشه، مقابل مبلغ من المال، غير أنه لم يستجب لطلبه.

(١) سالم بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:٢٠٥.

(٢) محمد بن عمر بافقيه : تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:٣٣٤.

ومن الناحية الثانية قام بتوقيع صلح مع الشيخ العمودي في شهر رجب سنة ٩٥٦هـ/ ١٥٤٩م لما يعلمه من التأثير الفاعل للشيخ العمودي في هذا الحلف المعارض[١].

ورغم محاولاته هذه فإنه بدأ يقتنع أن دولته تتعرض بالفعل لأخطار حقيقية تهددها، وأن ميزان القوى قد تغير لصالح الحلف القبلي الواسع المعارض له، وأن دولته بعد أربعة عقود من الصراع المستمر لم تعد قادرة على الدفاع عن نفسها، وحماية ممتلكاتها.

في ظل هذه الظروف التي كانت تواجه الدولة الكثيرية في وسط حضرموت وغربها، ظل عبيد آل يماني يشكلون قوة مناهضة للسلطان، لما تميز به هؤلاء من الشجاعة والتمرس في الحروب[٢]، وقد حاول السلطان بدر أن يصالحهم من غير جدوى، ففي سنة ٩٥٩هـ/ ١٥٥٢م تجمع عبيد آل يماني في قرية ((الجرب))، بالقرب من تريم، لينظموا صفوفهم، للقيام بمعارضة السلطان بهدف التفرد بحكم قراهم، وقد بلغ عددهم خمسمائة رجل[٣]. ولما علم السلطان بدر بهذا التحرك، أرسل إليهم عساكره الذين فرضوا عليهم حصاراً قوياً، ومنعوا وصول أية إمدادات إليهم، مما اضطرهم إلى أكل الميتة والجلود، وعندما ساءت حالتهم أكثر، دخل عليهم عسكر السلطان، وأبادهم عن بكرة أبيهم[٤].

ومن جهة أخرى شنت قبيلة زياد المهرية هجوماً قوياً، يقوده زعيم القبيلة سعد بن عفرار، آخر جمادى الآخرة٩٥٩هـ/ ١٥٥٢م، على قرية عتاب على ساحل حضرموت، وتصدى لهذا الهجوم أمير الشحر كثير بن مسعود، ومحمد بن مطران، وعساكر السلطان في هذه القرية، ودارت معركة عنيفة، تمكنت قبيلة زياد فيها من محاصرة الحصن الذي

(١) نفس المرجع، نفس الصفحة.

(٢) محمد بن هاشم : تاريخ الدولة الكثيرية، ص : ٥٢ – ٥٣

(٣) نفس المرجع، ص : ٥٣.

(٤) سالم بن حميد : تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص : ٢٠٦.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

يتمركز فيه عسكر السلطان، مع قائدهم، كما أوقعت فيهم عدداً من القتلى والجرحى، منهم الأمير كثير بن مسعود، الذي تعرض لطعنة خطيرة، استسلم في إثرها جنوده، وطلبوا الأمان من زعيم القبيلة سعد بن عيسى بن عفرار المهري، فأمنهم على أنفسهم، أما بقية العساكر الذين كانوا خارج المبنى فقد تمكنوا من الهرب إلى حيريج[1].

وهذه واحدة من المعارك التي أظهرت بشكل واضح مدى الضعف الذي انتاب قوات السلطان بدر في مختلف الجبهات في الساحل والوادي.

وفي غرب وادي حضر موت واجهت السلطان بدرًا مشكلة أخرى سببتها حادثة قتل، وقد بدأت هذه الحادثة عندما أقدم السويبق الكثيري من آل علي بن بدر على قتل رضميم الشبيبي في شهر ذي الحجة ٩٦٤هـ/ ١٥٥٦م. فقام السلطان بدر بواجبه في مطاردة القاتل، ويعاونه في ذلك آل شبيب أولياء دم القتيل، ولما رأى آل علي بن بدر جدية السلطان في تعقب الجاني، وعدم التساهل في هذا الأمر، لجأوا إلى الشريف ناصر بن أحمد بن محمد بن حسين البهَّال أمير الجوف، وظلوا في الجوف حتى جمادى الآخرة سنة ٩٦٥هـ/ ١٥٥٧م، ثم تقدمت قواتهم بمساندة حليفهم الشريف ناصر، وهدفهم السيطرة على وادي حضرموت، ولما علم أمير حضرموت الداخل، بمنطقة الكسر، ووادي دوعن الأمير عطيف بن علي بن دحدح بهذا التحرك قاد عسكر السلطان، وتحالفت معه جماعة من قبيلة نهد وآل شبيب، واستعدوا لملاقاتهم بالقرب من ريدة الصيعر، أرض كندة شمال غرب وادي حضرموت، بالخيل والجمال والرجال والبنادق، ودارت رحى المعركة، وتساقط القتلى والجرحى، وتغلب معسكر السلطان على معسكر آل علي بن بدر وحلفائهم[2].

(١) محمد بن عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص : ٣٤١.

(٢) سالم محمد بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ٢٠٩.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وكان للنصر هذه المرة مذاق خاص؛ لأنه جاء في فترة ضعف واضح، تمر بها الدولة الكثيرية، تعرضت فيها لجملة من الهزائم المريرة، ولهذا كان التعبير عن الفرحة بهذا النصر صاخباً بالزوامل[١] وقصائد المديح، وهي الطريقة التي يلجأ إليها الضعفاء عادة، لتعزيز الثقة بأنفسهم، ورفع روحهم المعنوية.

وفي محاولات أشراف الجوف للاستقلال عن حكم الإمام المطهر، فقد طلب محمد بن ناصر بن أحمد البهَّال النجدة ومساندته ضد الإمام، فتحركت قوة عسكرية كبيرة من حضرموت يقودها أبناء السلطان بدر، وهما الابن الأكبر عبد الله وأخوه عمر، وشارك في قيادة هذه القوة الأمير سعيد بن عطيف أمير تريم في سنة ٩٧٢هـ/ ١٥٦٥م، وحققت هذه القوة مع حليفتها قوة الأشراف نصراً كاسحاً في الاستقلال بحكم الجوف والزاهر.

وهذا يوضح عودة العلاقة بين السلطان بدر وأبنائه مع أشراف الجوف آل البهال الحمزيين من ناحية، ولم تتحسن علاقة السلطان بدر بالإمام المطهر الذي خلف والده الذي توفي سنة ٩٦٥هـ/ ١٥٥٨م.

وتُظهر لنا هذه الحادثة مدى اشتراك أبناء السلطان بدر وهما عبد الله وعمر في قيادة بعض القوات السلطانية[٢]، وقد أشار الأستاذ / محمد بن هاشم بأن عبد الله الابن الأكبر للسلطان يشارك أباه في الحكم إدارياً وعسكرياً[٣].

وفي ساحل حضرموت برزت محاولات قبائل المشقاص المهرية للخروج عن طاعة السلطان والانفراد بحكمها، ولأجل إخمادها جهز السلطان سفناً يقودها الأمير مطران

(١) الزوامل: مفردها الزامل، نوع من الأشعار الشعبية تنشد بشكل جماعي في المناسبات المختلفة.

(٢) محمد بن عمر با فقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق: عبد الله الحبشي، ص: ٣٧٤.

(٣) محمد بن هاشم: الدولة الكثيرية، ص: ٦٠.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

بن مطران، وتتألف قواها البشرية من عساكر السلطان، من بينهم أعداد من آل كثير، وتجدر الإشارة إلى أن مشاركة آل كثير من الأسرة الحاكمة هذه المرة كانت كبيرة، وكان في مقدمتهم أولاد السلطان بدر، وهم عبدالله وعمر وجعفر ومحمد، كما شارك فيها عدد من أمراء المناطق من أبرزهم الأمير سعيد بن عطيف الذي تولى قيادة القوة البرية[١].

وقد تجمعت هذه القوات السلطانية يوم الإثنين الأول من رمضان سنة ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م في المشقاص، وقبل دخولها دارت معركة فاصلة بين القوات السلطانية وقبائل المشقاص، التي يقودها زعيم القبيلة عمر بن محمد بن طوعري، وبحكم الإعداد الجيد وحسن التجهيز حققت القوات السلطانية البدرية النصر[٢].

ويلاحظ من ذلك مشاركة أبناء السلطان بدر في هذه الحملة، وهذا يدل على مشاركتهم في تولي بعض المهام الإدارية والعسكرية، ومن خلال متابعتنا لأسلوب السلطان بدر العسكري خلال توسعاته، أو حملاته على الزعامات القبلية الخارجة على سلطانه رأينا وقوعه في بعض الأخطاء منها التعجل في إرسال الحملات العسكرية المتعاقبة، فما أن تتمكن هذه القوات السلطانية من فرض سيطرتها على منطقة ما حتى يشرع بالتفكير في فرض السيادة على منطقه أخرى، ويسحب هذه القوة العسكرية من المنطقة ليعزز قوته في المنطقة الثانية، هذا الأسلوب أثار أمامه جملة من المشكلات من

(١) محمد بن عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:٣٨٨، سعيد عوض باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص : ١٢٨.

(٢) سالم بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ٢١٣، محمد بن هاشم: الدولة الكثيرية، ص : ٤٨ – ٤٩.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

بينها قيام التحالفات القبلية المناهضة للدولة، أو قيام زعماء القبائل في بعض المناطق الحضرمية بإعلان تمردهم على السلطان بدر، ومحاولاتهم التفرد بحكم مناطقهم، الأمر الذي أثقل كاهل الدولة بالخسائر المادية والبشرية.

أما بالنسبة للسلطان محمد ونزاعه مع السلطان بدر على السلطة، فقد مر بنا أنَّ آخر محاولاته السياسية كانت سنة ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م، عندما حاول استعادة قرية القارة بإقليم ظفار، وبعد ذلك لم تُظهر لنا المراجع أي نشاط سياسي أو عسكري من قبل السلطان محمد بل أظهرت لنا إشارة أن السلطان محمدًا كان مرافقاً لأخيه بدر، عندما تم إخضاع المشقاص وقشن سنة ٩٥٣هـ/ ١٥٥٢م[١].

وبعد ذلك عاد الأخوان إلى الشحر معاً، وعندما وصلت الأخبار بخروج المهرة في قشن، وقتلهم الأمير مطران بن مطران في السنة نفسها اعتقل السلطان بدر أخاه محمدًا واتهمه بأنه وراء ذلك، ثم أفرج عنه بعد فترة وجيزة بعد أن تأكد له أن الاتهام كان خاطئاً[٢].

ومنذ ذلك التاريخ توقف نشاط السلطان محمد السياسي، وهجمت الشيخوخة بضعفها ومتاعبها عليه، فنبذ السياسة جانباً، وقضى بقية حياته في الشحر في كنف السلطان بدر، وظل بها هادئاً حتى وافته المنية في شهر ذي الحجة سنة ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م، ودفن بالشحر بجوار قبر والده[٣].

(١) محمد بن عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص:٣٢٢.

(٢) سالم محمد بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ١٩٨.

(٣) محمد بن عمر بافقيه: المرجع السابق، ص: ٣٨٨، محمد بن هاشم : تاريخ الدولة الكثيرية، ص: ٣٣.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

يمارس السلطان بدر بن عبدالله بو طويرق مهامه اليومية كعادته في حصن الدولة بسيئون، وفي الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر ٩٧٦هـ/ ١٥٦٨م حدث أمر عظيم التأثير على مصير الدولة الكثيرية، حيث صعد ابنه الأكبر عبد الله مع جماعة إلى الحصن، وألقى القبض على أبيه، سلطان الدولة الكثيرية، الذي بلغ من العمر أربعة وسبعين عاماً، وأودعه سجن مريمة، وأعلن نفسه سلطاناً للدولة الكثيرية، واستولى على حصون حضرموت، ووقع تحالفات مع قبائلها المختلفة، وقد ساعده في ذلك بعض المقرَّبين إليه(١).

وقد برر الابن عبدالله بن بدر فعلته تلك بأن تصرفات أبيه أصبحت غير متوازنة، وأنه ضاق ذرعاً بتلك التصرفات(٢).

وأشار الأستاذ ابن هاشم أن الابن الأكبر للسلطان بوطويرق عبدالله بن بدر شارك أباه في الحكم، غير أنه أخذ يتضايق من بعض الأوامر والتصرفات التي تصدر عن أبيه، ورأى أن استمرار هذه الحالة ستلحق الضرر بالدولة وسياساتها المختلفة(٣).

ويحق لنا التساؤل حول هذه الحادثة هل كانت رغبة من الابن بالحكم؟ أم كانت خوفاً على ضياع هيبة الدولة ؟ أم كان الابن صادقاً حين برر فعلته تلك بما ادعاه من تصرفات والده التي تثير القلق والخوف؟

---

(١) محمد بن عمر بافقيه: نفس المرجع ، ص: ٣٩٢.

(٢) محمد أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ج ٢، ص : ٢٤١ – ٢٤٢، محمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، ص:٥٤.

(٣) محمد بن هاشم : نفس المرجع،ص: ٦٠.

لم تظهر كتب التاريخ المعاصرة لعهد السلطان بدر أية أحداث تؤكد اختلال توازن تصرفاته، وربما كان هناك اختلاف في الرأي، وصراعات خفية أظهرتها تلك الحادثة على السطح[١].

لقد كان خبراً فاجعاً، تقبَّلَهُ الحضارمة بالدهشة خصوصاً أن السلطان بدرًا قد اكتسب شهرة، لا تضاهيها شهرة على مستوى داخل حضرموت وخارجها[٢]. ومكث السلطان بدر في السجن فترة وجيزة، ثم أفرج عنه لشدة مرضه، والفترة التي قضاها من يوم الاعتقال حتى وفاته مكث سنة وأربعة أشهر وأربعة أيام، وتوفي في شهر شعبان سنة ٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م، ودفن في مقبرة السلاطين بسيئون ، وهكذا غاب عن مسرح الحياة أبرز سلاطين الدولة الكثيرية الذي حكم أكثر من خمسين عاماً بعد حياة حافلة بالإنجازات، محفوفة بالصعوبات[٣].

ومن أبرز الإنجازات التي حصلت في عهد السلطان بدر بوطويرق: محاولاته الجادة لتوحيد حضرموت، من خلال حملاته التوسعية في مختلف أرجاء حضرموت، والوقوف بحزم في وجه الزعامات التي حاولت الانفصال عن دولته المركزية، وإنشاء كيانات سياسية خاصة بها، كما قضى على ظاهرة التناحر وأعمال السلب والنهب، وعاشت البلاد في عهده فترة مستقرة، كما تمكن من رد كيد الطامعين، والغزاة البرتغاليين، إضافة إلى سعيه في إنشاء جيش شبه منظم، واستعان فيه بقبائل حضرمية ويمنية وقوات تركية

(١) نفس المرجع، ص: ٥٤.

(٢) محمد أحمد الشاطري: المرجع السابق، ج ٢، ص : ٢٣٧..

(٣) محمد بن عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ص: ٣٩٥.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

وبرتغالية، كما بنى الأسطول البحري لحماية سواحل حضرموت. وتم في عهده تنظيم الأعمال الإدارية والمالية، ومن أبرزها ضرب العملة الخاصة بدولته، مما أثر على الحركة التجارية بالنمو والازدهار، وأولى التعليم اهتماماً خاصاً، كما توسعت حركة العمران والبناء.

كما تَفنن في إدارة البلاد، ووضع لكل منطقة أميراً وقائداً عسكرياً وقاضياً ومشرفاً على الأوقاف، وبنى في كل قرية أو منطقة حصناً ليكون رمزاً للدولة وهيبتها، يحرسها النقيب، وبجواره عدد من الرماة، وبجوار السلطان أمين سر الدولة، وأميرٌ، لعاصمة الدولة وقاضٍ وفقيهٌ عام ومشرفٌ على الأوقاف.

هذا بالإضافة إلى الأئمة والخطباء في المساجد، والمدرسين في الزوايا والمدارس الأهلية. وبسط نفوذ الدولة لتشمل جميع مناطق حضرموت، وأرسى مفهوم الدولة المركزية، الذي كان غامضاً مقارنة بمفهوم الحكم العشائري المناطقي القروي.

لقد شهدت حضرموت في عهده تطوراً في جميع المجالات التعليمية والاجتماعية والصناعية والزراعية والتجارية.

والحقيقة إن نهاية حكم السلطان بدر بهذه الطـريقة نهاية مذلَّة ومهينة ومؤسفة، وأن حجة عدم توازن تصرفاته ليست مؤكدة، بل إن السلطان ظل يمارس مهامه بشكل طبيعي حتى يوم اعتقاله. وفي تقديرنا أن بريق السلطة والرغبة في الزعامة منعت الأمير عبدالله من التفكير بشكل متأنٍ ومدروس، فتعجَّل الوصول إلى السلطة، خلافاً للأصول التي تقتضي انتظاره إلى نهاية حكم والده، أو إقناعه بالتنازل عن السلطة وتسليمها له، أو توسيع مهامه ومسؤولياته السياسية والعسكرية، بدلاً من اعتماده على الآخرين من خارج الأسرة، غير أن الأمير عبد الله فضل الاستيلاء على السلطة، وتنصيب نفسه سلطاناً، وإزاحة والده، وبذلك تنتهي فترة حكم السلطان بدر بوطويرق.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وبوفاة السلطان بدر بوطويرق، والذي انتهت فترة حكمه منذ اعتقاله سنة ٩٧٦هـ/ ١٥٦٨م، خلف من الأبناء أربعة، هم عبد الله وعمر وجعفر ومحمد، وبعض المراجع لم تشر إلى محمد، خاصة أنه لم يظهر بأي دور في فترة حكم أخيه الأكبر السلطان عبدالله[١].

بدأت فترة حكم السلطان عبد الله بن بدر بن عبد الله بن جعفر الكثيري للدولة الكثيرية من يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٩٧٦هـ / ١٥٦٨م، واستطاع خلال فترة عام أن يستولي على حصون سيئون ومعظم حصون وادي حضرموت باستثناء قريتي بضة وقيدون التابعتين لمشيخة العمودي، وكذلك بعض القرى الأخرى في وادي دوعن غرب حضرموت.

وأولى المشكلات الرئيسة التي واجهت السلطان عبد الله في مستهل حكمه هي معارضة أخيه جعفر لاعتقال والده السلطان بدر، ونتيجة لذلك أخذ جعفر يجمع من حوله الأنصار من آل كثير، ومن أبرزهم الأمير ناصر بن مسعود الكثيري ، وتحالفت معهم بعض قبائل المهرة التي يتزعمها المقدم عمر بن طوعري[٢]،وكان من الأهداف الرئيسة لجعفر هو الاستيلاء على عاصمة الدولة الشحر ، فقد تحركت القوة العسكرية المعارضة من حيريج وقشن، في تاريخ ١٣ جمادى الأولى سنة ٩٧٦هـ/ ١٥٦٨م، وتمكنت من اقتحام الشحر[٣].

(١) محمد بن عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق: عبد الله الحبشي، ص: ٣٢٢، ٣٣٣، ٣٧٤، ٣٨٨، محمد بن هاشم : تاريخ الدولة الكثيرية، ص:٦٠- ٦٣.

(٢) محمد بن عمر با فقيه: المرجع السابق، ص: ٣٩٢-٣٩٣، محمد بن هاشم: المرجع السابق، ص: ٦٠-٦١.

(٣) محمد بن عمر با فقيه:نفس المرجع ، ص: ٣٩٢.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

ويتضح من موقف جعفر هذا رغبته في الاستقلال بحكم الشحر وساحل حضرموت، ويعني ذلك تقاسم ممتلكات السلطنة الكثيرية التي وحَّدها السلطان بدر بوطويريق، ولم يقده تفكيره للاتجاه إلى الوادي وإخراج والده من الاعتقال وإعادته إلى الحكم.

إن السلطان عبدالله في بداية حكمه رأى في حركة أخيه جعفر خطراً حقيقياً على السلطنة الكثيرية، الذي يعتقد هو أنه سيحافظ على صرح هذا الكيان المتماسك، لذلك قاد حملة عسكرية كبيرة من وادي حضرموت باتجاه الساحل.

علم جعفر بأمر تحرك هذه الحملة، وفضَّل أن تكون المواجهة بعيداً عن الشحر تحت العقبة عند نزول حملة السلطان عبدالله من الهضبة الوسطى بين الوادي والساحل في طريق وادي ساه المؤدية إلى الشحر[1]، وفعلاً حدث اشتباك بين الأخوين، في يوم الإثنين تاريخ ٢٢رجب سنة ٩٧٦هـ/ ١٥٦٨م، وتعرّض بعض الأفراد من الطرفين للإصابات والبعض الآخر سقط قتيلاً[2].

عند ذلك رأى جعفر وحلفاؤه الانسحاب من المعركة والعودة إلى الشحر ليتحصنوا بداخلها، في الوقت نفسه قرر السلطان عبد الله ملاحقتهم، وفي اليوم الثاني وصلت حملة السلطان جعفر الشحر وفرض حصاراً شديداً على الشحر، وبعد مضي أسبوع خرجت بعض قوات جعفر من الشحر باتجاه حيريج، بينما ظل جعفر مع الأمير ناصر وبعض القوات من آل كثير والمهرة متحصنين داخل حصن الشحر، وبدأت

(١) سالم بن محمد بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى العدة المفيدة، تحقيق: عبد الله الحبشي، ص: ٢١٣.-٢١٤.

(٢) نفس المرجع،نفس الصفحات.

المفاوضات بين الجانبين، فطلب جعفر الأمان لقواته والسماح لها بالخروج إلى المهرة، فأمَّنهم السلطان عبد الله وسمح لهم بالخروج إلى المهرة بعد أن سلموا الحصن له[١].

لم تنته الحرب بين الأخوين، فأخذ جعفر يعد العدة ثانية، وجهز قوة عسكرية برية وبحرية كبيرة شاركت بعض قبائل المهرة، وقاد هذه القوة جعفر والأمير ناصر بن مسعود الكثيري والمقدم عمر بن طوعري واقتحموا الشحر يوم الأحد بتاريخ ٢٥ جمادى الآخرة سنة ٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م، وعند دخولهم الشحر أَمَّنُوا الأهالي على أموالهم وأنفسهم، ودارت معركة متفرقة بين الطرفين، جرح فيها بعض الأفراد وقتل البعض الآخر من كلا الطرفين[٢].

ولكن لم تستطع قوات جعفر تحقيق أغراضها، مما اضطرت إلى الانسحاب بعد منتصف الليل في اليوم نفسه[٣].

أدرك السلطان عبدالله الضعف الذي تعاني منه قوات جعفر لذلك رأى أنه من المناسب مطاردتها وتوجيه ضربة قاضية لها حتى يقضي على هذا الخطر الذي يظهر بين فترة وأخرى.

جهَّز حملة عسكرية يدعمها المدفع، سارت باتجاه حيريج التي تعرضت للهجوم وضربات المدفع، مما أدى بقوات المعارضة المتواجدة داخل حيريج أن تنسحب إلى وادي بلحاف شرق الشحر، في الوقت نفسه تحركت حملة السلطان عبدالله تطارد القوة المعارضة،

(١) محمد بن عمر بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق: عبد الله الحبشي، ص: ٣٩٤.

(٢) نفس المرجع، نفس الصفحة، محمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، ص: ٦١.

(٣) محمد بن عمر بافقيه: نفس المرجع ، ص: ٣٩٤.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ودارت معركة شرسة في الوادي، حيث تمكنت القوة التي يقودها جعفر ويسانده الأمير ناصر والمقدّم عمر بن طوعري، من نصب كمين لقوات السلطان عبدالله يوم الثلاثاء تاريخ ١٨ صفر سنة ٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م، مما زاد من عدد القتلى والجرحى، فقد قتل خمسة وتسعون قتيلاً، وأُسر عدد آخر من الرجال، وتم عطب المدفع، وبذلك تجرّعت قوات السلطان عبد الله هزيمة نكراء، عند ذلك انسحبت وعادت إلى الشحر(١)، وتلك أول هزيمة تتلقاها قوات السلطان عبد الله، ولا زال والده السلطان بدرعلى قيد الحياة.

ولم تكن جبهة جعفر التي يواجهها السلطان عبد الله الجبهة الوحيدة، فقد انفتحت أمامه جبهة أخرى يقودها عمر أخو السلطان عبد الله الأوسط، وهذه الجبهة اتخذت من سيئون قاعدة لها، لكن السلطان عبدالله سارع بالعودة إلى سيئون وألقى القبض على أخيه عمر ووضعه في سجن مريمة، وظل مسجوناً حتى توفي السلطان عبد الله(٢).

هذه الظروف التي تعيشها دولة السلطان عبد الله في أيامها الأولى، بالإضافة إلى ذلك هناك جبهة ثالثة ليست سهلة المنال، فقد ظلت تعاصر السلطان بدر بوطويرق ولم تستسلم أو تذعن لإعلان الطاعة والولاء، ففي هذه الفترة أصبحت تواجه السلطان عبدالله، وظلت مشيخة العمودي متمسكة ببضة وقيدون، وتعتزم على التوسع إذا استطاعت إلى ذلك سبيلاً، وظلت هذه الظروف تواجه السلطان عبدالله بعد وفاة السلطان بدر سنة ٩٧٧هـ / ١٥٦٩م.

---

(١) محمد عمر با فقية : تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق: عبد الله الحبشي، ص: ٣٩٤، سالم بن حميد: تاريخ حضرموت المسمى العدة المفيدة، تحقيق: عبد الله الحبشي، ص: ٢١٤-٢١٥.

(٢) محمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، ص: ٦٢.

إذن نستطيع القول إن فترة حكم السلطان عبد الله فترة لم تخل من الاضطرابات وتحفز قوى المعارضة لحكمه سواء من داخل الأسرة الحاكمة أو من قبيلة آل كثير، أو من القبائل الحضرمية الأخرى، مثل مشيخة العمودي والمهرة، وفي ظل استمرار هذه المعارضة من الصعب أن تشهد فترة حكم السلطان عبد الله حالة من الاستقرار.

ونرى أنه ليس بالإمكان دراسة هذه الفترة في هذا البحث باعتبارها فترة تاريخية مستقلة عن فترة حكم السلطان بدر بوطويرق التي هي موضوع بحثنا، ونفضل أن نترك المجال لمن أراد أن يتناول دراسة هذه الفترة، وهي فترة ندعو الباحثين إلى الاهتمام بها، لأنها جديرة بالدراسة والبحث.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الخاتمة

تتناول هذه الدراسة التي بين أيدينا فترةً زمنية تمتد حوالي نصف قرنٍ من الزمان، وهي الفترة التي تولى فيها السلطان بدر بو طويرق الحكم في الدولة الكثيرية، منذ منتصف العقد الثالث من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي حتى أواخر العقد الثامن من القرن نفسه.

وقد تحدثنا حول أهمية هذه الفترة نظراً لما شهدته من أحداث عظام، خصوصاً ما يتعلق منها بالتنافس البرتغالي العثماني على سواحل حضرموت والسواحل العربية الجنوبية.

ومن أبرز ما يلفت نظر الباحث الطريقة التي اعتلى بها السلطان بدر عرش الدولة الكثيرية، حيث تنازل له أخوه الأكبر عن الحكم بمحض إرادته سنة ٩٢٦هـ/ ١٥١٩م، وهي بلا شك طريقة فريدة، لم تعهدها حضرموت من قبل، كما أن هذه الطريقة الفريدة تحمل الكثير من الدلالات العظيمة، فهي تدل على النضج السياسي الذي يتمتع به السلطان محمد، واستعداده للتضحية بالسلطة إذا ما كانت مصلحة البلاد والدولة في ذلك، كما تدل على ثقته الكبيرة في الاستعدادات والقدرات القيادية التي يتمتع بها أخوه الأصغر السلطان بدر، خصوصاً وأنه قد مارس بعض المهام القيادية في الدولة، وأثبت مهارة فائقة، تنبئ بمستقبل عظيم لسلطان متميز.

هذه البداية الرائعة على ما فيها من تفرّد قد كانت بداية خادعة للأسف الشديد، فالمتوقع عقب هذه البداية أن تتنامى هذه العلاقة الحميمة بين الأخوين، وأن تؤتي ثمارها بما يعزز من قوة الدولة الكثيرية وهيبتها على المستوى الداخلي والخارجي، غير أن الأمور

سارت عكس هذا الاتجاه تماماً، فما الذي أفسد هذه العلاقة؟ وما الذي جعل الأمور تسير على غير ما يرام؟

لقد قام السلطان بدر فور تسلمه السلطة بعدد من الإجراءات الإدارية التي لم تَرُقْ لأخيه السلطان محمد، مما أفسد هذه العلاقة، وجعلها تسير في غير الاتجاه الصحيح، ومن هذه الإجراءات أنه قام بعملية تطهير في الجهاز الإداري للدولة، حيث استبعد الأسماء التي يشك في ولائها له، وفي مقدمتهم الأمير مطران، كما أعرض عن الاستفادة من تجارب أخيه وآرائه في إدارة شؤون الدولة، ورغم أن السلطان بدرًا تراجع عن هذه الإجراءات التي لا تخلو من رعونة وتسرُّع واستبداد، فإنها خيبت ظن السلطان محمد في أخيه، وظلت محفورة في ذاكرته؛ لتجعله يشعر على الدوام بالخطأ الفادح، الذي ارتكبه، عندما استعجل وتنازل لأخيه عن الحكم قبل أن يستكمل مراحل النضج السياسي، الذي يؤهله لتولي السلطنة الكثيرية.

هذه الصورة التي تكونت لدى السلطان محمد، وهذه الحقيقة التي اكتشفها في وقت متأخر هي التي تفسر مواقفه المتكررة التي يعارض فيها السلطان بدرًا، والتي جعلته يسعى في وقت من الأوقات إلى حمل السلاح، والهجوم على الشحر في محاولة انقلابية فاشلة سنة ٩٣٦هـ / ١٥٢٦م.

وليس من المستبعد أن يكون السلطان محمد قد وجد في المحيطين به، الذين يشاطرونه الرأي، ويعارضون سياسات السلطان بدر من يلتف حوله، ويُزيِّن له الخروج على أخيه السلطان بدر.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

والحقيقة أن السلطان بدرًا لم يكن مصيباً عندما قام بإجراءات التطهير تلك، ولم يكن أخوه السلطان محمد مصيباً حينما ظلت ذاكرته تحتفظ بهذه الأخطاء، وتجتهد في تضخيمها رغم أن السلطان بدرًا قد تراجع عنها، بل وقام -على النقيض من ذلك - برفد جهازه الإداري بالعديد من العلماء والفقهاء وذوي الخبرة والصلاح، مما يدل على صدق نيته، وسلامة مقصده.

وقد أولى السلطان بدر التعليم عناية خاصة، حيث قرَّب إليه العلماء، وبنى المدرسة السلطانية في الشحر، وعَهِد بالإشراف عليها وإدارتها والقيام بواجب التعليم فيها لعدد من كبار العلماء والفقهاء، ولهذا لم تمض إلا فترة وجيزة حتى صارت هذه المدرسة مركزاً للإشعاع العلمي في حضرموت، يتخرج منها العلماء والفقهاء والقضاة، وأرباب الفتوى، ورجال الدولة.

ولم يكن التعليم قبل عهد السلطان بدر من الأمور التي تهتم بها الدولة، بل كان التعليم أهلياً خالصاً، ولهذا فإن بناء المدرسة السلطانية في الشحر يعد خطوة رائدة على الطريق الصحيح الذي تقوم فيه الدولة بواجبها نحو التعليم بصفتها المسؤول الأول عن هذا الجانب المهم من حياة الناس.

ولو أن السلطان بدرًا أَتْبعَ هذه الخطوة بخطوات مماثلة في اتجاه بناء عدد من المدارس الرسمية في المدن الرئيسة في حضرموت كمرحلة أولى لكانت هذه الخطوات كفيلة بنشر التعليم على نطاق واسع، والارتقاء بمستوى المجتمع الحضرمي، والتقدم به نحو الأمام.

وقد اعتنى السلطان بدر بتنظيم الحياة الاقتصادية؛ حيث كان أول من أصدر العملة النقدية لتنظيم عمليات البيع والشراء، وتجدر الإشارة في هذا الموضع إلى أن

الشحر وغيرها من مدن حضرموت كانت تعج بالنشاط التجاري؛ حيث تأتيها المنتجات المحلية الزراعية والحرفية من مختلف أنحاء حضرموت، كما تأتيها عبر ميناء الشحر العديد من منتجات العالم الخارجي، ويعد إصدار هذه العملة بفئاتها المختلفة خطوة رائدة مهمة لتنظيم الحركة وتنشيطها التجارية بما يشجع على مضاعفة النشاط الإنتاجي في مجال الزراعة والحرف اليدوية وغيرها من أوجه النشاط الاقتصادي الأخرى.

ولقد كان واضحاً منذ البداية أن السلطان بدرًا يسعى إلى توحيد حضرموت في إطار دولة مركزية واحدة وقوية، هذا الهدف الكبير، وهذا النمط من التفكير الطموح لم يكن مألوفاً لدى الزعامات التي تتطلع إلى الحكم في حضرموت، فغاية ما يسعى إليه الزعيم القبلي عادةً، قبل عهد السلطان بدر هو السيطرة على بقعة جغرافية محدودة، ولا يعني الحكم لدى هؤلاء الزعماء إلا بسط السيطرة على الأرض والثروات والناس بالقوة والجبروت والطغيان.

والسلطان بدر يعلم أن هذا الهدف الكبير ليس سهل المنال، لكنه ليس من المستحيلات التي يتعذر تحقيقها، ولهذا كان بناء الجيش وتكوين الأسطول البحري العسكري من المهام الأولى التي سعى السلطان بدر إلى القيام بها.

أما الجيش فقد سعى إلى رفده بالعناصر المملوكية والتركية وبعض القبائل اليمنية الزيدية والبرتغالية وعبيد النوبة وغيرهم إلى جانب العناصر القبلية الحضرمية، ويلاحظ أنه لم يعتمد كثيراً في بناء جيشه على آل كثير لما يعلمه من تطلعاتهم إلى الحكم، وقد كان هذا واحداً من العوامل التي أدت إلى اتساع الجفوة بينه وبين قبيلته آل كثير، خصوصاً أخيه السلطان محمد.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

وأما الأسطول البحري فقد كانت النواة الأولى لتكوينه هي المراكب التي ورثها عمن سبقوه في حكم الشحر، إلى جانب ما قام بشرائه من المراكب والطرادات، وما استولى عليه من غنائم الحرب مع البرتغاليين.

وقد تمثلت الخطوات الأولى في تنفيذ سياسته التوسعية في القضاء على الكيانات السياسية المستقلة، والرئاسات القبلية خصوصاً في وادي حضرموت بهدف بسط سيطرته الكاملة على جميع أنحاء حضرموت، وقد حقق في ذلك نجاحات كبيرة؛ حيث تمكن من القضاء على تلك الكيانات، وإخضاع تلك الرئاسات، وخلّص حضرموت من حالة التجزئة والصراع والتنافس بين تلك الكيانات الهزيلة.

ومن البديهي أن يكون تحقيق السيطرة الكاملة، والخضوع التام، وإحكام القبضة من الأمور المتعذرة في تلك الفترة، في ظل ظروف المجتمع العشائري القبلي الذي يأبى الخضوع إلا لرئيس القبيلة وأعراف القبيلة، أضف إلى ذلك أن جيش السلطان لا يزال في تلك الفترة في مراحل تكوينه الأولى، ولذلك فمن المتعذر الاعتماد عليه في بسط نفوذ الدولة في تلك المناطق التي تعج بالخصوم الأقوياء.

ولهذا السبب لجأ السلطان بدر إلى استحداث نظام العهدة، وهو نظام يقضي بأن تعترف القبيلة الحاكمة في المنطقة التي يتمكن السلطان بدر من السيطرة عليها بالولاء للسلطان، وتعلن استعدادها للعمل كعسكر تحت إمرته في مختلف الظروف، مقابل أن يترك السلطان لها حكم مناطقها، ويتنازل عن إيرادات الدولة في تلك المناطق. وهذا نظام أثبت نجاحه مع قبيلة نهد التي تعد أعتى قوة مناهضة للسلطان في منطقة الكسر وسط وادي حضرموت.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

كما حاول السلطان بدر أن يطبق هذا النظام مع الشيخ العمودي غير أنه فشل في ذلك نظراً للطبيعة المتمردة للشيخ العمودي، ونفسه الطموحة المتعالية؛ حيث يرى أنه أعلى منزلة من السلطان بدر، بحكم أنه يجمع بين النفوذ القبلي والنفوذ الروحي، لذلك لم يقبل أن يكون قائداً عسكرياً يأتمر بأمر السلطان، ويحرك أتباعه خدمة لأهداف السلطان.

ولهذا السبب لجأ السلطان إلى إخضاعه بالقوة، وحصر سلطته السياسية في قيْدُون وبِضَة، ثم حاول سحب البساط من تحت قدميه؛ حيث حاول أن يجرده من نفوذه الروحي والسياسي عندما أقنع آل العمودي باختيار منصبٍ جديد لهم بديلاً عنه.

ومن الواضح أن نظام العهدة لم يكن نظاماً استراتيجياً في تفكير السلطان بل هو نظام مرحلي يلجأ إليه السلطان ريثما يتمكن من بناء جيشه القادر على بسط نفوذ الدولة من غير الحاجة إلى استعانة بالقوى القبلية؛ لأن نظام العهدة يتنافى بطبيعته مع الهدف الكبير الذي يسعى إليه السلطان بحكم أنه يقتضي التنازل عن بعض السيادة وبعض الإيرادات الضرورية للدولة، وهو مع هذا وذاك نظام غير مضمون النتائج بحكم الولاء الشديد للقبيلة.

ولهذا السبب فإن السلطان بدرًا عندما رأى أن جيشه قد وصل إلى مرحلة متقدمة من مراحل تكوينه وإعداده سارع باستبدال هذا النظام بنظام الإقامة العسكرية المباشرة، خصوصاً في منطقة الكسر التي تسكنها نهد، وتتولى حكمها نيابة عن السلطان بموجب نظام العهدة.

وقد أثبتت الوقائع والأحداث أن السلطان بدرًا قد أخطأ التقدير حين ظن أن جيشه صار قادراً على بسط نفوذ الدولة وسيطرتها على منطقة الكسر، وأخطأ التقدير ثانية حين ظن أن المنطقة صارت مؤهلة لتقبُّل هذا النظام الجديد القائم على الإقامة

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

العسكرية المباشرة، كما أخطأ الاختيار حين اختار لهذه المهمة الصعبة الشريف ناصرًا وأتباعه من الأشراف الزيدية، وأعرض عن اختيار قبيلة آل كثير، فقد فشل الشريف ناصر وأتباعه فشلاً ذريعاً في هذه المهمة، وتفاقمت حالة الصراع بين السلطان بدر وقبيلة نهد، وتحولت هذه القبيلة من صف الحليف إلى صف العدو اللدود، كما اتسعت الفجوة بين السلطان بدر وبين قومه وذويه من آل كثير، ودفعت هذه العوامل جميعاً باتجاه تكوين تحالف قبلي كبير، يناهض السلطان ويعارض سياساته.

وأما في الساحل الشرقي لحضرموت فقد كانت الخطوة التوسعية الأولى هي السيطرة على غيل بن يمين، ثم تلتها خطوات أخرى استهدفت حيريج والمشقاص وغيرهما، وكان التوسع في هذه المناطق بالذات هو القشة التي قصمت ظهر البعير، فالسلطان محمد لم يقبل ذلك مطلقاً، واعتبره نوعاً من الاعتداء عليه شخصياً، كما اعتبره نوعاً من التصرف الطائش الذي يستفز القبائل المسيطرة على هذه المناطق، ويؤلبها ضد الدولة الكثيرية، وكان هذا العامل إلى جانب عوامل أخرى من أهمها إجراءات التطهير الإداري التي سبقت الإشارة إليها هي التي أدت إلى تفاقم النزاع بين الأخوين، ونحَتْ به منحىً عدوانياً دموياً مسلحاً يهدد كيان الدولة الكثيرية برُمَّته.

وأما في الساحل الغربي لحضرموت فقد استطاع السلطان بدر أن يصل بقواته إلى شبوة، واستطاع أن يخضع الواحدي حاكم حبان، وابن سدة حاكم ميفعة، وصلاح بن ياقب العولقي حاكم يشبم، وعلي بن حنش حاكم أحور، واكتفى السلطان بدر بأخذ الأتاوة السنوية من أولئك الحكام تعبيراً عن تبعيتهم الاسمية للدولة الكثيرية، وبذلك استطاع السلطان بدر أن يمد نفوذ الدولة الكثيرية من أحور غرباً حتى ظفار شرقاً.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ومن الأخطاء التي وقع السلطان بدر فيها أثناء حملات التوسع سرعة الانتقال من منطقة إلى أخرى، قبل استكمال الأسباب والتحصينات التي تمكنه من إحكام القبضة على ما يسيطر عليه من البلاد، وهذا الأمر يسهل على الزعماء القبليين والحكام المحليين إعلان التمرد والعصيان، والعودة إلى التفرد بحكم منا طقهم، بسبب عدم وجود القوة الرادعة المرابطة في تلك المناطق، ومرد ذلك بالطبع إلى قلة الأعداد البشرية في جيشه، خصوصاً من العنصر المحلي، ولو أن السلطان اعتمد على الجندي الحضرمي خصوصاً من قبيلة آل كثير لتمكن إلى حد كبير من إحكام قبضته على الأراضي التي تخضع لدولته، ولو أنه حاول تعميم تجربة نظام العهدة الذي اتبعه في منطقة الكسر على بقية المناطق لكان هذا أحد العوامل المهمة المساعدة على تحقيق هذا الهدف، ولو كان بشكل مرحلي.

ومن الأخطاء الكبيرة أيضاً عدم المرونة في التعامل مع ما يقع من بعض أفراد القبائل من صور التمرد والعصيان، والتعامل معها بقسوة وعنف، مما يؤدي إلى نتائج عكسية خطيرة على مستوى علاقته بهذه القبائل الحليفة كنهد على سبيل المثال.

ومن الأخطاء الكبيرة ما يمارسه جنده أثناء حملات التوسع من عمليات السلب والنهب وإتلاف الأموال، وغيرها مما يوغر الصدور، ويملؤها بالرغبة في الانتقام.

ولا شك في أن هذه الأخطاء تعد من أهم العوامل التي تؤدي إلى خلق تكتلات سياسية تعارض سياسات السلطان بدر، وتعرقل جهوده الرامية إلى توحيد حضرموت في إطار دولة مركزية واحدة.

وأما على صعيد السياسة الخارجية فإن أبرز ما يلاحظه الباحث هو حرص السلطان بدر على تقوية علاقته بالعثمانيين منذ وقت مبكر، وقد تنامت هذه العلاقة حتى

للنسخة الورقية زز WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

وصلت إلى الاعتراف الرسمي من قبل الدولة العثمانية بالسلطان بدر والياً على حضرموت.

وقد استطاع السلطان بدر أن يستثمر هذه العلاقة بصورة جيدة في تقوية جيشه وأسطوله البحري، وقد حقق في ذلك نجاحاً ملحوظاً.

وأما من جهة العثمانيين فقد حرصوا هم أيضاً على تقوية علاقاتهم به؛ لأن هذه العلاقة تقوم على أساس القواسم المشتركة بين الطرفين من حيث العقيدة، ومن حيث المصالح المشتركة، حيث تشابكت المصالح، وتوحدت الأهداف، والرؤى والمواقف إزاء النشاط البرتغالي الذي يهدف إلى السيطرة على الشرق والسواحل العربية والإسلامية.

ورغم الانحياز الكامل من قبل السلطان بدر للطرف العثماني في صراعه مع البرتغاليين فإنَّ علاقته بالبرتغاليين اتسمت بقدر كبير من المرونة؛ حيث لم يغلق باب المفاوضات معهم، كما أنه غض الطرف في أحيان كثيرة عما يمارسونه في البحار العربية والموانئ الحضرمية من أعمال التجسس والقرصنة، وهو موقف يدل على إدراكه لخطورة هذا العدو الشرس، الذي يتمتع بقدرات عسكرية رهيبة، غير أن السلطان بدرًا لا يتردد في اتخاذ المواقف الصارمة والحاسمة إذا تطلب الموقف ذلك.

وتجدر الإشارة في هذا الموضع إلى الهجوم البرتغالي على الشحر، الذي جاء بعد ذريعة واهية اختلقها البرتغاليون لتبرير هذا الهجوم، وما اقترن به من أعمال وحشية.

ورغم الخسائر الكبيرة التي تكبدتها الشحر وحضرموت عامة، من خيرة رجالها وأموالها، غير أن المجاهدين تمكنوا من دحر البرتغاليين، وأجبروهم على مغادرة المدينة، بعد ثلاثة أيام من المعارك الطاحنة، مخلفين وراءهم جثث القتلى والجرحى البرتغاليين.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ويلزم التنويه في هذا الموضع بموقف الأمير مطران الذي عالج الموضوع بقدر كبير من الحكمة، واتبع أسلوب التشاور مع أهل المشورة والحل والعقد في المدينة، وتمكن بذلك من تنظيم عمليات المقاومة، ومضاعفة فاعليتها رغم الإمكانات القليلة اليسيرة.

وما من شك في أن هذا الموقف يبعث على الإعجاب ليس فقط بنجاحه في إدارة الأزمة بكفاءة عالية، بل بدلالته الواضحة على وطنية هذا الرجل وإخلاصه الذي دفعه إلى أن يمحو من ذاكرته تلك الإجراءات الإدارية السيئة التي اتخذها السلطان بدر مع بداية توليه السلطة، والتي كان الأمير مطران أول ضحاياها، كما دفعه إلى مواجهة الموقف الخطير بروحٍ وطنية مسؤولة.

لقد حقق السلطان بدر نجاحات واضحة في مجال بناء الجيش، وتكوين الأسطول البحري، وتنظيم الجهاز الإداري للدولة، وتنظيم الحياة الاقتصادية، وتحصيل إيرادات الدولة، والعناية بالتعليم، والسعي إلى توحيد حضرموت، كما اتبع سياسة خارجية تتسم بالواقعية والتوازن، فكان في كل ذلك زعيماً رائداً، وقائداً محنكاً.

غير أنه لم ينجح في كسب ود الزعامات القبلية المؤثرة في حضرموت، خصوصاً من آل كثير، وفي مقدمتهم أخوه السلطان محمد، ورغم أنه تمكن في معظم المرات من إلحاق الهزائم المريرة بتلك الزعامات، ويجبرها على الصلح وإعلان الطاعة والولاء، فإنَّ التمرد والعصيان ظل على الدوام ظاهرة متصلة الحلقات لا تتوقف أبداً.

هذا الواقع القبلي العشائري هو الذي مكّن أخاه السلطان محمدًا من تأليب القبائل من آل كثير وغيرهم، ضد السلطان بدر، وعقد التحالفات، وتزعم حركة المعارضة

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

ضد السلطان بدر، والوقوف في وجه طموحاته وأهدافه الوحدوية، مما قلل من فرص النجاح والاستمرار لها.

والخلاصة إن السلطان بدرًا قائدٌ فذ، وزعيم رائد، لكنه ظهر قبل عصره، ولهذا كان شأنه كشأن غيره من الرواد، نفوسٌ طموحة، وعقول متفتحة، وأفكار جديدة، لا تجد في عصرها ومجتمعاتها إلا المقت والحرب العوان، ولهذا السبب غاب السلطان بدر عن مسرح الحياة السياسية حزيناً كئيباً كما يغيب البدر من غير الجهة التي أشرق منها، ولسان حاله يردد مع أبي فراس الحمداني:

سيـذكـــــرني قـــومي إذا جدهم جـــــدَّ جَـــــدُّهم

وفي الليـــــلةِ الظـــلمـــــاءِ يُفْتَقَـــــدُ البدرُ

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر، ومنها المخطوطات:

١ - أحمد بن حسن العطاس:

هذه شجرة في أنساب العرب القاطنين بالجهة الحضرمية، تريم، مكتبة الأحقاف، رقم (٢٨٩٨).

٢- عمر بن علوي بن أبي بكر الكاف (١٣٢٥-١٤١٢هـ/ ١٩٠٨-١٩٩٢م):

خلاصة الخبر عن بعض أعيان القرنين العاشر والحادي عشر، منتخب من السناء الباهر وعقد الجواهر والدرر، تريم، مخطوطة، محفوظة، مكتبة الأحقاف.

٣- محمد بن عبد الرحمن باجمال ت(١٠١٦هـ/ ١٦٠٧م):

مواهب الرب الرؤوف في مناقب الشيخ معروف، تريم، مخطوطة، محفوظة، مكتبة الأحقاف، رقم (٢١٨٩).

٤- كتاب بلوغ الظفر والمغانم في مناقب سيدي أبو بكر بن سالم، تريم مكتبة الأحقاف، مخطوطة، محفوظة، رقم (٢٠٠٩).

٥- وثيقة مكاتبة بين المتوكل على الله يحيى شرف الدين والسلطانين محمد وبدر ابني عبد الله بن جعفر الكثيري سنة ٩٣١هـ/ ١٥٢٤م، مخطوطة، محفوظة، مكتبة الجامع الكبير بصنعاء، تحت رقم (٢١٩٣)، من ق: ٢٠٢ إلى ٢١١.

ثانياً: المصادر والمراجع المطبوعة:

٧- د. إبراهيم خليل أحمد:

تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ١٥١٦-١٩١٦م/ بغداد/ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، سنة١٩٨٣م.

٨- أحمد عبد الله شنبل ت(٩٢٠هـ/ ١٥١٤م).

تأريخ حضرموت المعروف بتأريخ شنبل، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، صنعاء، مكتبة الإرشاد، ط١، ١٩٩٤م/ ١٤١٥هـ.

٩- أحمد محمد عبيد بطي:

الصراع البرتغالي العثماني في القرن السادس عشر، دبي، ط١، ١٩٩١م، ندوة الثقافة والعلوم.

١٠- آر بي سارجنت:

- حول مصادر التاريخ الحضرمي، ترجمة د. سعيد عبد الخير النوبان، عدن، جامعة عدن، ١٩٧٤م.

١١- أرنولدت ويلسون:

الخليج العربي مجمل تأريخي من أقدم الأزمنة حتى أوائل القرن العشرين، ترجمة عبد القادر يوسف، الكويت، مكتبة الأمل، ١٩٧٩م.

١٢- إسماعيل سرهنك:

تاريخ الدولة العثمانية، بيروت، دار الفكر الحديث، (د، ت).

١٣- د. بدر الدين عباس الخصوصي:

دراسات في الخليج العربي الحديث والمعاصر، الكويت، دار السلاسل، ط٢، ١٩٨٤م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

١٤- د. جمال زكريا قاسم:

تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

١٥- د. جواد علي:

المفصَّل في تأريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، بغداد، دار العلم للملايين، مكتبة النهضة، جـ٢، ١٩٧٦م.

١٧- الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني:

- صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد علي الأكوع، صنعاء، مكتبة الإرشاد، ط١، ١٩٩٠م.

١٩- حسن صالح شهاب:

أضواء على تاريخ اليمن البحري، عدن، بيروت، لجنة نشر الكتاب اليمني، دار الفارابي، يناير ١٩٧٧م.

٢٠- حسن صالح الغلام:

حضرموت من بداية القرن الثالث حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دراسة اجتماعية اقتصادية، جامعة عدن، كلية الآداب، رسالة ماجستير لم تنشر بعد.

٢١- د. حليم بركات:

المجتمع العربي المعاصر بحث اجتماعي استطلاعي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٥م.

٢٢- حمزة علي لقمان:

تاريخ القبائل اليمنية، صنعاء، دار الكلمة، ط١، ١٩٨٥م.

٢٣- د . خالد سالم باوزير:

موانئ ساحل حضرموت، دراسة أثنو أثرية، المكلا، مكتبة دار المعرفة، ط١، ١٩٩٦م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

٢٤- زين الدين بن عبد العزيز المعيري:

تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين، طرابلس، كلية الدعوة الإسلامية، (د. ت).

٢٥- سالم عمر الخضر:

الطابع الاقتصادي العفوي،والانتفاضات القبلية في محافظة حضرموت في الفترة من ١٩٤٨- ١٩٦١م، وثائق الندوة العلمية حول المقاومة الشعبية في حضرموت، المكلا، جامعة عدن، كلية التربية، ١٩٨٩م، غير منشور.

٢٦- سالم مبارك العوبثاني:

النشاط الصناعي في محافظة حضرموت، بحث مقدم إلى الندوة العلمية (التركيب الجغرافي والأهمية الاقتصادية لمحافظة حضرموت، المكلا، جامعة عدن، كلية التربية، ١٩٨٧م.

٢٧- سالم بن محمد بن حميد الكندي [١٢١٧-١٣١٦هـ]:

تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة، تحقيق: عبدالله محمد الحبشي، صنعاء، مكتبة الإرشاد، ج١، ١٩٩١م.

٢٨- سعيد عوض باوزير:

٢٩- صفحات من التاريخ الحضرمي، عدن، دار الهمداني، ط٢، ١٩٨٣م.

٣٠- الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، القاهرة، دار الطباعة الحديثة، ط١، ١٩٦١م.

٣١- سونيا. ي. هاو:

في طلب التوابل، ترجمة محمد عزيز رفعت، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ١٩٥٧م.

٣٢- سلمى سمر الدملوجي:

وادي حضرموت، هندسة العمارة الطينية، مدينتا شبام وتريم، بيروت، شركة المطبوعات والتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

٣٣- د. سيد مصطفى سالم:

الفتح العثماني الأول لليمن ١٥٣٨-١٦٣٥، القاهرة، معهد الدراسات والبحوث العربية، ط٢، ١٩٧٤م.

٣٤- د. شوقي عبد الله الجمل:

دور العرب الحضاري في شرق أفريقيا في القرنين ١٦، ١٧م، بحث مقدم إلى ندوة (العلاقة بين الخليج العربي وشرق أفريقيا)، رأس الخيمة، مركز الدراسات والوثائق بالديوان الأميري، ط٢، ١٩٨٧م.

٣٥- صالح بن علي الحامد:

تأريخ حضرموت، جدة، مكتبة الإرشاد، ج١، ط١، ١٩٦٨م.

٣٦- صلاح عبد القادر البكري:

- حضرموت وعدن وإمارات الجنوب العربي، جدة، القاهرة، الإرشاد، مطبعة مدني، ١٩٦٠.

٣٧- تاريخ حضرموت السياسي، القاهرة، مطبعة البابي الحلبي، ط١، جزءآن، ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م.

٣٨- د. صلاح العقاد:

التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٣م.

٣٩- عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي ت(٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م):

مقدمة ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، دار العودة، ١٩٨١م.

٤٠- عبدالرحمن بن محمد بن الديبع الشيباني:

الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تحقيق يوسف شلحد، صنعاء، بيروت، دار العودة، مركز الدراسات والبحوث اليمني ط٣، ١٩٨٣م.

دراسة وتحقيق: د.محمد عيسى صالحيه، قسم التراث، الكويت ط١ ١٩٨٢م

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

٤١- عبدالرحمن عبدالكريم الملاحي:

الدلالات النضالية للمقاومة الشعبية ضد الغزو البرتغالي على مدينة الشحر، عدن، ندوة الشهداء السبعة، مجلة سبأ، العدد الرابع، كلية التربية، جامعة عدن، اكتوبر ١٩٨٨م.

٤٢- عبد الرقيب سعيد ثابت:

استخدام الأرض في محافظة حضرموت، بحث مقدم إلى الندوة العلمية (التركيب الجغرافي والأهمية الاقتصادية لمحافظة حضرموت)، المكلا، جامعة عدن، كلية التربية المكلا، ١٩٨٧م.

٤٣- د. عبد العزيز محمد الشناوي:

المراحل الأولى للوجود البرتغالي في شرق الجزيرة العربية، الدوحة، البحوث المقدمة إلى مؤتمر دراسات شرق الجزيرة، تدوين تاريخ قطر، ١٩٧٦م.

٤٤- عبد القادر محمد الصبان:

- عادات وتقاليد بالأحقاف، المكلا، منشورات المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، ط١، ١٩٨٠م.

٤٥- الفلاحون وعاداتهم المهنية، سيئون، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، ط١، ١٩٨٣م.

٤٦- لمحة عن حياة البادية، عدن، مؤسسة الطباعة والنشر، ط١، ١٩٧٨م.

٤٧- تعريفات تأريخية عن وادي حضرموت، سيئون، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، ١٩٨٣م.

٤٨- عبد الله عبد الكريم الجرافي:

المقتطف من تأريخ اليمن، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٩٨٤م.

٤٩- عبد القادر شيخ العيدروس ٩٧٨هـ-١٠٣٨هـ/ ١٥٧٠-١٦٢٨م:

- النور السافر في أخبار القرن العاشر، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

٥٠- علوي بن طاهر الحداد:

الشامل في تأريخ حضرموت ومخاليفها، سنغافورة، مطبعة أحمد برس، ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م.

٥١- د. عمر رضا كحالة:

جغرافية شبه الجزيرة العربية، مكة، القاهرة، مكتبة النهضة الحديثة، مكتبة الفجالة الحديثة، ط٢، ١٩٦٤م.

٥٢- د. علي حسين السليمان الناصر; النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية أواخر العصور الوسطى ١٢٥٠-١٥١٧م ، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط١

٥٣- غسان علي نيازي التل:

المجتمع العشائري قضايا ومشكلات، إربد -الأردن، دار الكندي للنشر والتوزيع، ج٢، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٥٤- د. فالح حنظل:

العرب والبرتغال في التأريخ ٩٣-١١٣٤هـ/ ٧١١-١٧٢٠م، أبو ظبي، منشورات المجتمع الثقافي، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٥٥- فرد هوليداي:

الصراع السياسي في شبه الجزيرة العربية، السعودية اليمن الشمالي والجنوبي، عمان، ترجمة جازم صياغة وسعيد محيو، بيروت، دار ابن خلدون، ط٢، ١٩٧٨م.

٥٦- فضل علي أبو غانم:

البنية القبلية في اليمن بين الاستمرار والتغيير، دمشق، مطبعة الكاتب العربي، ١٩٨٥م.

٥٧- د. فيليب حتى وآخرون:

تأريخ العرب (المطول)، دمشق، دار الكشاف، ج١، ط٤، ١٩٦٥م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

٥٨- قادري عبد الباقي أحمد:

- موارد المياه في حضرموت ومشاكل استغلالها الاقتصادي، بحث مقدم إلى الندوة العلمية بعنوان (التركيب الجغرافي والأهمية الاقتصادية لمحافظة حضرموت)، المكلا، جامعة عدن، كلية التربية، المكلا، مارس ١٩٨٧م.

٥٩- قائد نعمان الشرجبي:

- القرية والدولة في المجتمع اليمني، بيروت، دار التضامن، ط١، ١٩٩٠م.

٦٠- الشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني، بيروت، صنعاء، دار الحداثة، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط١، ١٩٨٦م.

٦١- ك. م. بانيكار:

آسيا والسيطرة والغربية، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد، ١٩٦٢م.

٦٢- محمد بن أبي بكر الشلي ت(١٠٩٣هـ/ ١٦٨٢م):

المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل باعلوي، طباعة هندية، ج١، بدون دار نشر، د. ت.

٦٣- محمد بن أحمد الشاطري:

أدوار التأريخ الحضرمي، المدينة المنورة، دار المهاجر، جزآن، ط٣، ١٩٩٤م.

٦٤- محمد بن أحمد النهروالي (٩١٧-٩٩٠هـ/ ١٥١١-١٥٨٢م).

البرق اليماني في الفتح العثماني تأريخ اليمن في القرن العاشر الهجري، مع التوسع في أخبار الجراكسة والعثمانيين لهذا القطر، تحقيق حمد الجاسر، الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة، ط١، ١٩٦٧م.

٦٥- د. محمد حسين العيدروس:

دراسات في الخليج العربي، الكويت، دار الكتاب الحديث، ج٢، ط١، ١٩٩٩م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

٦٦- محمد حميد السلمان:

الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة ما بين ١٥٠٧-١٥٢٥م، أبو ظبي، دار زايد للتراث والتاريخ، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٦٧- د. محمد صابر وآخرون:

قيام دولة اليعاربة وجهود ناصر بن مرشد في توحيد البلاد، مجموعة بحوث مقدمة إلى كتاب عُمان في التاريخ، لندن، وزارة الإعلام، سلطنة عُمان، دار أمبيل للنشر، ط١، ١٩٩٥م.

٦٩- محمد عبد القادر بامطرف:

- الشهداء السبعة، عدن، دار الهمداني، ط٢، ١٩٧٣م.

٧٠- المعلم عبد الحق، عدن، دار الهمداني، ١٩٨٣م.

٧١- في سبيل الحكم، عدن، دار الهمداني، ط٢، ١٩٨٣م.

٧٢- الإقطاعيون كانوا هنا، عدن، دار الهمداني، ط١، ١٩٨٣م.

٧٣- د. محمد عبد الكريم عكاشة:

قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري في حضرموت (١٨٣٩-١٩١٨م)، الأردن، دار ابن رشد، ط١، ١٩٨٥م.

٧٤- د. محمد عبد اللطيف البحراوي:

فتح العثمانيين عدن، وانتقال التوازن الدولي من البر إلى البحر، القاهرة، دار التراث، ط١، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٧٥- محمد عدنان مراد:

صراع القوى في المحيط الهندي والخليج العربي، جذوره التأريخية وأبعاده، دمشق، دار دمشق للطباعة والنشر، ١٩٨٤م.

٧٦- محمد بن علي زاكن باحنان:

جواهر تأريخ الأحقاف، مكة، مكتبة النهضة الحديثة، جزءآن، ط١، ١٩٦٣م.

٧٧- محمد بن عمر بافقيه (٩٧٠-١٠٤١هـ/ ١٥٦٢-١٦٤١م).

تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، صنعاء، مكتبة الإرشاد، ١٩٩٠م.

٧٨- د. محمد علي البار:

سقطرى الجزيرة السحرية، بيروت، صنعاء، مكتبة العصر الحديث، مكتب المركز العربي، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٧٩- محمد بن هاشم:

حضرموت تاريخ الدولة الكثيرية، القاهرة، دار الكتاب العربي، ج١، ط١، ١٩٤٨م.

٨٠- د. مصطفى مراد الدباغ:

الجزيرة العربية موطن العرب ومهد الإسلام، بيروت، دار الطليعة، ط١، ١٩٦٣م.

٨١- د. نعيم زكي فهمي: طرق التجارة الدوليه ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى الهيئه العامه للكتاب القاهرة ط١ ١٩٧٣م

٨٢- نوار عبد الوهاب القيسي:

الخليج العربي والأهمية الاستراتيجية، وملامح السياسة البرتغالية، رأس الخيمة، مركز الدراسات والوثائق، أغسطس ١٩٨٧م.

٨٣- نوال حمزة يوسف الصيرفي:

النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، ط١، ١٤٠٣م-١٩٨٣م.

٨٤- وليد محمد جرادات:

الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضي والحاضر، الدوحة، دار الثقافة، ١٩٨٦م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

٨٥- يحيى بن الحسين بن القاسم:

غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق: سعيد عاشور، القاهرة، دار الكتاب العربي، ج١، ط١، ١٩٦٨م.

٨٦- د. يسري عبد الرزاق الجوهري:

الكشوف الجغرافية، دراسة لتأريخ الكشوف الجغرافية، ولتطور الفكر الجغرافي، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٦٧م.

٨٧- القاضي جمال الدين محمد بن عبد الرحمن بن سراج الدين باجمال (ت: ١٠١٩هـ):

الدر الفاخر في أعيان القرن العاشر، دراسة وتحقيق: محمد يسلم عبد النور، تريم، تريم للدراسات والنشر، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م

ثالثاً: المعاجم والموسوعات

٨٧- حمزة علي لقمان: تاريخ القبائل اليمنية، صنعاء، دار الكلمة، ج١، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

٨٨- عبدالله عبدالعزيز البكري : معجم ما استعجم من أسماء البلدان والمواضع ، تحقيق : مصطفى السقا ، بيروت ، عالم الكتب ، ج١ ، ط٣ ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م .

٨٩ - عمر رضاء كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ج١، ج٢، ج٣، ط٢، ١٩٧٨م.

٩٠- علي بن أحمد بن حزم ت (٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م).

جمهرة أنساب العرب، تحقيق لجنة من العلماء، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٩١- محمد بن أحمد الحجري:

مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق إسماعيل بن علي الأكوع، صنعاء، وزارة الإعلام والثقافة، المجلد الثاني، الجزء الثالث، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

رابعاً: الدوريات:

٩٢- أسمهان سعيد الجرو:

تاريخ الأودية الزراعية وأثرها في تطور النهضة الزراعية، عدن، مجلة سبأ، كلية التربية، جامعة عدن، العدد الرابع، اكتوبر ١٩٨٨م.

٩٣- أنور عبد العليم:

الملاحة وعلوم البحار عند العرب، الكويت، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٧٩م.

٩٤- شوقي عبد القوي عثمان:

تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، الكويت، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٠م.

٩٥- د. عادل أحمد الكسادي:

التنظيم القبلي والاجتماعي التقليدي في حضرموت [١٩٠٠-١٩٦٧م]، الكويت، مجلس النشر العلمي، ٢٠٠١م.

٩٦_عمر الخالدي:

نتائج هجرة الحضارمة إلى الهند، الوجود العربي وحيدر أباد، ترجمة عبد السلام عبدالمنعم، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، ١٩٨٤م،

خامساً: المراجع الأجنبية:

-٩٧R. B Serjeant: the portaguese off the South Arabian coast, oxford univers itypress, LONDON 1974.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الملاحـق

وقد استعنت بوثيقة مكاتبة وبعض الخرائط والجداول والصور لحضرموت الساحل والوادي التي توضح بعض الأماكن وبعض الطرق التجارية التي تعرضنا لها في ثنايا هذه الرسالة وهي مرتبة حسب الملاحق التي تتضمنها هذه الرسالة.



مكاتبة مولانا أمير المؤمنين وسلطان المسلمين

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

المعصوم بأقتفا الاجداد من السلف الموبته على موالات الائمة فيما
مرّ من الايام وسلف بحسب ما يرتوها من ائمة الهدى ثاب
محفوظه في مطاوي الصحف وانكتب مقامات سلطان الاجل العالي
المجل نقطه بيكار الطران الاوّل درة تاج الشرف الاطول الهمام المعظم
الابجل جمال الدين انسان عين السلاطين وقطبه بيكار هم الثمين ٥
محمد بن عبدالله بن جعفر وانسلطان الجليل الاعز النبيل ذي
المجد الاثيل والذكر الجميل نور الدنيا والدين حفيد الملوك الاكرمين ٥
بدر بن عبدالله بن جعفر اصلح الله شؤنهما وصدق في الاعمال اقصاده
طنونها واخفهما بين السلام مآبجا كي الرياض الابهة نزلا وتكفلا
بكل مسرة وبشرا ويشفعه من الحيّات الطيبات باركا فا ومن البركات
القاوه بامثالها واوفاه ٥ صدر وذ الكتاب عن اجوال عنلعه
واعلا مقتدر والمومنين شارحه ونمره من انته تابعه وتحبوه وكل
حضم بامنعه تبنا دلكم اجابكم الله علوم هشمدان اولبا الشيطان وبا
كا قوم من الخسران وانتما ضاقت عليهم الارض بما رحبت واحوالهم العجيبة
وملكتا حضوتهم المانعه وبلادهم القانعه منها فدك وسيف عطنان
ولولوه الحروشات ولم يسبق منهم الا شرذمة حقيرم وعلمه يسيره وفي
من جوانب القلاع حرناهم فيها والجاناهم اليها وقد احاط بهم مكرهم حار
في الحلاص فكرهم وتاهم من ذلك خلاص وعلات حين عناض متحيرين
وبحيين لا تنفعهم شفاعه الشافعين باذلين التسلم لبتلوا طالبين العياذ
على اذ قاهم فلم يجابوا ولم يرحموا حط ما استعلاقا ذعن ما ابا ٥
واطاع من استعصى من التم الذرا وصاحت المضارب على باقيهم مضروبه

والعتر آداق المنجنيقات منصوبه يرمون بها ليلا ونهارا فلم يسوقهم
دارا ولا اغاب عنهم جدارا ولا انوارا وكنا قد قدمنا في شرح
الزايا المنضوبه الى نواحي حرزان لمناجزتهم واستحلال بكاهم والمبادره
الى ذلهم فاستفتح العساكر المنضوبه هنالك اقطارا وتبعه وملكوا
جزائر احبعه وصار الداعي المازد في اضيق حال واشده يضاجبه البلا
حتى يوازي في الجب ويترك وفعه منهم مكانا ويخلد فيها مهانا وتبابر
الانباشا فيه ونعم الله تعالى متتابعه متواليه فلله الحمد على عامر فضاله
ومتواضا نواله ونحن الان على حالنا مما لوا في بكائه الاعدا الدين جهلوا
ولا يجد من شابده الظالمين ان يقطع الليالي في تدبير ذلك شهرا ٥
ويدعوا الى الله منضرعين ان يجبرا ومن عرفه ما يؤول اليه من الخير الدائم
والحظ الخالف النهاد وخالف طيب الرقاد كان الغد اليوم وحضه قد
فانا لما رجونا فيكم اجابكم الله حتى الاستقامه ومعرفه ما يجب من
حقوق الائمه ومحبه ما كان عليه اهالكم الاكرمين من موالاة
الائمه وتراثهم ومعاهدتهم وما يلتمسونه من الولايات ويظهرونه
من حسن الرغبات وما تسطرلهم من الائمه من الساطير الكريمه كتبنا هذا
الكتاب استنطاء المانا عندكم من الانبا وتعريفا لكم بما بين تالف الاباء
فان كنتم لهذا عارفين قالا اوقفنا كم على شيء من ذلك وحيا لكم قديم
المودّه والرحم المتالك وقد تبين لنا ان تجدهم ان الوداد والصفو مواردة
المودّه التي هي لكم عنوان الرشاد باهداء قبسين نحسبان من الصفات الحميده

نا الخيل قد شرفا جميعا كما المضطمي شرف العراق

فقد ورد في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انتهاء وانجابوا ان يزوادوا
حبّا قالوا لا انتر واجب ميلكم الى التوفيق واتشتاق نفحات الهلكم
الى التحقيق لما نزد دنا الى ذلك طرفا ولا مبد دنا الى المراسلة كفا فاقتضا
اليمن صار يتابع الينا الهدايا فلا انجاز بذلا ايتون من طاعته شه
والرسول في مراضيه فانه يوفق الجميع للصواب ويوضح لنا ولكم الباب
الكافل للثواب وصلى الله على سيدنا محمد الامين وآله الامناين واصحابه الاكرمين

شعرا

بروق المعالي لابروق المباسم ... نحن الهما كل مما من العزائم
وستاق قوم الشرفية في الوغا ... ليورجها دلاجموع الحمائم
وما الغانيات البيض في عرجخام ... باحسن من بيض السيوف الصوارم
ومن كان ذا اصل كريم ومنصب ... فما هنده الا اكتساب المكارم
ومن باع في فعل المعالي نفسه ... فليس بمغبون وليس بآثم
لقد علم الرحمن اجهادنا ... له خالص لا اختلاب المغانم
عدا الناس في امر مريح وغيرت ... معالم دين يا لها من معالم
فعسى الاصلاح الامور كلها ... وانضا فوم ظلمه وارغام ظالم
وقمع اناس قد عضوا وتردوا ... عن الحق فاختاروا اطر لوحا ثم
ولا تيا هلك ان سبيلهم ... سبيل اولى الطغيان اهل الجرائم
فبعدا لهم من فرقة بالبلية ... قبيل مع لاهوا مثل البهائم
على حرف هارتوا مرديهم ... فلم تزدهم الا خسارا وخاتم
فلما تادعونا لهم الى الحق اعرضوا ... وقد بسطوا الايدي الينا كصادم
فحل بهم ما لم يكن في حسابهم ... من الفتق المتصعب العظائم

وطاف بهم طوفان هلك وفقه ... على موجه الطامي على كل غاشم
فجيئذ دانوا قهارين عندهم ... بحكم المواضي فيهم والصوارم
وما اسلموا لكنهم سلموا لنا ... وحازهم من حر العلا ضم
فتلك حصون الغور بعضك بعضهم ... شروطنا بها لكنهم وهما تم
وكم جنة تجري عليها عيونهم ... كاعينها ذات الدموع السواجم
وقد راح داعيهم يجري وذلة ... وما هو في الاشران اول زاعم
ولم يبق لهم من احاطه به الردى ... واضبح في سجن البلا الملازم
وقد اقبل بفعل الامر فيهم ... يعول كقوي البطش نا في المظالم
فمن يسلم عنا ثلاثا كانه ... شذا المسك او عرف الزهور النواعم
الحضرة التبطان ذي الحكم والحمى ... كريم سجايا العز سبط الاكارم
وذاك بدر الدين اعني محمد ... كذا ضوء بدر اخا البدر رفعه
فلا برجا كالغرقدين بنا هه ... فتى قد زنى فوق التها والتعايم
وابعد فانا عرانه وجدوده ... وما عد ما حظ الرشاد الملازم
وانا الذي علم لنا فيه رشدكم ... على نعيم منهله كالغمايم
فان تولوه ايانا فيرضه ... فدعوتنا موصوله بالمراحم
فلا تنهلوا منا شنا كما كم ... على كل عبد من جهول وعالم
وكلهم والا اقام زمانه ... فهم شبه الاتا وغلا بظالم
ولما توسمنا الهدايه فيهم ... هو الاجر مظهر غير كاتم
وخيارهم مشهورة في العوالم ... كانهم
نعتنا لهم طوفين من نسل ارحق ... بجيبين منضوين بين الصلادم
نريد دوام الود منا ومنكم ... ولا خير في ود امرئ غير دايم

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225



وكم بين محبوب يراد فخاطب ... يُرَدُّ كما يردت زيوف الدراهم
فكونوا على الظن الجميل وقوفا ... فان حمل الظن فعل حاكم
عليكم سلام الله ما لاح بارق ... وما حجمت لايك ورق الحمام

وحده هذا عم سلم

فأجاب السلطان المقدم ذكرهما العلا

محمد الدين عبد الله ابن عمر بامحرمه

وسنه ٥٢ وذلك سنه

١٣٩ من الحجر النبوي

على صاحبها

وذلك سنه وفاه العلا محمد رغم بحرق رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي

جعل المتوكل على الله للدين شرفا ونبيلا وللمسلمين رشدا ودليلا

ومد به في الارض لعباده ظلا ظليلا وأوضح له النبيل الهادي

سبيلا وأقام به بينهم ميزان العدل فلا ينظلمون فتيلا حفظ به

ذكر الشريعة عن تلاشي التغيير وأطال بها ليلا ومن به على الخلافة

مناقبيلا فرأيها وفيا ناسه وكان نكالا نكيلا فشفى منها بحمد الله

حرحا عليلا وفك منها غلا وورد عليلا وسعب منها صيد وغاوي تاب

فلولا قرد المخالفين الحق زهوقا جميلا فمن اطاع نجا وعز وان كان ذليلا

ومن امر على الضلال له نكلا تنكيلا وصب عليه من اليم سذابه وعظيم عقابه

وبلا وسلا.

لقم على لقم الزمان يصيبها ... نعم على النعم التي لا تحجب.

حتى قطيع متصل البا جل بصلا. وان امن الذين حصنا شاخا طويلا

وعدل الظالم من يخافه مدجوا لمحمد ولا عاضا على الندم على يديه

يقول الجني الحدث مع ابن الرسول سبيلا. يا ويلتي ليتني

لم اتخذ فلانا خليلا ٥ والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الامي

الذي اعتنى الله رسولا وانزل عليه في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل

من بين يديه ولا من خلفه تنزيلا. ولم يجعل له في جميع الانبياء والمرسلين

نظيرا ولا مثيلا. وعلى آله الذين شرفهم بالانتساب اليه وفضلهم

تفضيلا. وطهرهم من دنس الرجس قولا وفعلا واصولا. وحكم بان محبتهم

فرض كان عنه مسئولا ومحل دليل وجوب التمسك بها والتفويض

منقولا. ومن ذكرا لا معقولا ومعقولا. وعلى اصحابه الذين نالوا الصحبة

شرفا جليلا وذللوا الجهاد مضاعب الكفر ذليلا وزهدوا في الدنيا

اذ كان متاعا قليلا فمدحهم الحق جل وعلا في كتابه وجلاهم بحليلا

واثنى على بابقهم وحسن معاملتهم احوالا وافضالا ودمث استقامتهم

على صراط الضلال وكونهم لا يميلون ميلا بقوله تعالى رجال صدقوا

ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا

واخبر تعالى انه رضي عنهم ورضوا عنه ومراضاتهم قرن رضاه قبلا. وعلى

التابعين لهم باحسان الى يوم الدين جميلا فجميلا صلوة دايمة على ممر

الازمان بكره واصيلا ○ وبعد فقد ورد الخزانة الشريفة العلوية العالية المنيفة من المقام العالي المنيف من المقام العالي المولوي الشريفي الامري العلوي الفاطمي النبوي مقام مولانا وامامنا وقدوتنا وعالمنا الامام الاعظم والخليفة المعظم العالم العامل الفرد الكامل وذو الفضل العلم الجامع لفنون الحكم وبركم

اذا ما العالمون ذكروه ... قالوا اوحد الها الحبر الامام
اذا ما العالمون راوه قالوا انه هذا يعلم الحبر اللهمام

الحاير الفضل الاجل الاثيل الحاوي النعت الجميل الجليل الاتي من وجوهه الشرف الترقي ذروة كل شرف قطب يطبقه ذلك الشرف وانما تقطب مركز السودد العظما خلاصة الفروع الطاهرية العلوية نتيجة الاصول المقدسة النبوية رضيع لبان الوحي والتنزيل رضيع لبان الحكم والتاويل سلالة الرسول وبضعته وشبيهه وحبيبته وبهجته وخليفة المجد الهلالة الخافقا

اذا تغفل فكر المرء في وصف ... من مجده عرفت فيه خواطره
المعقود بنواصي النصر والسعاد المحتوم له في المواطن العظام ان اراد

ملاك كان الله ارسل ناضرا ... اثاب عمره ملكه حبرا

الشهاب الثاقب الذي اشرق نوره على كنايف الضلالة فاجرفوضا والنور اللامع الذي طمس ظلم الباطنية المارقين والبور الشاطح الذي رمح حتى ادمغ المنافقين والابيض الهامع على بنايا المعاند والمارق الطالع في فروالمجد والمكارم والبرهان الواضح الدليل والميزان القائم العادل والانسان الذي هو نور عيون الامامة والسلطان

الذي هو حجة هذه الامة ○ شعرا

لو كان في الرمس القديم تماثل البنا الذي عليه الدكر والاطلا ○
امام المسلمين وامير المومنين وولد سيد المرسلين وخليفة الامين
المتوكل على الله امير المومنين شرف الدين بن شمس الدين بن امير المومنين
المهدي لدين الله احمد يحيى بن رسول الله صلى الله عليه وسلم
نسبا كان عليه من حسن الضفا يونق ومن فروع الصلاح عمودا
تمثال مقامه المقامي ومقره الرفيع السامي باهر اشراق ممتد الرواق
نافذ الامر في جميع الافاق وبارح ركنا للدين الا ترعى حوادث
الايام وحصنا للمسلمين والاسلام منيع المطارف الزام وكانت البيانة
المنصورة معقوده بالتاييد والنايبة المفكرة منضاعفة للاقبال
والتجديد وكان الحيا لما درس وعفى من سنن جده المصطفى
وما توارثه الطاهرون الحنفا اهل الكرم والفضل والوفا الذين
عروة الله الوثقى وسبب النجاة الذي من تمسك به لا يشقى ومن زاغ
عنه ضل وغوى فمن فارق غرق ومن هوى يعني الكلام ولا
يفي الكلام ولا يحيط بوصفهم بحيط وما يوصف الا بفضله

فلما قرات الكتاب الكريم والتقبيل العالي العظيم المحتوي على الدر
جواهر الكلام وبديع درر النظام وفنون البيان التي لا زال من لسان
وعيون الدهر المنصب من الهتان وضواحك الزاهرة في جو
الكلم الحاكمة وغرائب الالفاظ الجلوة على منصات الاذهان وفصل
الخطاب التي هو في عنديها اصر سبحان

هانت البدر حتى ما له ثمن ... وارخصت قيمة الاشعار والخطب

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225





وابد فاع تلك النعمة شكرا يوجب اسعاد النعم واستمداد المنح والقسم ولك الفتوح شرقا وغربا وبعدا وقربا فلا زال ذلك المقام الكريم زاده الله شرفا ونعم متواليه وفتوح متتاليه متجدده له السعاد ده حتى تعقد بابامه غلقا الا انفتح ولا تقدم على امر مهم الا اتضح ولا يتوجه الى مقصد الا ولا يتولى فاتحا الا اصلح وما اولته تلك اليد الشريفة الوكفه الوريم الوكله على ابتداء النعم الالقى الجود والكرم التي هم بيضعه من رسول الله صلى الله وسلم من اهدى لكلين محسان وهكلين غريبان من جاس الخيل التي الخير معقوده بنواصيها والعز مقرون بدانيها وقاصيها فما هي باول يد لكم اهل البيت المطهر بل احدى يديكم التي تاتكم لكم اتادي عن سابغه اعد منها ولا اعدد ها فشكر اسه تلك المايادي المسبله كالغيث المنت فيض نيلها حتى عم الاقاصي والادني

اتاني كتابك والمكرمات ... تسير لديه مسير النجب
لكرجاني مركب من بذاك ... فكتب الامام امير الكتب

وما ارتد البك المالك من الحصص على جد وام الود في حرص على حسن الاعتقاد فالمماليك بحمايه محبولون على كل المحبه مشابرون على في واجب الخدمه وجميل الصحبه حتى صارت محبه ذلك المقام الشريف زاده الله شرفا ممزوجه منهم دكل شعر وبشر يحفوظه في كل كتاب وفي فتر بحروف حوادث الغير مدبره عندهم ليوم النشر وبرد هما مين اليتا الى جلده ونقام لاياه حسن شتاب كيف وانتم اولى المزلى في الكتاب منصوصون من العموم بخصوصه والسلام عليكم ايها المال في صلاتنا مناجيه وفي نصوص كتبنا مكتوبه ٥

موضع جبهه وعرض وعضهم ... كفر وقربهم منجا ومعتصم
ان عداهل النفي كانوا امتهم ... او قيل بين غير اهل الارض قيل هم

وذلك وان اشترك فيه سائر المسلمين واستوى فيه جميع المومنين فللمماليك خصوصيته لاعتنا الرايده ونسبه الولا القديمه وحظ الوافر الجليل وقسم الفاخر النبيل في المنح النبويه وان جاز لكل فيها الفضل الجسيم لانه قد حض منها من حض بقوله صلى الله عليه وسلم اسلم منا فالمنوط من صفات ذلك المقام الكريم زاده الله شرفا ان الحق المالك به في تلك النسبه كما قد تحقوبه في ايد الود والمحبه كانت مودته تسلمان لكه نسبا ولم يكن بين نوح وابنه نسب ٥ وقد صدق المحكم ما لم يقابل غيران للامه بنبيها صلى الله عليه وسلم اسوة وبسلفها الصالح قدوة كانوا بنها دون بالكثير والقليل والحقير والجليل يقولون المماليك وغيرهم ان يقدموا بين يدي ذلك المقام الكريم زاده الله شرفا ما يليق ان يقدم بين يدكم ويصلح ان يهدا اليه على حسب قدره العظيم وشرفه الخطير خبيم لن اموا مرا مستجاز ان يجد الواجد السبيلا لوكان يهدي الى الانسان قيمته ... ما كان قيمتك الدنيا وما فيها

والماهول من شريف تلك الحلة الفاضله جبر ذلك بحسن المقابله

اهديت ما لوان اضعافه ... مطروح عندك ما بانا
كمثل ما لقيس التي لم تن ... اهدا وها عذ ليمانا
هذا المحال لك ان تبغضه ... بان لنا لك ترضانا

واما علوم المماليك وشيوخهم ومعلمهم وطبق يقينهم فهم بحمد الله الدين معتنقون ولفقه مالك يعتنا ملون وبالكتاب والسنه على صراط العدل قائمون ولكل الضلال هادمون ولواد البغي ساخون

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225





للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

وشكرا لما منت علينا هباته ... من الصافات السابقات المتاوم
بدانا بما كنا حديرين حمله ... اليه وكان الفضل للمتقادم
وحيظ على حفظ المودة بيننا ... وأذكرنا فعل الحبيب الاقادم
فصبح حمد الله باق وداده ... اذا كان ود الناس ليس بدائم
وكيف وفي نص الكتاب وداده ... وحبكم فرض على كل آدم
وقد خصنا من ذلك الود بسا ... حصوصية عزت على كل رايم
سمحنا به فخرا على كل حاجز ... وبلغنا المأمول من كل فاحم
فنسبتنا من اجبت نبيا ... كنسبة سلمان سليل الاعاجم
وهانحن من قدام شيا سالك ... وهانحن فقدنا له كل عاصم
وها كل مخطوب محت لخاطب ... وها كل وارد وارد كل حاجم
ولكن كما بالقضا ميسر ... بحكمة ذي حكم وفهم قاسم
وما قد رشمتم في الخلاص وبينه ... على يدنا عن بعض مال الحصان لم
فسمعا وطوعا كلما قد رسمتم ... يفرض علينا مثل فرض القوان م
وما المال شيا عندنا حل قدره ... وكل حطام ذاهب غير باقي لم
ولكنا صرنا الرعاه عليهم ... يضرنا ما ضرهم من دقا هم
ومقصودنا ان يا منوا في احتلامهم ... وبسطم حوال الحلو المو شم
وافضل تراع من عبد الرفوحله ... وشر رعاه الناس شر الحق اطلم
بخير الملوك العادلون وجرنا ... تنافله الركبان فعل المكا تم
وانور من شمس النهار ليالنا ... بيتض فيها العدل سود المطالم

وما زال ركن الحق في كل بلدة ... بكم لمنا من حرق هدم الهدادم
وما زال بحر سيبك العدل في الورى ... مدا الدهر عن جوز وظلم الطوالم
فانك نور الحق بين عباده ... وانت لهذا الدين افضل عاصم
عليك سلام الله يا بن رسوله ... وآلك ما اختلف الملوان والي البدو الم
والله تعالى المسئول الدوام بقاذلك المقام وان يمتع به المسلمين والاسلا
وان يمكن بسط قدرته من اقاصي المحيط وبوسع دايره مملكته بتبعه
الاقاليم المحيطه ويشرح على الرعايا من انوار عدله ما ينسخ ظلمات المظالم
ويظهر على البرايا ما يبهر المجازب والمسالم وان يبتعنا كما لبيك يا وفر
الاقسام واو في الخطوط من السهام وان يخصه باسنى العمية وعامة السلام
ما هم عمام وبجح حمام م والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

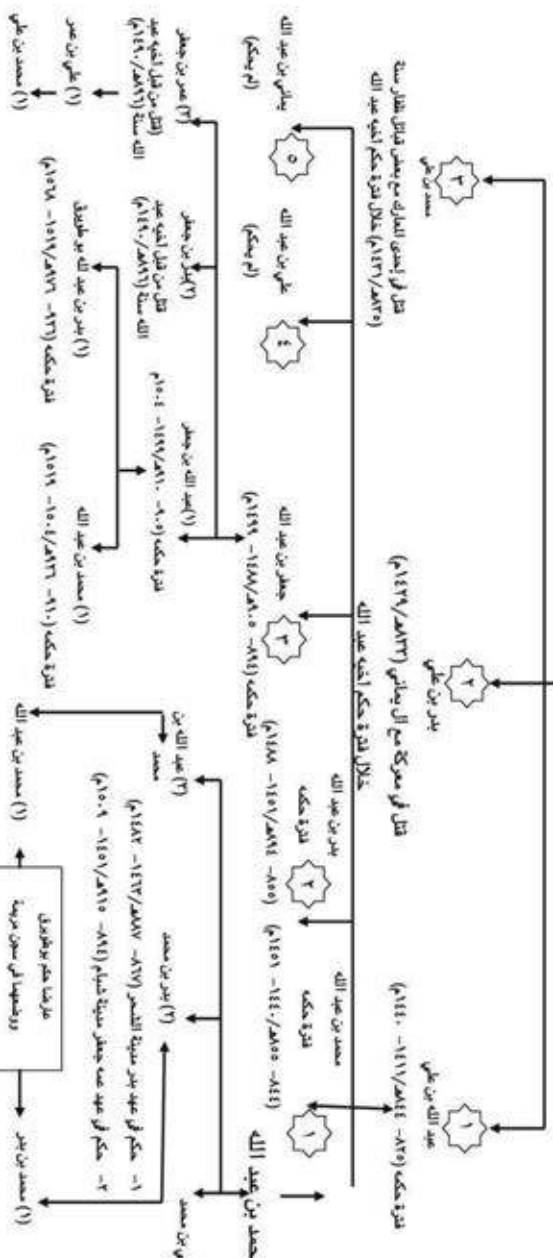
ملحق رقم (٢)

جدول يبين تسلسل أبرز سلاطين الدولة الكثيرية الذين حكموا قبل حكم السلطان بدر بن عبد الله بوطويرق

مؤسس الدولة الكثيرية

علي بن عمر بن جعفر بن بدر بن محمد بن علي بن عمر بن قتيم

فترة حكمه (٨٤٩هـ/١٤٤٥م)



(١) إعداد الجدول من عجهودات الباحث.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ملحق رقم (٣)

قارة الغز	قرية تقع شرق تريم، وقد بني بها حصن في مرتفع جبلي.
حصن	مبنى عسكري يرمز لسيادة الجهة التي تسيطر على المنطقة التي يبنى فيها.
حكم المناصفة	تقاسم المصالح الاقتصادية والاشتراك في إصدار الأحكام القبلية وتلجأ إليه الأطراف المتصارعة عند عجز أي منها عن فرض سيطرته أو حكمه.
العجز	إحدى قرى شرق وادي حضرموت بالقرب من تريم.
اللّسك	تعرف اليوم باسم القرية وتقع شرقي تريم.
المَسْفَلة	يطلق هذا اللفظ بين الحضارم على أسفل وادي حضرموت شرقاً.
المَعَلاة	يطلق هذا اللفظ بين الحضارم على أعلى وادي حضرموت غرباً.
صوح	إحدى قرى تريم شرق وادي حضرموت.
ذي أصبح	تعرف اليوم بديصبح وهي قرية تقع بين

	الحوطة والغرفة
وادي العجل	سمي وادي حضرموت بوادي العجل كناية عن انتشار السناوة.
أعمال السناوة	طريقة لرفع المياه من الآبار باستخدام عجلة تُشَد بحبل يجرها الحيوان (حمار، ثور، جمل) بمساعدة الإنسان.

رِيدَة الدِّين	تطلق على بعض القرى الزراعية الموجودة في الهضاب ويرتبط اسمها بأسماء القبائل التي تسكنها مثل: ريدة الصيعر، وريدة الجوهيين، وريدة المعارَّة، وريد الدَّين وهكذا.
الأحقَافْ	وهي كثبان من الرمل والحصى ويطلق على الذي يقع في الشمال الشرقي.من حضرموت
الكَسَرْ	تعني المنطقة الواقعة غرب القطن شرقي وادي دوعن جنوب وادي العين وهي غرب ووسط وادي حضرموت.
السَرَير	تعني المنطقة الواقعة شرقي شبام غربي الغَرَف وهي شمال وادي حضرموت.
المَشَّيخَة	تعني المنصَبْ لقبيلة معينة للمشايخ وهي مركز روحي واجتماعي يتميز به رئيس قبيلة المشايخ مثل الشيخ العمودي وهي من الرئاسات المستقلة.
الزّاوِيَة	غرفة ملحقة بالمسجد وتستخدم للتعليم، وقد تضم مكتبة. وعادة تكون ملازمة للمساجد التي يسكن بجوارها أحد الزعامات الروحية والاجتماعية من العلويين والمشايخ.
سور آل عامر	إحدى قرى الكسر الحاضعة لقبيلة نهد وهي مركز رئيس القبيلة.
المقدَّم	لقب تشريفي يطلق على زعيم القبيلة، كما يطلق على رئيس المجموعة في إطار المهنة الواحدة، أو الحارة الواحدة، أو السوق.
الأربطة	جمع رباط: وهي معاهد للتعليم الديني يرابط فيها الطلاب ويتفرغون للعلم.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

نظام الشراكة	الاشتراك في التحصيل المادي والمشاركة في إصدار الأحكام.
الريال الأشرفي	عملة ذهبية تنسب إلى الملك الأشرف الرسولي وهي تساوي ٣٦٠ ريالاً من الريالات التي ضربها بوطويرق.
البُقش	جمع بقشة وهي فئة صغيرة من فئات
	العملة النقدية المعدنية التي ضربها السلطان بدر بوطويرق.
المثاوي والمسارح	المثاوي مكان تقيم فيه القبيلة، والمسارح منطقة الرعي.
الشراحة	تعني حماية الزرع من الطيور والحيوانات، ويقوم بهذا العمل فرد واحد أو مجموعة أفراد.
الحراسة	ويعني حراسة المنطقة بكاملها خلال الموسم الزراعي من أي هجمات قبلية أو أعمال عدوانية مثل السرقة والحرائق، وتتولى ذلك إحدى القبائل القوية.
الرهائن	جمع رهينة، وضع الرهائن عرف قبلي وتسمى (عَدَالة) وهي تشبه الشرط الجزائي، وتلجأ إليه القبائل لضمان تنفيذ ما يقع بينها من اتفاقات، وعادة ما تختار الرهائن من أهم المدن والقرى.
الفرقات	نوع من التبرعات والمساهمات الاجتماعية أوالأتاوات التي يفرضها الحكام كنوع من إيرادات الدولة أو لتنفيذ مشروع عام أو تحقيق مصلحة.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

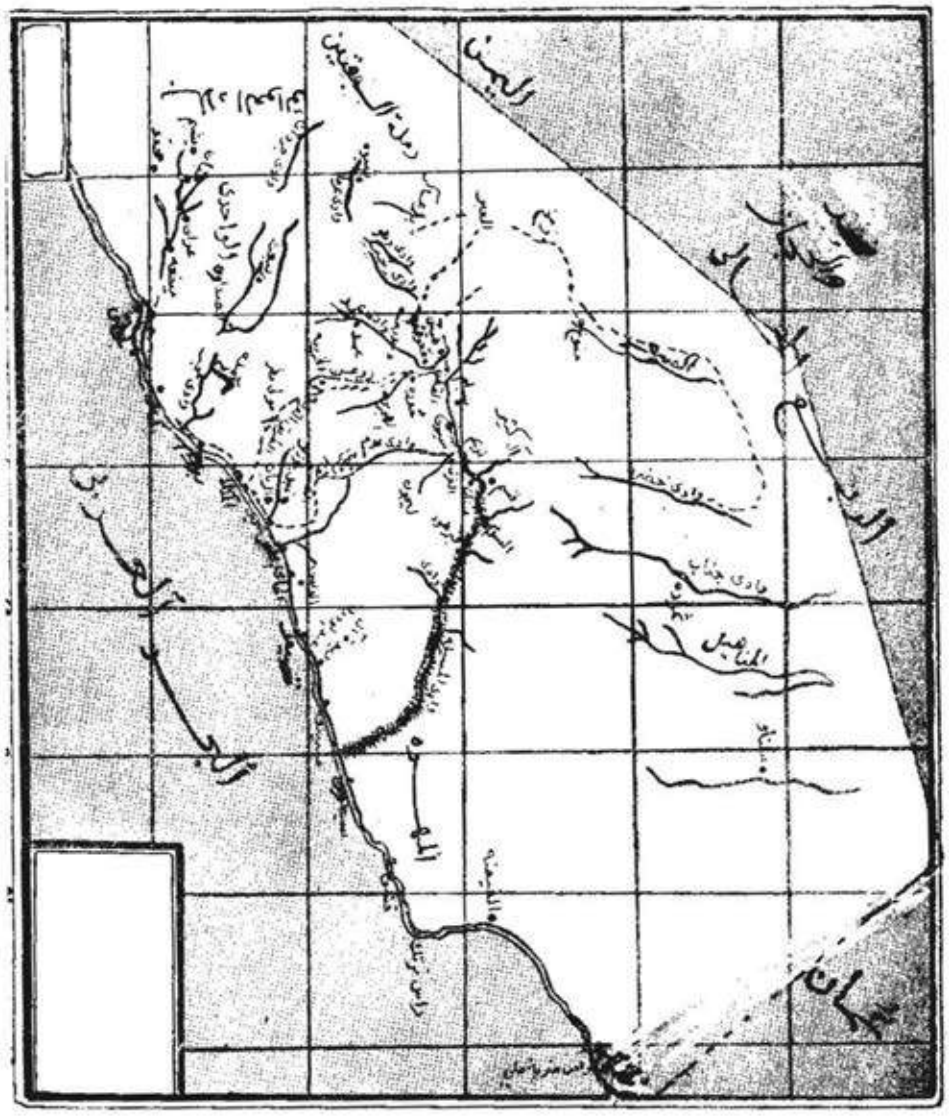
المَصْنَعَة	مبنى مميز في شكله الهندسي، يستخدم للأغراض العسكرية، وقد تسكنه بعض الزعامات القبلية.
من كل قالب لغة	تعبير محلي يستخدم للدلالة على معاني التنوع والاختلاف في اللغات والأجناس والبلدان وغيرها.
الكرفان	جمع كريف وهي أحواض كبيرة تحفر لحفظ مياه الأمطار لوقت الحاجة.
النَشَرْ	صيغة من صيغ الاتفاقات بين مالك الأرض والمزارع تنص على نصيب كل منهما في المحصول وغالباً ما يكون نصيب المالك الثلث أو الربع.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

الخرائط والصور

ملحق رقم (٤)

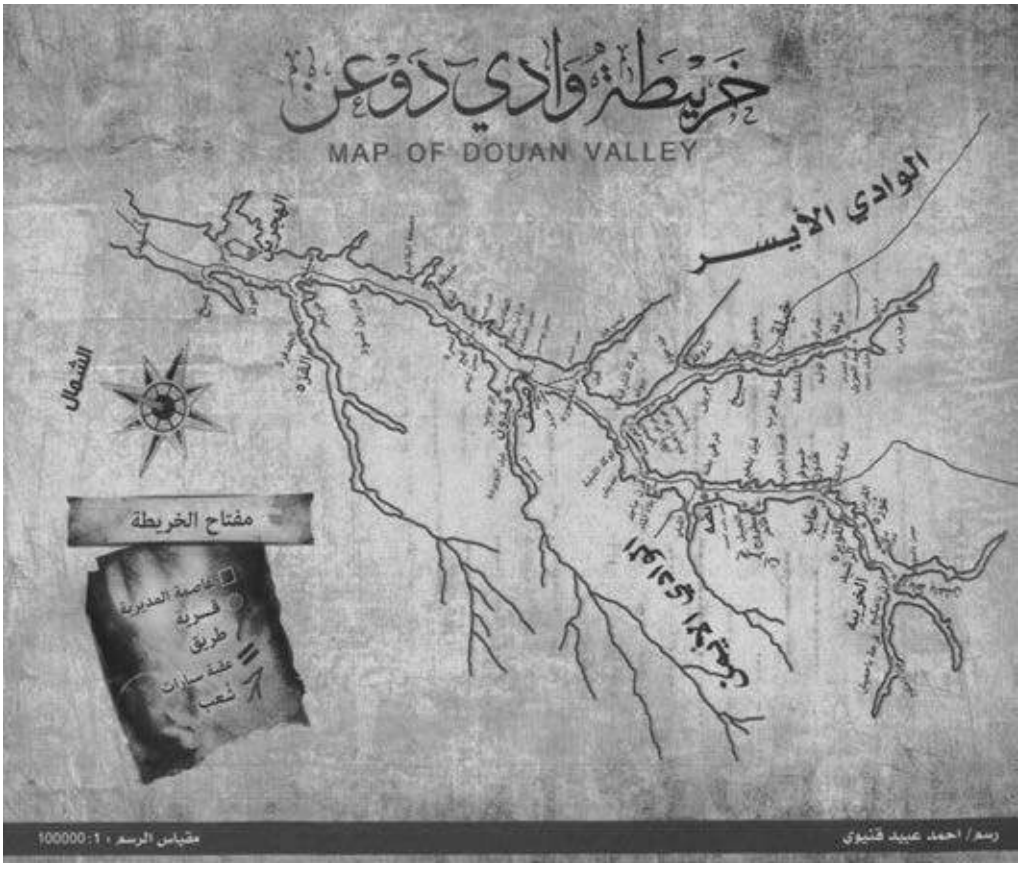


(١) سعيد عوض باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي ص: ٢٥

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

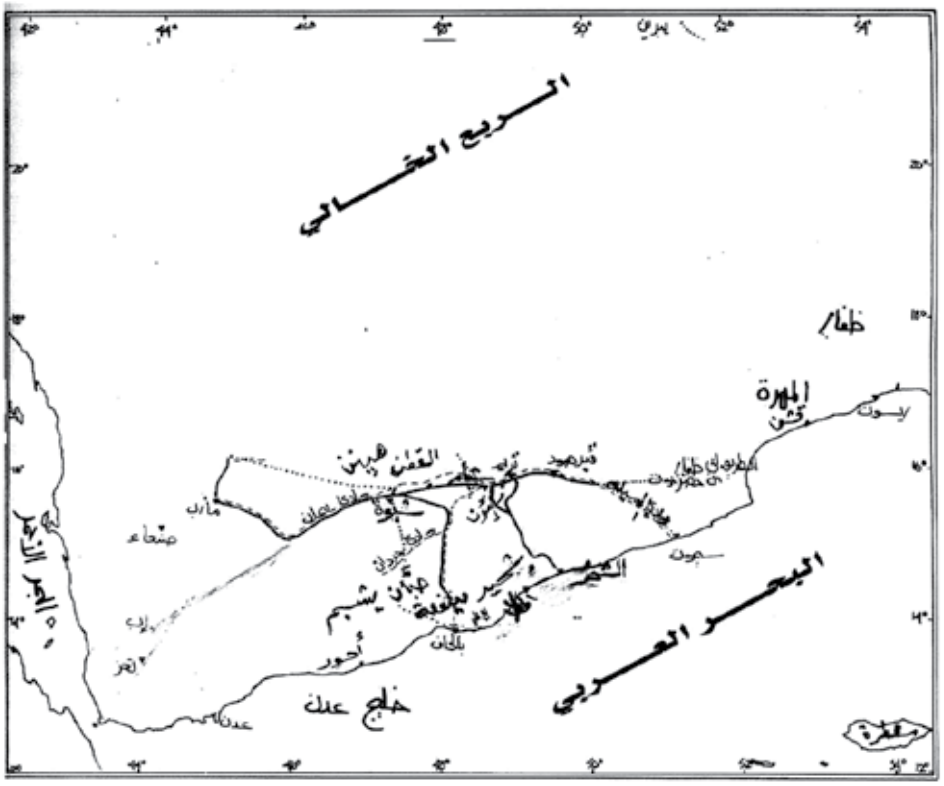
للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

ملحق رقم (٥)



(١) وادي دوعن الأرض والإنسان

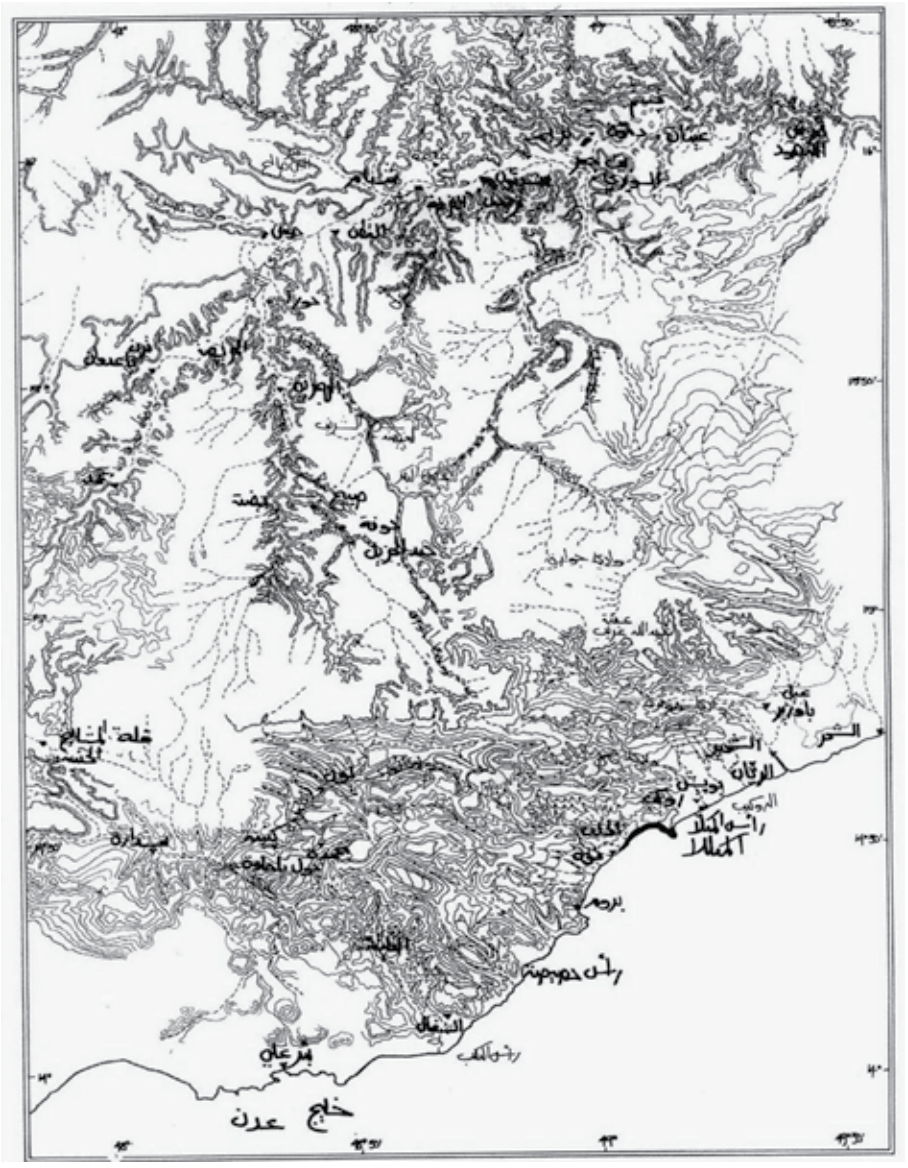
ملحق رقم (٦)



(١) سلمى سمر الدملوجي : وادي حضرموت ، هندسة العمارة الطينية ، مدينتا شبام وتريم ، ص : ٧٤

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

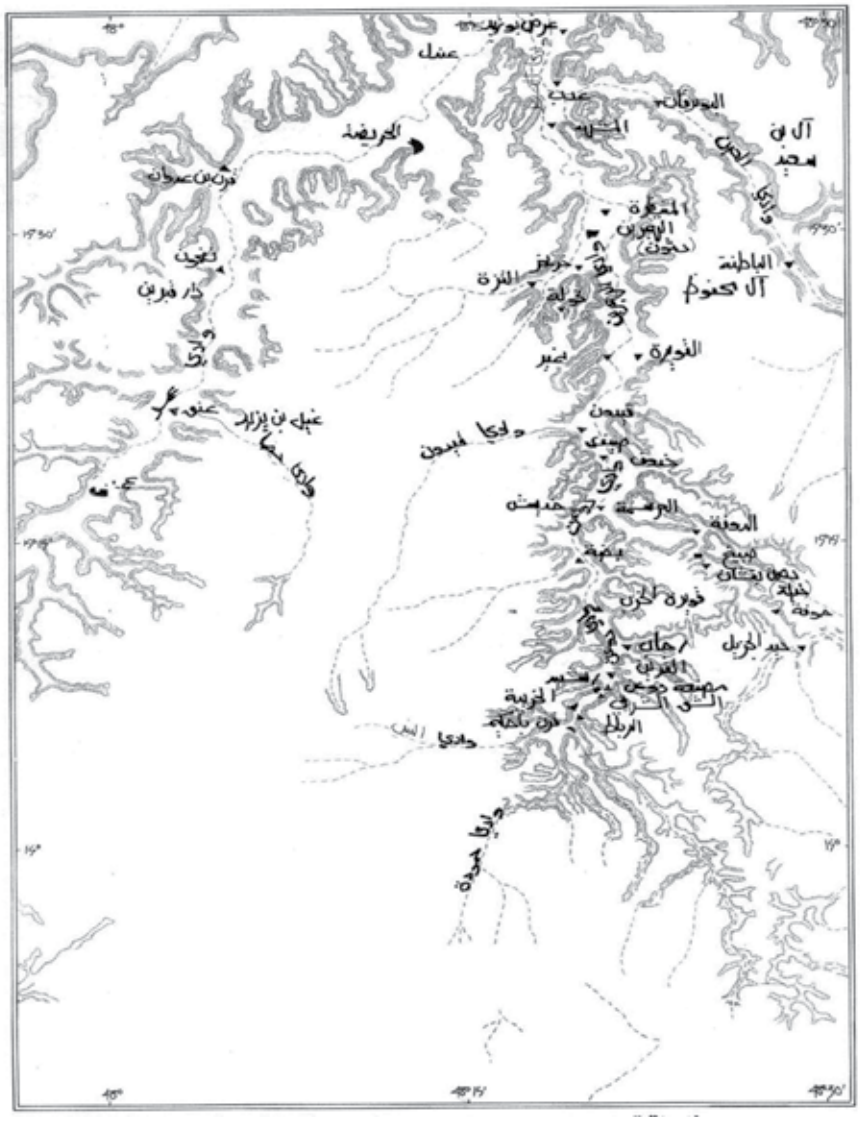
ملحق رقم (٧)



(١) سلمى سمر الد ملوجي : وادي حضرموت، هندسة العمارة الطينية ، مدينتا شبام وتريم ، ص:٦٣

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ملحق رقم (٨)

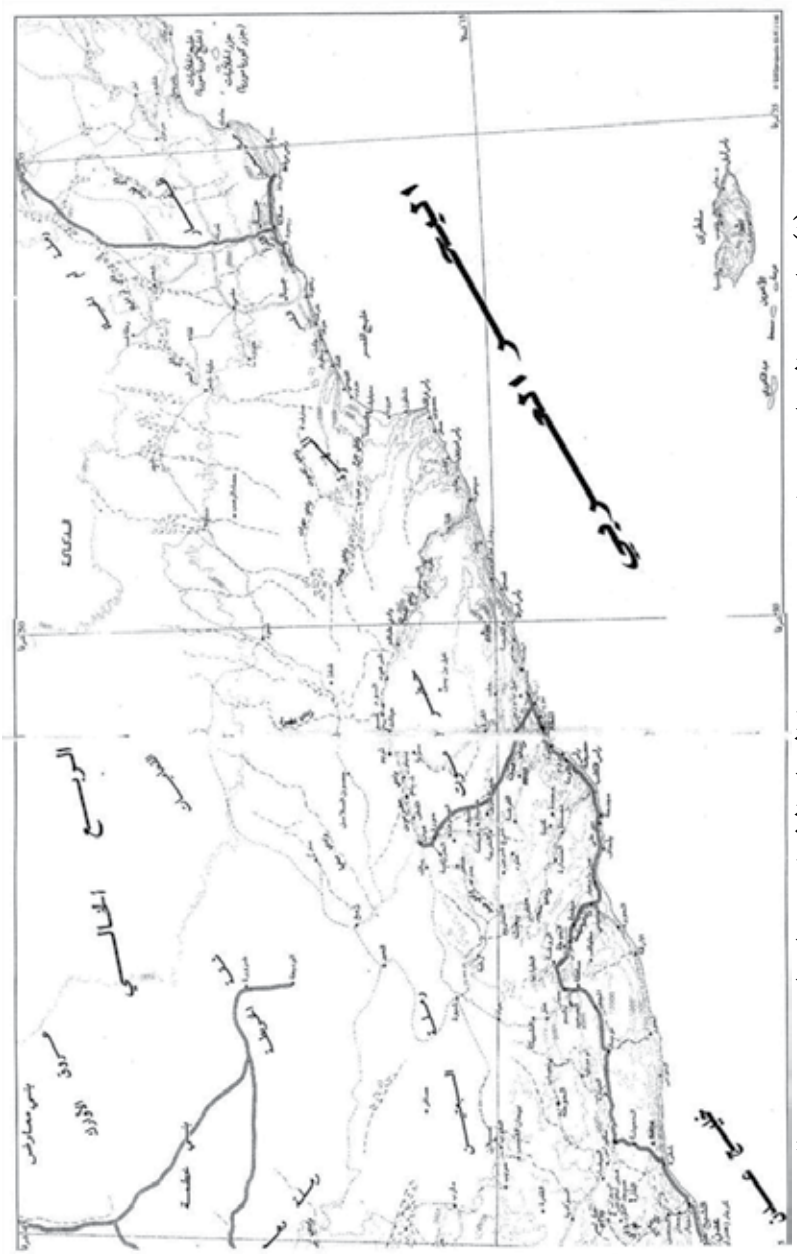


(١) سلمى سمر الد ملوجي : وادي حضرموت ، هندسة العمارة الطينية ، مدينتا شبام وتريم ، ص : ٦٤

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

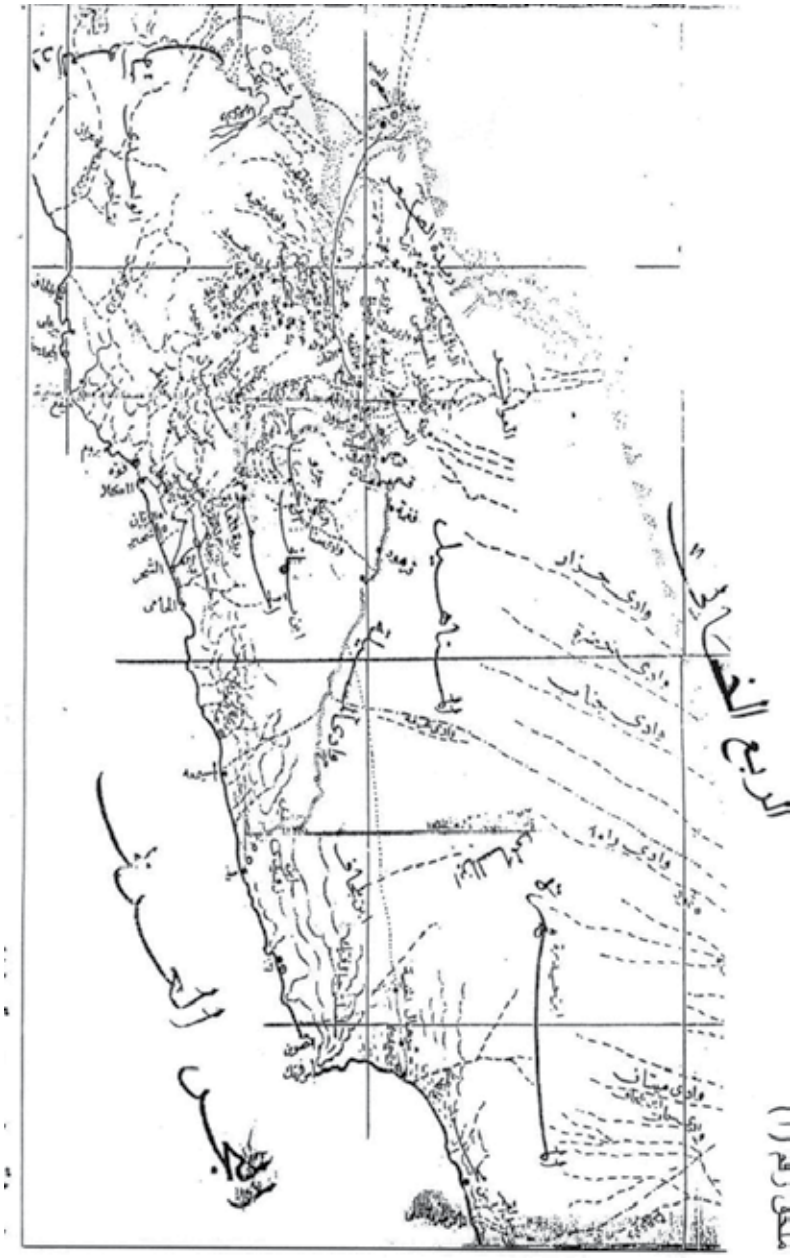
للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ملحق رقم (٩)



(١) سلمى سمر الد ملوجي : وادي حضرموت ، هندسة العمارة الطينية ، مدينتا شبام وتريم ، ص : ٢٠

ملحق رقم (١٠)



(١) صلاح البكري : تاريخ حضرموت السياسي ، القاهرة ، مطبعة البابلي الحلبي ، ج٢ ، ط ١ ، ١٩٣٦م ، ص( )

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

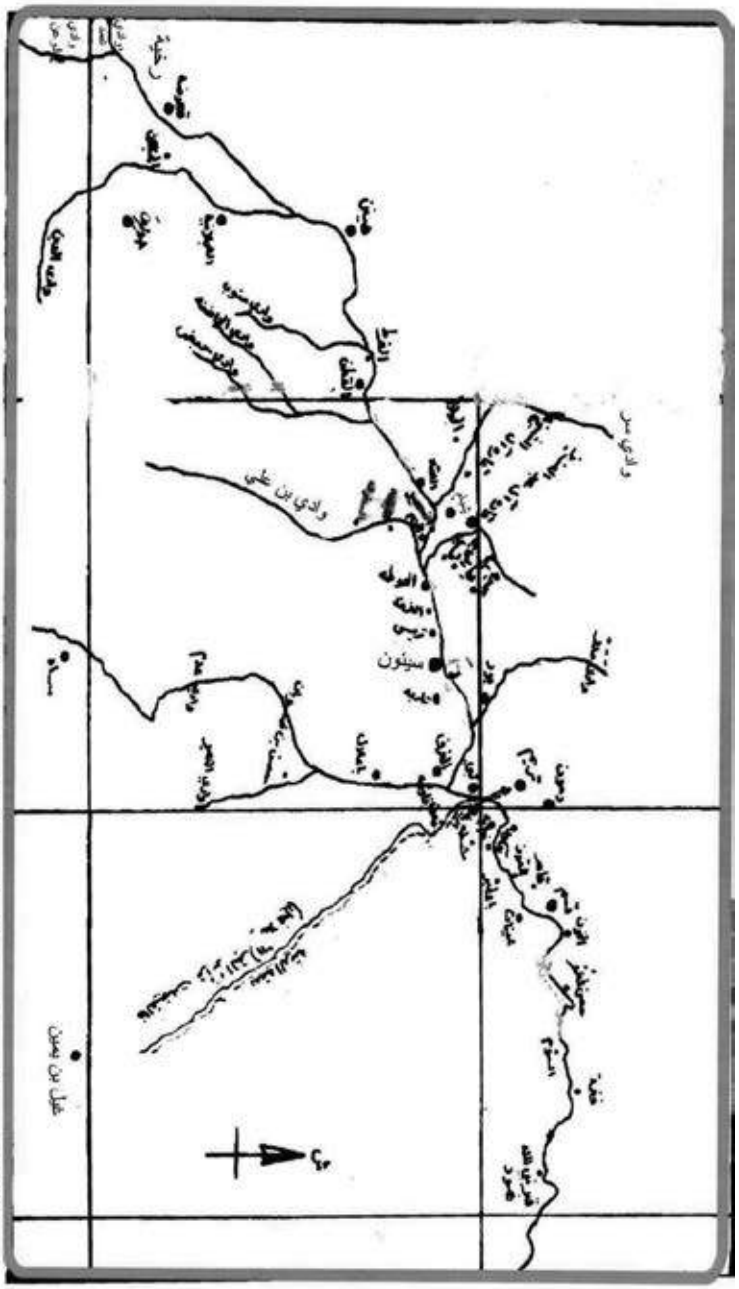
ملحق (١١)



خارطة توضح موانئ السواحل العربية والساحل الجنوبي لشرق أفريقيا والساحل الغربي للهند.

(١) نوال حمزة يوسف الصيرفي: النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري/ القرن السادس عشر الميلادي ،الرياض،دارة الملك عبدالعزيز، ط١ ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ص:١١٣.

ملحق رقم (١٢)

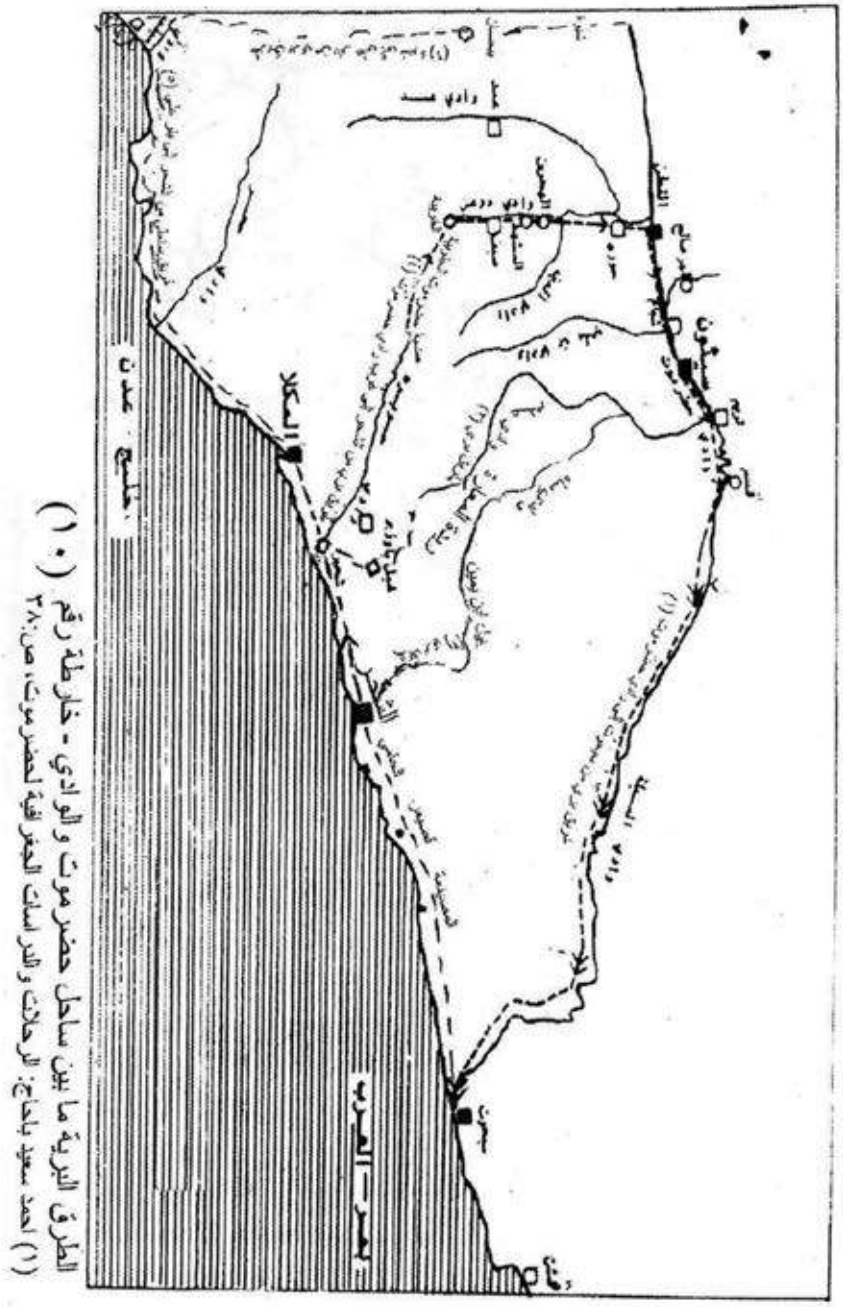


خريطة توضح وادي حضرموت وفروعه الرئيسة رقم (٤)

(١) محمد عبدالقادر بامطرف: في سبيل الحكم، ص: (١٧٧)

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

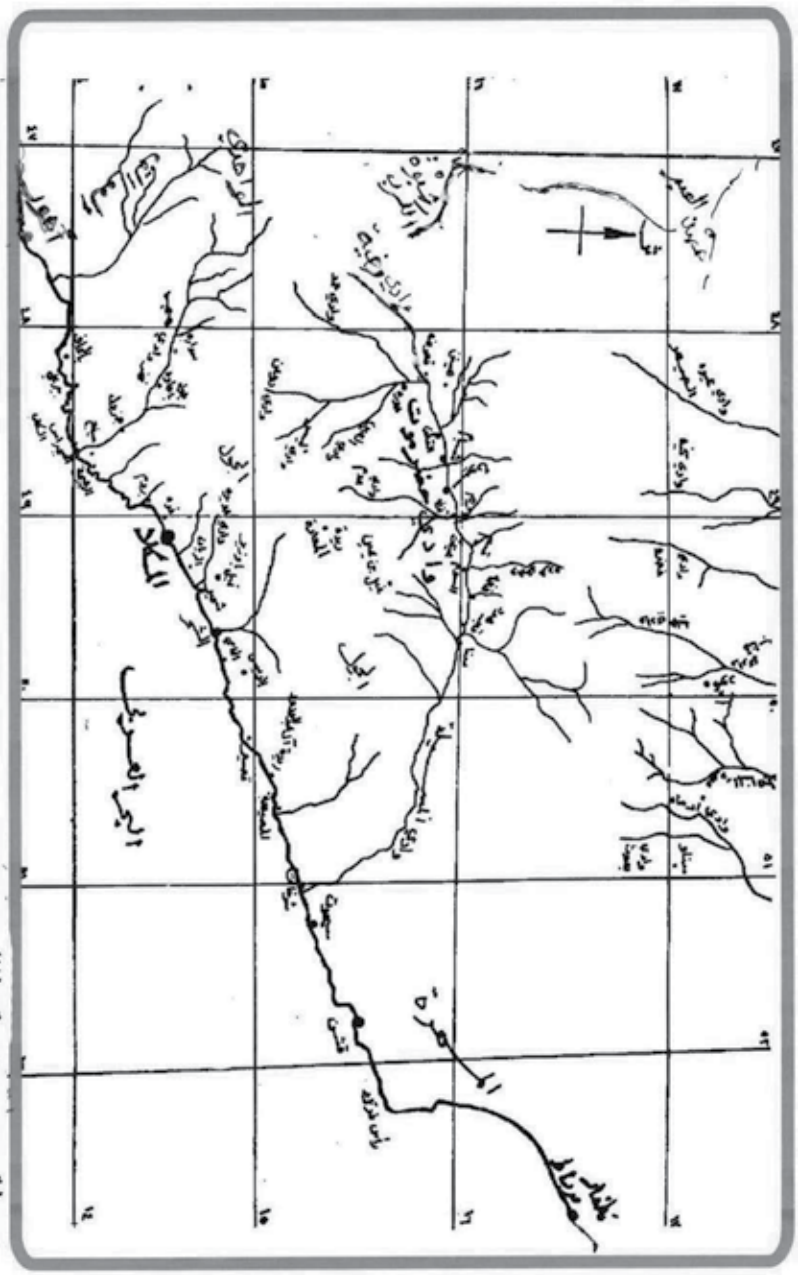
ملحق (١٣)



الطرق البرية ما بين ساحل حضرموت والوادي - خارطة رقم (١٠)
(١) احمد سعيد باخاج: الرحلات والدراسات الجغرافية لحضرموت، ص٣٨٠

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ملحق رقم (١٤)



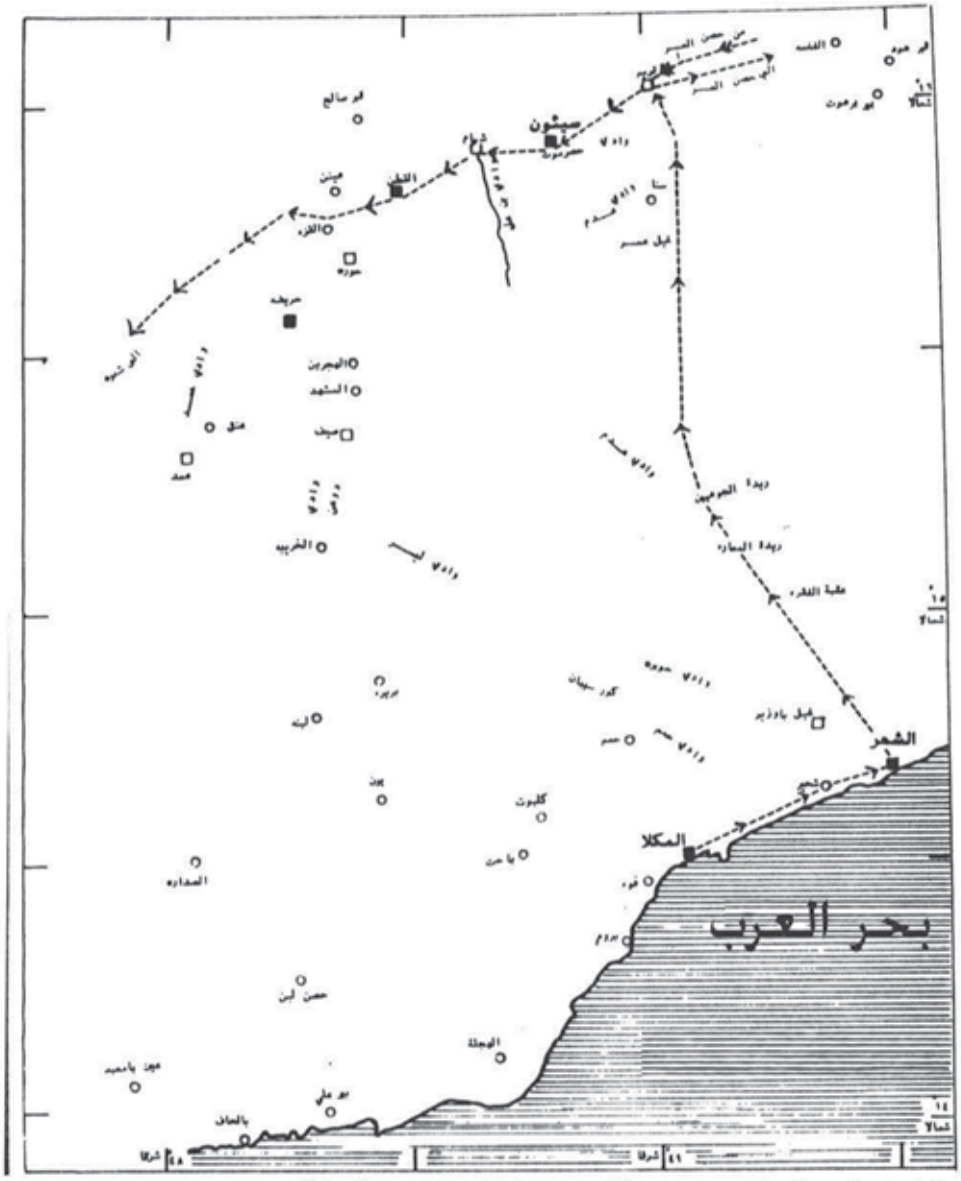
خريطة حضرموت رقم (٢)

(١) محمد بن احمد الشاطري: أنوار التاريخ الحضرمي، ج١، ص: ٣١ (٢١٠)

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

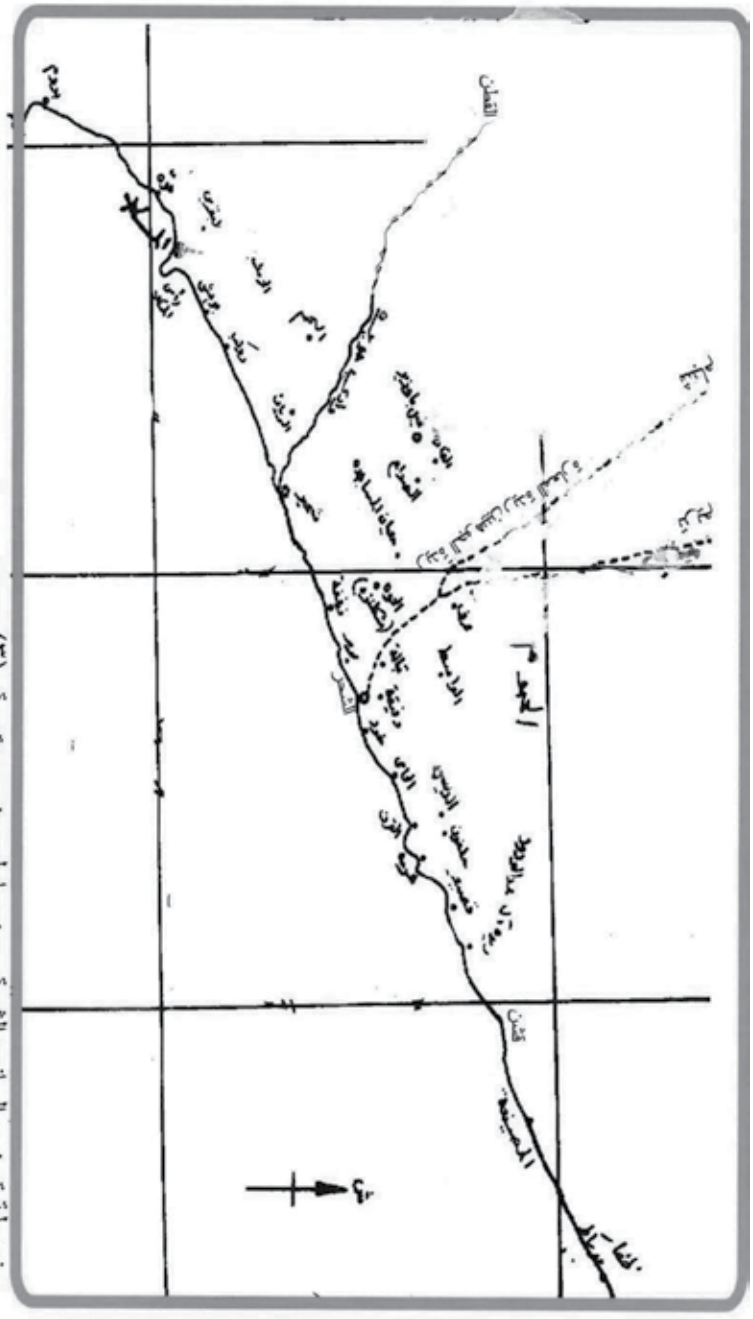
ملحق رقم (١٥)



الطرق البرية ما بين تريم والشحر، وشبام وشبوة رقم (١٢)

(١) احمد سعيد باحاج: الرحلات والدراسات لحضرموت، ط١، ١٩٨٨م، ص:(٣٤)

ملحق رقم (١٦)



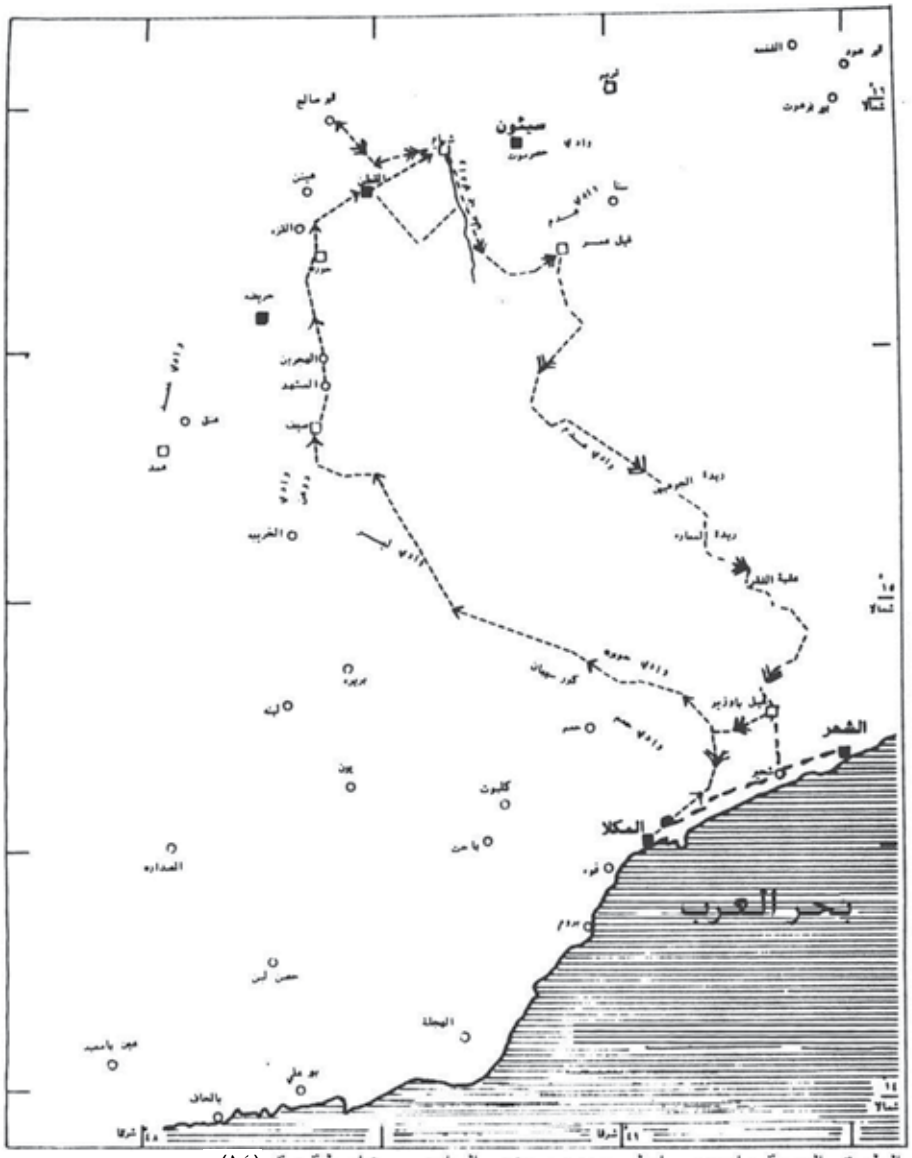
خريطة توضح الجانب الشرقي من ساحل حضرموت رقم (٣)

(١) محمد عبدالقادر بامطرف: في سبيل الحكم، عدن، الهمداني، ط٢، ١٩٨٣م، ص: (١٨٠)

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

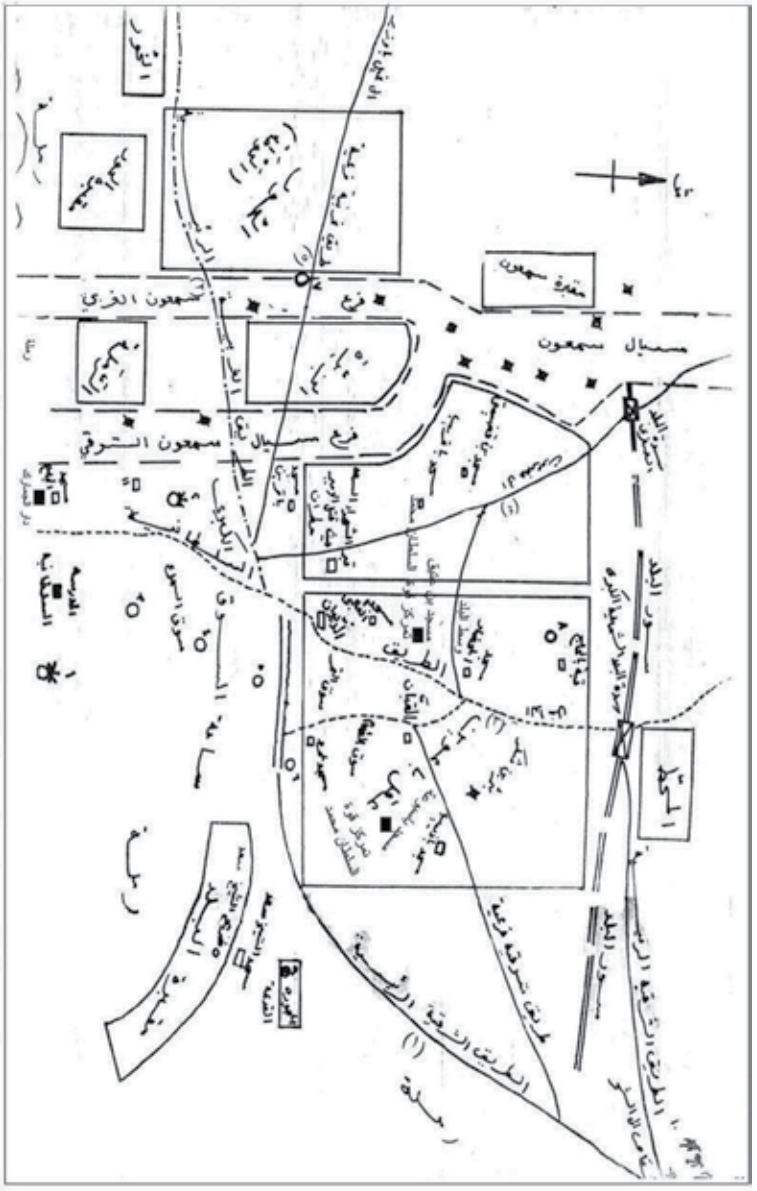
ملحق رقم (١٧)



الطرق البرية ما بين ساحل حضرموت والوادي - خارطة رقم (١٤)

(١) أحمد سعيد باحاج: الرحلات والدراسات الجغرافية لحضرموت،جدة،مكتبة الجسر،ط١، ١٩٨٨م،ص:٢٦

ملحق رقم (١٨)

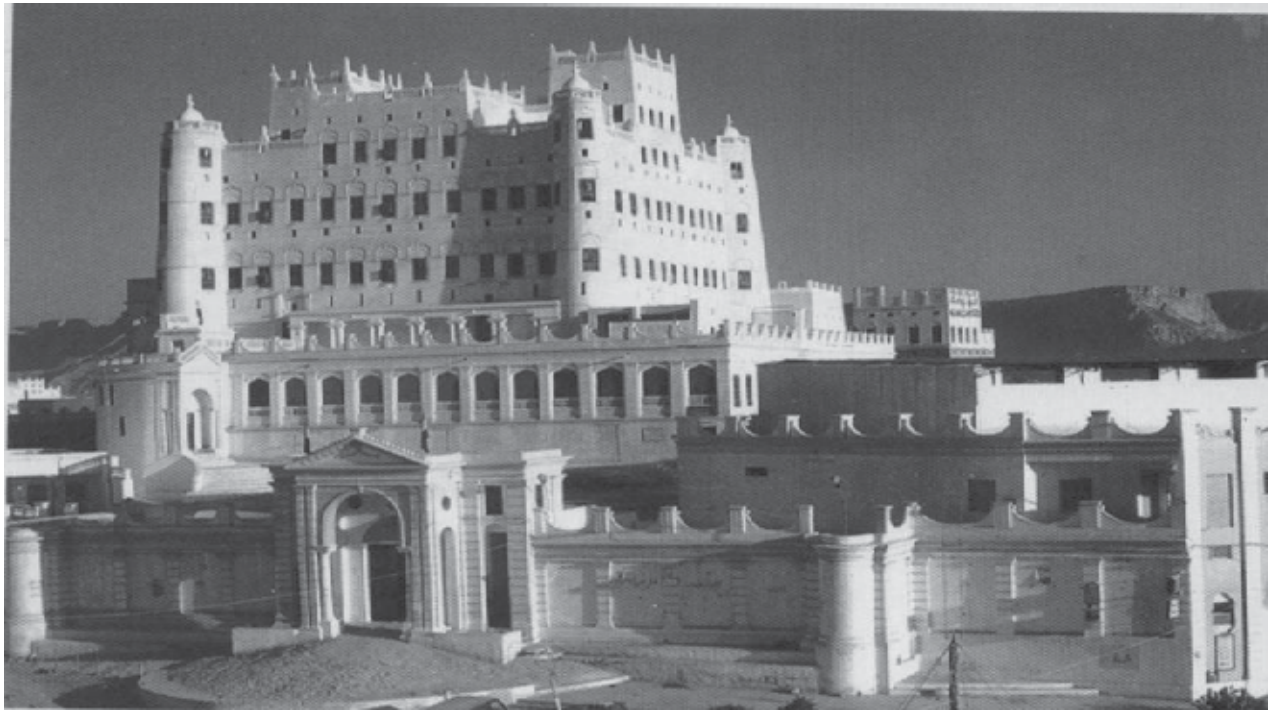


خريطة توضح معالم مدينة الشحر في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي وتوضح تمركز قوة السلطان محمد

(١) محمد عبدالقادر بامطرف: الشهداء السبعة، ص: (٢٣)

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225



ملحق رقم (١٩)

القصر السلطاني بسيئون أول ما أسس بناؤه عند قيام الدولة الكثيرية سنة ٨١٤هـ/ ١٤١٢م، وجدد عمارة الحصن السلطان بدر بو طويرق الكثيري عندما تولى السلطنة سنة ٩٢٦هـ/ ١٥١٩م، وبنى بجواره مسجداً في الجهة الشمالية، ثم أعيد بناؤه في عهد السلطان منصور بن غالب الكثيري سنة ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م[١].

(١) عبد القادر محمد الصبان: تعريفات تاريخية عن وادي حضرموت، ص: ١١.

ملحق رقم (٢٠)



صورة توضح البوابة الغربية لمدينة الشحر والسور المحيط بالمدينة

(١) احمد سعيد باحاج: الرحلات والدراسات الجغرافية لحضرموت، جدة، مكتبة العيس، ط١، ١٩٨٨م، ص: (٢٠١)

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الفهرس

الإهداء ٥
شكر وتقدير ٧
تقديم ٩
المقــدمة ١١

الأوضاع السياسية في حضرموت
في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي

أولاً: لمحة عن الأوضاع السياسية في تلك الفترة ٢٣
ثانياً: الرئاسات القبلية المستقلة في وسط وغرب حضرموت ٢٥
أ. قبيلة نهد في منطقة الكسر ٢٥
ب. مشيخة العمودي في وادي دوعن ٢٩
ثالثاً: الكيانات السياسية الـمستقلة ٣١
أ. دويلة آل السعدي في شبام ٣١
ب. دويلة آل إقبال في الشحر ٣٤
ج. دويلة آل يماني في تريم ٣٦
د. دويلة الحبوظي في ظفار ٣٩
هـ. الدولة الكثيرية قبل عهد السلطان بدر بو طويرق ٤١

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

تولي السلطان بدر بن عبدالله بوطويرق الكثيري الحكم وتوسعاته

أولاً: تولي السلطان بدر ٥١
ثانياً: جهود السلطان بدر بن عبدالله بوطويرق الكثيري نحو توحيد حضرموت ... ٥٧
أ. إسقاط الدويلات المستقلة..... ٥٨
ب. إخضاع الرئاسات القبلية..... ٦٣
جـ. جهود السلطان في توحيد سواحل حضرموت والمهرة وشبوة..... ٧٤

أعمال السلطان بدر العسكرية والمدنية

أولاً: أعمال السلطان بدر العسكرية..... ٨٥
أ. تكوين الجيش:..... ٨٥
ب- تأسيس الأسطول البحري الحضرمي :..... ٩٢
ثانياً: أعمال السلطان بدر المدنية ٩٦
أ- الإجـــراءات الإداريـــة:..... ٩٦
ب- ضرب العملـــة:..... ١٠١
جـ- إيـرادات الدولـة الكثيريـة :..... ١٠٩
د- الأوقـاف ١١٨
هـ- تأسيس المدرسة السلطانية بالشحر:..... ١١٩

الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في حضرموت في القرن العاشر الهجري / السادس العشر الميلادي

أولاً: الأوضاع الاقتصادية..... ١٢٣
أ- الرعي: ١٢٣

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ب- الزراعة :..... ١٢٤
١. الزراعة التي تعتمد على مياه الأمطار والسيول ١٢٥
٢. الزراعة التي تعتمد على المياه الجوفيه ١٢٦
٣. الزراعة التي تعتمد على مياه العيون والينابيع والأنهار ١٢٨
جـ- الصناعات الحرفية والـمهنية واليدوية: ١٣١
١- الحياكة والنسيج: ١٣٢
٢- الحدادة : ١٣٣
٣- الدباغة : ١٣٤
٤- الخزف : ١٣٤
٥- الخوص والشطف: ١٣٥
٦- النجـارة : ١٣٦
٧- البناء والتعمير: ١٣٦
د- صناعة السفن: ١٣٧
هـ- التجارة: ١٣٨
ثانياً: الأوضاع الاجتماعية في حضرموت في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي ١٤٣
أ- تطور الأوضاع الاجتماعية ١٤٣
أولاً: العلويون. ١٤٧
ثانياً: رؤساء القبائل وكبار ملاك الأراضي ١٥٢
ثالثاً: الـمشائخ والفقهاء. ١٥٥
رابعاً: التجار. ١٦٠

خامساً: المزارعون. ١٦٢
سادساً: الصيادون وبحارة السفن. ١٦٤
سابعاً: أصحاب المهن والحرف اليدوية. ١٦٦
ثامناً: الخدم والصبيان. ١٦٩
تاسعاً: العبيد..... ١٧٠

علاقات السلطان بدر بالدولة العثمانية والحكام اليمنيين

أولاً: علاقة السلطان بدر بالدولة العثمانية ١٧٥
ثانياً: علاقة السلطان بدر بالدولة الطاهرية ١٨٩
ثالثاً: علاقة السلطان بدر بالإمام شرف الدين يحيى ١٩٣
رابعاً: علاقة السلطان بدر بالشريف ناصر ١٩٧

النشاط البرتغالي على سواحل حضرموت والسواحل العربية الجنوبية والمقاومة الوطنية بزعامة السلطان بدر بوطويرق

أولاً: أهداف النشاط الإستعماري البرتغالي ٢٠٣
ثانياً: وصول البرتغاليين إلى الشرق ٢٠٦
ثالثاً: النشاط البرتغالي على السواحل العربية الجنوبية ٢٠٨
رابعاً: الهجمات البرتغالية على الشحر ٢١٩
خامساً: موقف السلطان بدر من البرتغاليين ٢٢٧

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

نهاية حكم السلطان بدر بن عبدالله بوطويرق الكثيري

أولاً: النزاع على الحكم داخل الأسرة الكثيرية الحاكمة ٢٤١

ثانياً: النزاع على الحكم داخل قبيلة آل كثير ٢٥٥

ثالثاً: التحالفات القبلية ضد السلطان بدر ٢٦٤

رابعاً: ضعف الدولة الكثيرية في آخر عهد السلطان بدر ٢٧٥

خامساً: اعتقال السلطان بدر بو طويرق ووفاته ٢٨١

الخاتمة ٢٨٩

قائمة المصادر والمراجع ٣٠١

أولاً: المصادر، ومنها المخطوطات ٣٠١

ثانياً: المصادر والمراجع المطبوعة ٣٠٢

ثالثاً: المعاجم والموسوعات ٣١١

رابعاً: الدوريات ٣١٢

خامساً: المراجع الأجنبية ٣١٢

الملاحق ٣١٣

وثيقة مكاتبة بين المتوكل على الله يحيى شرف الدين والسلطانين محمد وبدر ابني عبدالله ابن جعفر الكثيري ٣١٤

ملحق بالمفردات المحلية الحضرمية الواردة في الرسالة وشرحها ٣٢٥

الخرائط والصور ٣٢٩

الفهرس ٣٤٧

تناولت هذه الدراسة فترة مهمة من التاريخ الحديث لحضرموت، من بداية القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، حيث استطاع الزعيم «بدر بوطويرق» أن يسيطر على الكيانات والقبائل والأقاليم الحضرمية، وأن يجعلها تخضع لسيطرته، ونهضت في عهده الحياة التجارية والسياسية والاجتماعية بشكل فعال، رغم انشغاله بخوض العديد من المعارك، لكنه كان يحسن اختيار رجاله ومساعديه، وقد اهتم بالناحية الإدارية والمالية، فصك عملة خاصة بحضرموت، فكانت الريال وتجزئته، وهو يساوي ثمانين بقشة، كما أنشأ مدرسة علمية في الشحر تُخَرِّج القضاة، وقام بتوزيعهم على الأقاليم المختلفة لقضاء مصالح الناس، وتنظيم حياتهم وشؤونهم، وحفظ حقوقهم، فانتظم العدل في عهده على أسس شرعية منضبطة.

كما عاصر بدر بوطويرق هجمات البرتغاليين على موانئ المحيط الهندي عامة، وسواحل جنوب الجزيرة العربية خاصة، وتصدى لها، واستعان ببعض أسرى البرتغاليين في صناعة الأسلحة وبناء السفن.

والدراسة مدعمة بالخرائط والصور التي تجعل منها عملا ممتعا ومفيدا للباحث والقارئ والمهتم بتاريخ جانب مهم من أمتنا العربية.



بسلم صالح سالم بن دهلوس

من مواليد حضرموت، وادي بن علي -شبام- 1962م.

أكمل دراسته التعليم العام والأساسي 79/1980م.

حصل على شهادة البكالاريوس 1986/1987م.

نال شهادة الماجستير 2005م/ جامعة صنعاء-كلية الآداب/ تخصص تاريخ حديث ومعاصر.

العمل: مكتب التربية والتعليم م/ المكلا - قسم التوجيه التربوي.

دار الوفاق
DAR AL WEFAQ

دار الوفاق الحديثة للنشر والتوزيع

واتس آب: 2001008170225+